محمود افندی قوللرینک

کتاب شفاء قاضی عیاض

نسخه ١٩

٧٥١

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البر والبحر خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان
الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتلى أكرمه الله تعالى
بالرفق والحسنى حرره العبد الفقير أحمد شيخ زاده
المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين
غفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رضي الله
عنه الحمد لله المتفرد باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى الذي ليس دونه
منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ووهما والباطن تقدسا لا عدما
وسع كل شيء رحمة وعلما واسبغ على اوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من
انفسهم عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنمى وارجحهم عقلا وحلما
واوفرهم علما وفهما واقواهم يقينا وعزما واشدهم بهم رافة ورحمى زكاه
روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما وآتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا عميا و
قلوبا غلفا وآذانا صما فآمن به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة
قسما وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتما ومن كان في هذه
اعمى فهو في الآخرة اعمى صلى الله عليه وعلى آله صلاة تنمو وتنمى وسلم تسليما
اما بعد اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين ولطف لي ولك بما لطف به لاوليائه
المتقين الذين شرفهم بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة بانسه وخصهم من
معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة وولّه عقولهم
في عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره فهم بمشاهدة
كماله وجلاله يتنعمون وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع
اليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم

يلعبون فانك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى
صلى الله عليه وسلم وما يجب له من توقير واكرام وما حكم من لم يوف واجب
عظيم ذلك القدر او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان اجمع لك
ما لاسلافنا وائمتنا في ذلك من مقال وابينه بتنزيل صور وامثال فاعلم
اكرمك الله انك حملتني من ذلك امرا امرا ارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا
وارقيتني بما كلفتني مرتقا صعبا ملأ قلبي رعبا فان الكلام في ذلك يستدعي
تقرير اصول وتحرير فصول والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق مما
يجب للنبي صلى الله عليه وسلم ويضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة
النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة والخلة وخصائص هذه الدرجة
العلية وهاهنا مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر بها الخطا ومجاهل تضل
فيها الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل بها الاقدام
ان لم تعتمد على توفيق من الله وتأييد لكني لما رجوته لي ولك في هذا السؤال
والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصائصه
التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع الحقوق
ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولما اخذ الله على الذين
اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ولما حدثنا به ابو الوليد هشام بن
احمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه قال نا الحسين بن محمد نا ابو عمر النمري حدثنا
ابو محمد بن عبد المؤمن نا ابو بكر محمد بن بكر نا سليمان بن الاشعث نا موسى بن اسمعيل
نا حماد انا علي بن الحكم عن عطاء عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلّم من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيمة فبادرت الى نكت
مسفرة عن وجه الغرض مؤديا من ذلك للحق المفترض اختلستها على استعجال
لما المرء بصدده من شغل البدن والبال بما طوقه من مقاليد المحنة التي ابتلى
بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل وترد بعد حسن التقويم الى اسفل سفل
ولو اراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غدا او يذم محله
فليس ثم سوى حضرة النعيم او عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته واستنقاذ
مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده او يستفيده جبر الله صدع قلوبنا
وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا
ويقربنا اليه تعالى زلفى ويحظينا بمنه ورحمته ولما نويت تقريبه ودرجت
تبويبه ومهدت تأصيله وخلصت تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله ترجمته
بالشفا بتعريف حقوق المصطفى وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة القسم
الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه في
اربعة ابواب الباب الاول في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه
عشرة فصول الباب الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه
جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا
الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه
ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا الباب
الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من الآيات المعجزات وشرفه به من الخصائص
والكرامات وفيه ثلثون فصلا القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه

عليه

عليه السلام ويترتب القول فيه في اربعة ابواب الباب الاول في فرض الايمان
به ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول الباب الثاني في لزوم
محبته ومناصحته وفيه ستة فصول الباب الثالث في تعظيم امره ولزوم
توقيره وبره وفيه سبعة فصول الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم
وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول القسم الثالث فيما يستحيل في حقه
وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان يضاف اليه وهذا القسم
اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب وما قبله له كالقواعد
والتمهيدات والدلائل على ما نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما
بعده والمنجز من غرض هذا التاليف وعده وعند التقصي لموعدته والتفصي
عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين وتملأ
انواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي حق قدره ويتحرر الكلام فيه في بابين
الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة
عشر فصلا الباب الثاني في احواله الدنيوية وما يجوز طروءه عليه من الاعراض
البشرية وفيه تسعة فصول القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام على من تنقصه
او سبه عليه السلام وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الاول في بيان ما
هو في حقه سب ونقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول الباب الثاني
في حكم شانئه ومؤذيه ومنتقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلوة عليه
ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه
المسئلة ووصلة للبابين الذين قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته

وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصر الكلام فيه في خمسة
فصول وبتمامها ينتجز الكتاب وتتم الاقسام والابواب ويلوح في غرة الايمان
لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة يزيح كل لبس ويوضح كل تخمين وحدس
ويشفي صدور قوم مؤمنين ويصدع بالحق ويعرض عن الجاهلين وبالله تعالى
لا اله سواه استعين القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر المصطفى قولا
وفعلا قال الفقيه القاضي ابو الفضل وفقه الله وسدده لا يخفى على من مارس
شيئا من العلم او خص بادنى لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه السلام
وخصوصه اياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من
عظيم قدره بما تكل عنه الالسنة والاقلام فمنها ما صرح به تعالى في كتابه
ونبه به على جليل نصابه واثنى به عليه من اخلاقه وادابه وحض العباد على
التزامه وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم
مدح بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى فله الفضل بدءا وعودا وله الحمد
اولى واخرى ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال والجلال
وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل
العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البينة
التي شاهدها من عاصره وراها من ادركه وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى
انتهى علم حقيقة ذلك الينا وفاضت انواره علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه
قال نا ابو الحسين المبارك ابن عبد الجبار وابو الفضل احمد بن خيرون قالا نا

ابو يعلى البغدادي قال نا ابو علي السنجي قال نا محمد بن احمد بن محبوب نا ابو
عيسى بن سورة الحافظ قال نا اسحق بن منصور نا عبد الرزاق انا معمر عن
قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به
ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا فما ركبك
احد اكرم على الله منه قال فارفض عرقا الباب الاول في ثناء الله عليه
واظهاره عظيم قدره لديه اعلم ان في كتاب الله العزيز ايات كثيرة مفصحة
بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره اعتمدنا منها على
ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول الفصل الاول فيما
جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم
رسول من انفسكم الاية قال السمرقندي وقرا بعضهم من انفسكم بفتح الفاء وقراءة
الجمهور بالضم قال الفقيه القاضي ابو الفضل وفقه الله اعلم الله تعالى
المؤمنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه
بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانته
ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم
وانه لم تكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة
او قرابة وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى الا المودة في القربى وكونه
من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه
بعد باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم
واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه ورافته

ورحمة بمؤمنيهم قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رؤف رحيم ومثله في
الاية الاخرى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
وفي الاية الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الاية وقوله تعالى كما
ارسلنا فيكم رسولا منكم وروي عن علي بن ابي طالب عنه عن النبي عليه السلام في قوله
تعالى من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلنا
نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمس مائة ام فما وجدت فيهن
سفاحا ولا شيئا مما كانت عليه الجاهلية وعن ابن عباس في قوله تعالى وتقلبك
في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وقال جعفر بن محمد علم الله عجز
خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام
بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة البشرية البسه من نعته الرافة والرحمة
واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال
من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال
ابو بكر بن طاهر زين الله محمدا بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته
رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه
والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى ان الله يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
فكانت حيوته رحمة ومماته رحمة كما قال عليه السلام حياتي خير لكم وموتي خير لكم
وكما قال اذا اراد الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال
السمرقندي رحمة للعالمين يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية
ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتاخير العذاب قال ابن عباس

هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة
شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله عز وجل علي بقوله ذي قوة
عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وروي عن جعفر بن محمد الصادق في قوله
تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد
صلى الله عليه وسلم وقال الله تبارك وتعالى الله نور السموات والارض الاية
قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله مثل
نوره اي نور محمد وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادي اهل السموات والارض
ثم قال مثل نور محمد اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكوة صفتها كذا واراد
بالمصباح قلبه والزجاجة صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة
توقد من شجرة مباركة اي من نور ابرهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد
زيتها يضيء اي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت
وقد قيل في هذه الاية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى في القران في غير هذا
الموضع نورا وسراجا منيرا فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ومن هذا قوله
تعالى الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر هنا القلب
قال ابن عباس شرحه بالاسلام وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملاه حكما و
علما وقيل معناه الم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك
وزرك الذي انقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل اراد ثقل

ايام الجاهلية وقيل زاد ما اثقل ظهرك من الرسالة حتى بلغتها حكاه الماوردى
والسلمى وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندى
ورفعنا لك ذكرك قال يحيى ابن ادم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معى قول
لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل فى الاذان قال الفقيه القاضى وفقه الله هذا
تقرير من الله تعالى جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف
منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه لوعى
العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما
كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة
لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعه ذكره
وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله ذكره فى الدنيا والاخرة فليس خطيب
ولا متشهد ولا صاحب صلوة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله وروى ابو سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اتانى جبريل
فقال ان ربى وربك يقول اتدرى كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله
اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معى قال ابن عطاء جعلت تمام الايمان بذكرى معك
وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكرى فمن ذكرك ذكرنى قال جعفر بن محمد الصادق
لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرنى بالربوبية واشار بعضهم فى ذلك الى
الشفاعة ومن ذكره معه تعالى ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال
واطيعوا الله والرسول وامنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة
ولا يجوز جمع هذا الكلام فى غير حقه عليه السلام حدثنا الشيخ ابو على

الحسين بن محمد الجيانى الحافظ فيما اجازنيه وقرأته على الثقة عنه قال نا ابو عمر
النمرى قال نا ابو محمد بن عبد المؤمن نا ابو بكر بن داسة نا ابو داود السجزى نا ابو
الوليد الطيالسى نا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء
الله ثم شاء فلان قال الخطابى ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب فى تقديم
مشية الله تعالى على مشية من سواه واختارها بثم التى هى للنسق والتراخى بخلاف
الواو التى هى للاشتراك ومثله الحديث الاخر ان خطيبا خطب عند النبى صلى
الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقال له
النبى صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سليمان
كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى
انه انما كره له الوقوف على يعصهما وقول ابى سليمان اصح لما روى فى الحديث
الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد
اختلف المفسرون واصحاب المعانى فى قوله ان الله وملائكته يصلون
على النبى هل يصلون راجعة على الله تعالى والملائكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه
اخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الاية ان الله يصلى
وملائكته يصلون وقد روى عن عمر رضى الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله
ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله الايتين روى انه لما نزلت هذه
الاية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى

قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون
في معنى قوله تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت
عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي
وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله
صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى
الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى
ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة
الوثقى انه محمد عليه السلام وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد وقال سهل
في قوله تعالى وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها قال نعمته محمد صلى الله عليه وسلم
وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الآيتين اكثر
المفسرين على ان الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم قال بعضهم
وهو الذي صدق به وقرئ وصدق بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به المؤمنون
وقيل ابو بكر وقيل علي وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد في قوله تعالى الا بذكر الله
تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه الفصل الثاني في وصفه
تعالى له بالشهادة وما تعلق بها من الثناء والكرامة قال الله تعالى يا ايها النبي
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية جمع الله تعالى له في هذه الآية ضروبا
من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم

الرسالة وهي من خصايصه عليه السلام ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل
معصيته وداعيا الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ
ابو محمد بن عتاب رحمه الله قال نا ابو القسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن القابسي نا ابو
زيد المروزي نا ابو عبد الله محمد بن يوسف نا البخاري انا محمد بن سنان نا فليح نا
هلال عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصي قلت اخبرني عن
صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اجل والله انه لموصوف في التورية
ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ
ولا صخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه
الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا
واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وفي
بعض طرقه عن ابن اسحق ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا
اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره و
التقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف
خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه
اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة
واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به بين قلوب
مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس
وفي حديث اخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التورية عبدي

احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة امته الحمادون لله على
كل حال وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الايتين وقال تعالى فبما
رحمة من الله لنت لهم الاية قال السمرقندي ذكر الله منته انه جعل رسوله رحيما
بالمؤمنين رؤفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله لكن
جعله الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
قال ابو الحسن القابسي ابان الله فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته
بهذه الاية وفي قوله في الاية الاخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم و
تكونوا شهداء على الناس وكذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الاية
وقوله وسطا اي عدلا خيارا ومعنى هذه الاية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم
وفضلناكم بان جعلناكم امة خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد
لكم الرسول بالصدق وقيل ان الله جل جلاله اذا سال الانبياء هل بلغتم فيقولون
نعم فتقول اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد للانبياء ويزكيهم
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية انكم حجة على كل من خالفكم والرسول
حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق
عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد صلى الله عليه
وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم وعن ابي سعيد الخدري
هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل
بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة اودعها في محمد صلى الله عليه وسلم وقال

محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل
المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي رضي الله عنه

الفصل الثالث

فيما ورد في خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة من ذلك قوله تعالى عفا الله عنك
لم اذنت لهم قال ابو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك
الله وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب وحكى السمرقندي
عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدا النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا
الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى يسكن قلبه ثم قال له لم اذنت
لهم بالتخلف حتى يتبين الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته
عند الله ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة
غايته نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم
معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم
ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال الفقيه القاضي
ابو الفضل وفقه الله يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه
ان يتادب باداب القران في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف
الحقيقية وروضة الاداب الدينية والدنيوية وليتامل هذه الملاطفة العجيبة
في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها
من الفوائد وكيف ابتدا بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان
ثم ذنب وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال

بعض المتكلمين عاتب الله تعالى الانبياء بعد الزّلات وعاتب نبيّنا عليه السلام
قبل وقوعه ليكون بذلك اشدّ انتهاءً ومحافظة لشرايط المحبة وهذه غاية العناية
ثمّ انظر كيف بدا بتثبيته وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف ان يركن اليه
ففي اثناء عتبه براءته وفي طيّ تخويفه تامينه وكرامته ومثله قوله تعالى قَدْ نَعْلَمُ اِنَّهُ
لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَاِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ الآية قال علي رضي الله عنه قال ابو جهل
للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم انا لا نكذّبك ولكن نكذّب بما جئت به فانزل الله تعالى
فانهم لا يكذّبونك الآية وروي انّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لمّا كذّبه قومه حزن
فجاءه جبريل فقال ما يُحْزِنُكَ قال كذّبني قومي فقال انّهم يعلمون انّك صادق فانزل
الله الآية ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له عليه السلام
والطافه في القول بان قرّر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذّبين له
معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمّونه قبل النبوّة الامين فدفع بهذا
التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثمّ جعل الذمّ لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين
فقال تعالى وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ فحاشاه من الوصم وطوّقهم
بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم اذ الجحد انّما يكون ممّن علم الشيء ثمّ انكره
كقوله وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا اَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ثمّ عزّاه وانسه بما ذكر عن
من قبله ووعد النصر بقوله وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ الآية فمن قرا يُكْذِبُونك
بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفرّاء والكسائي لا يقولون انّك كاذب
وقيل لا يحتجّون على كذبك وممّا ذكر من خصايصه عليه السلام وبرّ الله تعالى به
انّ الله تعالى خاطب جميع الانبياء باسمائهم فقال يا آدم يا نوح يا ابرهيم يا داود

كذبا وقرأ لا يكذبونك من غير التشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون صح

يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الّا يا ايها النبيّ يا ايها الرسول يا ايها المزّمّل
يا ايها المدّثر

الفصل الرابع

في قسمه تعالى بعظيم قدره قال الله تعالى لَعَمْرُكَ اِنَّهُمْ
لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ اتّفق اهل التفسير في هذا انه قسم من الله جلّ جلاله بمدّة
حياة محمّد صلّى الله عليه وسلّم واصله ضمّ العين من العُمُر ولكنها فتحت لكثرة
الاستعمال ومعناه وبقايك يا محمّد وقيل وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية
التّعظيم وغاية البرّ والتّشريف قال ابن عبّاس ما خلق الله وما ذرا وما برا نفسا
اكرم عليه من محمّد وما سمعت الله تعالى اقسم بحياة احد غيره قال ابو الجوزاء ما
اقسم الله بحياة احد غير محمّد صلّى الله عليه وسلّم لانّه اكرم البريّة عنده وقال
تعالى يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ الآيات اختلف المفسّرون في معنى يس على اقوال فحكى
ابو محمّد مكّيّ انه روي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم انّه قال لي عند ربّي عشرة اسماء
ذكر انّ منها طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرّحمن السّلمي عن جعفر الصّادق
انّه اراد يا سيّد مخاطبة لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم وعن ابن عبّاس يس يا انسان
اراد محمّدا وقال هو قسم وهو من اسماء الله تعالى وقال الزّجّاج قيل معناه يا محمّد
وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن الحنفيّة يس يا محمّد وعن كعب يس قسم اقسم
الله به قبل ان يخلق السّماء والارض بالفي عام يا محمّد انّك لمن المرسلين ثمّ قال
والقران الحكيم انّك لمن المرسلين فان قدّر انّه من اسمايه صلّى الله عليه وسلّم وصحّ
فيه انّه قسم كان فيه من التّعظيم ما تقدّم ويؤكّد فيه القسم عطف القسم الاخر
عليه وان كان بمعنى النّداء فقد جاء قسم اخر بعده لتحقيق رسالته والشّهادة
بهدايته اقسم تعالى باسمه وكتابه انّه من المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط

مستقيم من ايمانها اى طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم
يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة فى كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده
على تاويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام انا سيد ولد ادم
ولا فخر وقال تعالى لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ قيل لا اقسم به اذا
لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكى وقيل لا زائدة اى اقسم به وانت به
يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عندها
ولاء مكة وقال الواسطى اى نحلف لك بهذا البلد الذى شرفته بمكانك فيه
حيا وبركتك ميتا يعنى المدينة والاول اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه
قوله حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء فى تفسير قوله تعالى وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ
قال امنها الله بمقامه فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان ثم قال وَوَالِدٍ وَمَا
وَلَدَ من قال اراد ادم فهو عام ومن قال هو ابرهيم وما ولد فهى ان شاء الله
اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم فتضمن السورة القسم به فى موضعين وقال
تعالى الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ قال ابن عباس هذه الحروف اقسام اقسم الله
بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التسترى الالف هو
الله تعالى واللام جبريل والميم محمد عليهما السلام وحكى هذا القول السمرقندى
ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله انزل جبريل على محمد بهذا القران لا ريب فيه
وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة
قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطاء فى قوله تعالى ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ
اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة

ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم للقران وقيل هو اسم لله تعالى وقيل
جبل محيط بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر ابن محمد فى تفسير وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى
انه محمد عليه السلام وقال النجم قلب محمد هوى انشرح من الانوار وقال انقطع
عن غير الله وقال ابن عطاء فى قوله تعالى وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ الفجر محمد لان منه تفجر
الايمان **الفصل الخامس** فى قسمه تعالى جده له ليحقق مكانته عنده قال جل اسمه
وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى السورة اختلف فى سبب نزول هذه السورة فقيل كان
ترك النبى صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امراة فى ذلك
بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحى فنزلت السورة قال الفقيه
القاضى ابو الفضل وفقه الله تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له
وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له عما اخبره به من حاله
بقوله والضحى والليل اذا سجى اى ورب الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة
الثانى بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى
اى ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك الثالث قوله
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى قال ابن اسحق اى مالك فى مرجعك عند الله
اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل اى ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام
المحمود خير لك مما اعطيتك فى الدنيا الرابع وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى
وهذه اية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام فى الدارين
والزيادة قال ابن اسحق يرضيه بالفلج فى الدنيا والثواب فى الاخرة وقيل يعطيه
الحوض والشفاعة وروى عن بعض ال النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليس فى

القران اية ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من
امته النار الخامس ما عدّه تعالى عليه من نعمه وقرّره من الائه قبله في بقية
السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير
ولا مال له فاغناه بما اتاه او بما جعله في قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب
عليه عمه واواه اليه وقيل اواه الى الله وقيل يتيما لا مثال لك فاواك اليه
وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا واوى بك يتيما ذكّره
بهذه المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه
وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه واصطفائه السادس
امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرّفه به بنشره واشادة ذكره بقوله واما بنعمة
ربك فحدث فان من شكر النعمة الحديث بها وهذا خاص له عام لامته وقال
تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى اختلف المفسرون
في قوله والنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القران وعن جعفر
بن محمد انه محمد عليه السلام وقال هو قلب محمد وقد قيل في قوله والسماء والطارق
وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم
حكاه السلمي تضمنت هذه الايات من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد
واقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلا وانه
وحي يوحى وصله اليه عن الله جبريل وهو الشديد القوى ثم اخبر تعالى عن
فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما راى
وانه راى من ايات ربه الكبرى وقد نبّه على مثل هذا تعالى في اول سورة الاسراء

ولما كان ما كاشفه عليه السلام من ذلك الجبروت وشاهده من عجايب الملكوت
لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء
والكناية الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام
يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز
وقال لقد راى من ايات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى و
تاهت الاحلام في تعيين تلك الايات الكبرى قال القاضي ابو الفضل واشتملت
هذه الايات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته عليه السلام وعصمتها من
الافات في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه فزكى قلبه بقوله ما كذب
الفؤاد ما راى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر
وما طغى وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول
شيطان رجيم لا اقسم اي اقسم انه لقول رسول كريم اي كريم عند مرسله ذي
قوة على تبليغ ما حمّله من الوحي مكين اي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده
مطاع ثم اي في السماء امين على الوحي وقال علي بن عيسى وغيره الرسول الكريم
هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الاوصاف بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل
فترجع الاوصاف اليه ولقد راه يعني محمدا قيل راى ربه وقيل راى جبريل في
صورته وما هو على الغيب بظنين اي بمتهم ومن قراه بالضاد فمعناه ما هو
بخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد عليه السلام باتفاق وقال
تعالى ن والقلم الايات اقسم الله تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه
المصطفى مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وانسه وبسط امله بقوله محسنا

خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى درجات
الاداب في المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دايم وثواب غير منقطع لا
ياخذ عدد ولا يمتن به عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما
منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التاكيد فقال وانك
لعلى خلق عظيم قيل القران وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك
همة الا الله قال الواسطي اثنى عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله
بذلك على غيره لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد
الحميد الذي يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما اغمر
نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقباهم و
توعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الايات ثم عطف بعد مدحه
على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه
فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين الى قوله
اساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقايه وخاتمة بواره بقوله
سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على
عدوه ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده

الفصل السادس

فيما ورد من قوله تعالى
في جهته عليه السلام مورد الشفقة والاكرام قال الله تعالى طه ما انزلنا
عليك القران لتشقى قيل طه اسم من اسمايه عليه السلام وقيل هو اسم لله وقيل
معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي اراد
يا طاهر يا هادي وقيل هو امر من الوطء والهاء كناية عن الارض اي اعتمد على
الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله ما
انزلنا عليك القران لتشقى نزلت الاية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل اخبرنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد
الرحمن وغير واحد عن القاضي ابي الوليد الباجي اجازة ومن اصله نقلت قال
نا ابو ذر الحافظ قال نا ابو محمد الحموي نا ابرهيم بن خزيم الشاشي قال نا عبد
بن حميد نا هاشم بن القسم عن ابي جعفر عن الربيع ابن انس قال كان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعني
طئ الارض يا محمد ما انزلنا عليك القران لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من
الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه من اسمايه عليه السلام كما قيل او
جعلت قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى
فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا اي قاتل
نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا ومثله قوله ايضا لعلك باخع نفسك
الا يكونوا مومنين ثم قال ان نشا ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها
خاضعين ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين
الى قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون الى اخر السورة وقوله ولقد
استهزئ برسل من قبلك الاية قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكر وهون عليه
ما يلقى من المشركين واعلمه انه من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل
هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا
قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون عزاه

الله تعالى بما اخبر به عن الامم السالفة ومقالها لانبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه
بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقى ذلك ثم طيب نفسه و
ابان عذره بقوله تعالى فَتَوَلَّ عَنْهُمْ اى اعرض عنهم فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ اى فى اداء ما
بلغت وابلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا اى
اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله بهذا فى آى كثيرة من
هذا المعنى **الفصل السابع** فيما اخبر الله به فى كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف
منزلته على الانبياء وحظوة رتبته عليهم قوله تعالى وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ
النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ الى قوله مِنَ الشَّاهِدِينَ قال ابو الحسن القابسى
استخص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره ابانه به وهو ما
ذكره فى هذه الاية قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحى فلم يبعث نبيا الا
ذكر له محمدا ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان يبينه لقومه
ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله ثُمَّ جَاءَكُمْ الخطاب لاهل الكتاب
المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال على ابن ابى طالب رضى الله عنه لم يبعث
الله نبيا من آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد فى محمد صلى الله عليه وسلم لئن
بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدى
وقتادة فى آى تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ
النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ الاية وقال إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا
إِلَى نُوحٍ الى قوله وَكِيلًا روى عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه انه قال فى كلام
بكى به النبى صلى الله عليه وسلم فقال بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من

فضيلتك عند الله ان بعثك اخر الانبياء وذكرك فى اولهم فقال وَإِذْ أَخَذْنَا
مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ الاية بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ
من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها
يعذبون يقولون يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا قال قتادة ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال كنت اول الانبياء فى الخلق واخرهم فى البعث فلذلك
وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندى فى هذا تفضيل نبينا
عليه السلام لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو اخرهم المعنى اخذ الله عليهم الميثاق
اذ اخرجهم من ظهر آدم كالذر وقال تعالى تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ
الاية قال اهل التفسير اراد بقوله وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ محمدا صلى الله عليه
وسلم لانه بعث الى الاحمر والاسود واحلت له الغنائم وظهرت على يديه
المعجزات وليس احد من الانبياء اعطى فضيلة او كرامة الا وقد اعطى محمد صلى
الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى خاطب الانبياء
باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة فى كتابه فقال يا ايها النبى ويا ايها الرسول
وحكى السمرقندى عن الكلبى فى قوله تعالى وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ان الهاء
عائدة على محمد اى ان من شيعة محمد لابراهيم اى على دينه ومنهاجه واجازه الفراء
وحكاه عنه مكى وقيل المراد نوح عليه السلام **الفصل الثامن** فى اعلام الله
تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه قال الله تعالى
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ اى ما كنت بمكة فلما خرج النبى صلى الله
عليه وسلم من مكة وبقى فيها من بقى من المؤمنين نزل وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ

يستغفرون وهذا مثل قوله تعالى لو تزيلوا الاية وقوله ولولا رجال مؤمنون
الاية فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهذا من ابين ما يظهر
مكانته صلى الله عليه وسلم ودرأه العذاب عن اهل مكة بسبب كونه ثم كون
اصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم
وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفي
الاية ايضا تاويل اخر حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله بقرأتي عليه نا
ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي نا ابو يعلى بن زوج الحرة نا ابو علي
السنجي نا محمد بن محبوب المروزي انا ابو عيسى الحافظ نا سفيان بن وكيع نا ابن نمير
عن اسمعيل بن ابرهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابي بردة بن ابي موسى عن
ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله علي امانين لامتي وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت
فيكم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال
عليه السلام انا امان لاصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال
بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت
سنته باقية فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن وقال الله
تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية ابان الله تعالى فضل نبيه صلى الله
عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه
وقد حكى ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء تاول قوله عليه السلام وجعلت قرة
عيني في الصلاة على هذا اي في صلاة الله علي وملائكته وامره الامة بذلك

الى يوم القيمة والصلاة من الملائكة ومنا له دعاء ومن الله رحمة وقيل
يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه
بين لفظ الصلاة والبركة وسنذكر حكم الصلاة عليه وذكر بعض المتكلمين
في تفسير حروف كهيعص ان الكاف من كاف اي كفاية الله تعالى لنبيه قال
اليس الله بكاف عبده والهاء هدايته له قال ويهديك صراطا مستقيما
والياء تاييده له قال وايدك بنصره والعين عصمته له قال والله يعصمك
من الناس والصاد صلاته عليه قال ان الله وملائكته يصلون على النبي
وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو موليه وجبريل الاية موليه اي
وليه وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملائكة وقيل ابو بكر وعمر
وقيل علي وقيل المؤمنون على ظاهره

الفصل التاسع

فيما تضمنته سورة الفتح
من كراماته قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم تضمنت
هذه الايات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه
ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه فابتدأ جل جلاله باعلامه بما قضاه له من
القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور
له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي
انك مغفور لك وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره
منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر
لك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل برفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك
فاعلمه تمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له وفتح اهم البلاد عليه واحبها

له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلّغ الجنّة والسعادة ونصره
النّصر العزيز ومنّته على امّته المؤمنين بالسّكينة والطّمانينة الّتى جعلها فى قلوبهم
وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والسّتر لذنوبهم وهلاك
عدوّه فى الدّنيا والاخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثمّ قال إنّا
ارسلناك شاهدًا ومبشّرًا ونذيرًا الاية فعدّ محاسنه وخصايصه من شهادته
على امّته لنفسه بتبليغه الرّسالة لهم وقيل شاهدًا لهم بالتّوحيد ومبشّرا لامّته
بالثّواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوّه بالعذاب وقيل محذّرًا من الضّلالات ليؤمن
بالله ثمّ به من سبقت له من الله الحسنى وتعزّروه اى تجلّونه وقيل تنصرونه وقيل
يبالغون فى تعظيمه وتوقّروه اى تعظّمونه وقراه بعضهم وتعزّزوه بزائين من العزّ
والاكثر والاظهر انّ هذا فى حقّ محمّد صلى الله عليه وسلم ثمّ قال وتسبّحوه فهذا راجع
الى الله تعالى قال ابن عطاء جمع للنّبىّ صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة نعم
مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهى من اعلام المحبّة وتمام
النّعمة وهى من اعلام الاختصاص والهداية وهى من اعلام الولاية فالمغفرة تبرئة
من العيوب وتمام النّعمة ابلاغ الدّرجة الكاملة والهداية وهى الدّعوة الى المشاهدة
وقال جعفر بن محمّد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ به
شرايع غيره وعرج به الى المحلّ الاعلى وحفظه فى المعراج حتّى ما زاغ البصر وما
طغى وبعثه الى الاسود والاحمر واحلّ له ولامّته الغنايم وجعله شفيعا مشفّعا
وسيّد ولد ادم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركنى التّوحيد
ثمّ قال إنّ الّذين يبايعونك إنّما يبايعون الله يعنى بيعة الرّضوان اى انّما يبايعون الله

ببيعتهم

ببيعتهم ايّاك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل قوّة الله وقيل ثوابه وقيل
منّته وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس فى الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم
ايّاه وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى
فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكنّ الله رمى وان كان الاوّل
فى باب المجاز وهذا فى باب الحقيقة لانّ القاتل والرّامى بالحقيقة هو الله وهو
خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسبّبه ولانّه ليس فى قدرة البشر توصيل
تلك الرّمية حيث وصلت حتّى لم يبق منهم من لم تملا عينيه وكذلك قتل
الملائكة لهم حقيقة وقد قيل فى هذه الاية الاخرى انّها على المجاز العربىّ و
مقابلة اللّفظ ومناسبته اى ما قتلوهم وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصباء
والتّراب ولكنّ الله رمى قلوبهم بالجزع اى انّ منفعة الرّمى كانت من فعل الله
فهو القاتل والرّامى بالمعنى وانت بالاسم الفصل العاشر فيما اظهره الله فى كتابه
العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصّه به من ذلك سوى ما انتظم فيما
ذكرناه قبل من ذلك ما نصّه تعالى من قصّة الاسراء فى سورة سبحان والنّجم
وما انطوت عليه القصّة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من
العجايب ومن ذلك عصمته من النّاس بقوله والله يعصمك من النّاس وقوله واذ
يمكر بك الّذين كفروا الاية وقوله الّا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله به عنه
فى هذه القصّة من اذاهم بعد تحزّبهم لهلكه وخلوصه نجيّا فى امره والاخذ على
ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه فى الغار وما ظهر فى ذلك من
الايات ونزول السّكينة عليه وقصّة سراقة بن مالك حسب ما ذكره اهل

الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ اعلمه الله بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب عنه عدوه ورد عليه قوله فقال ان شانئك هو الابتر اى عدوك ومبغضك والابتر الحقير الذليل والمفرد الوحيد او الذى لا خير فيه وقال وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ قيل السبع المثاني السور الطوال الاول والقران العظيم ام القران وقيل السبع المثاني ام القران والقران العظيم سائره وقيل السبع المثاني ما في القران من امر ونهى وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم واتيناك نبأ القران العظيم وقيل سميت ام القران مثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له دون الانبياء وسمى القران مثاني لان القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة وقال وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ الآية وقال وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وقال قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الآية قال الفقيه رحمه الله فهذه من خصايصه وقال تعالى وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال عليه السلام بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم اى ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضى حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى من اتباع راى النفس وازواجه امهاتهم اى هن في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج في الاخرة وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرأ به الان لمخالفته المصحف وقال تعالى وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ الآية قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سبق له في الازل واشار الواسطى الى انها اشارة الى احتمال الرؤية التى لم يحتملها موسى صلى الله عليهما

الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا

اعلم ايها المحب لهذا النبى الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضرورى دنيوى اقتضته الجبلة وضرورة الحيوة الدنيا ومكتسب دينى وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى ثم هى على فنين ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما الضرورى المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حيوته اليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الاخرة بالاخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة واما المكتسبة الاخروية فساير الاخلاق العلية والاداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروة

والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة واخواتها وهى
التى جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو فى الغريزة واصل الجبلة
لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لابد ان يكون فيه من اصولها
فى اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله تعالى وتكون هذه الاخلاق دنيوية
اذا لم يرد بها وجه الله والدار الاخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق اصحاب
العقول السليمة وان اختلفوا فى موجب حسنها وتفضيلها

فصل

قال القاضى
اذا كانت خصال الجلال والكمال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة
منها او اثنتين ان اتفقت له فى كل عصر اما من نسب او جمال او قوة او علم او
حلم او شجاعة او سماحة حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الامثال ويتقرر له
بالوصف بذلك فى القلوب اثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما
ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما لا يأخذه عد ولا يعبر
عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة
والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والاسراء والرؤية والقرب والدنو والوحى
والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق و
المعراج والبعث الى الاحمر والاسود والصلاة بالانبياء والشهادة بين الانبياء
والامم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذى العرش
والطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة للعالمين واعطاء الرضى والسؤل والكوثر
وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتاخر وشرح الصدر ووضع الوزر
ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتاييد بالملائكة وايتاء الكتاب
والحكمة والسبع المثانى والقران العظيم وتزكية الامة والدعاء الى الله وصلاة
الله والملائكة والحكم بين الناس بما اراه الله ووضع الاصر والاغلال عنهم
والقسم باسمه واجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم واحياء الموتى واسماع الصم
ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الاعيان
والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصا وابراء الالام
والعصمة من الناس الى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله
به لا اله غيره الى ما اعد له فى الدار الاخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس
ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التى تقف دونها العقول ويحار دون ادانيها
الوهم

فصل

ان قلت اكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة انه صلى الله عليه
وسلم اعلى الناس قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت
فى تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا شوقنى الى ان اقف عليها من اوصافه
صلى الله عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبى وقلبك وضاعف فى هذا النبى
الكريم حبى وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال التى هى غير مكتسبة وفى
جبلة الخلقة وجدته صلى الله عليه وسلم حائزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها
دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة
وجمالها وتناسب اعضائه فى حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة
الكثيرة بذلك من حديث على وانس بن مالك وابى هريرة والبراء ابن عازب وعائشة
ام المؤمنين وابن ابى هالة وابى جحيفة وجابر بن سمرة وام معبد وابن عباس ومعرض
بن معيقيب وابى الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم

من انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار
ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملاء صدره سواء البطن
والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين
والاسافل رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف انور المتجرد دقيق المسربة
ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا القصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه
احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكا
افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رىء كالنور يخرج من
بين ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب
اللحم قال البراء ما رايت من ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رايت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلالأ في الجدر وقال جابر بن سمرة
وقال له رجل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا
بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت ام معبد في بعض ما وصفته به
اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب وفي حديث ابن ابي هالة يتلالأ
وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه في اخر وصفه له من راه
بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله
صلى الله عليه وسلم والاحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول
بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية في القصد
الى المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هناك ان شاء الله

فصل

فصل واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد
فكان قد خصه الله في ذلك بخصايص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع
وخصال الفطرة العشر وقال بني الدين على النظافة حدثنا سفيان بن العاصي
وغير واحد قالوا انا احمد بن عمر نا ابو العباس الرازي نا ابو احمد الجلودي نا ابن
سفيان حدثنا مسلم نا قتيبة ابن سعيد نا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس
قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت
ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة عطار قال غيره مسها بطيب اولم يمسها
يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف من
بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار انس فعرق
فجاءت امه بقارورة تجمع فيها عرقه فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فقالت نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن
جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه
من طيبه وذكر اسحق ابن راهويه ان تلك كانت رايحته بلا طيب صلى الله عليه
وسلم وروى المزني عن جابر اردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتقمت خاتم
النبوة بفمي فكان ينم علي مسكا وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمايله صلى الله
عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت غايطه وبوله
وفاحت لذلك رايحة طيبة صلى الله عليه وسلم واسند محمد بن سعد كاتب
الواقدي في هذا خبرا عن عايشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه

وسلم انك تاتى الخلاء فلا نرى منك شيئا من الاذى فقال يا عايشة اوما
علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شيء فهذا الخبر وان لم
يكن مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه
وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعى حكاه الامام ابو نصر ابن الصباغ فى شامله
وقد حكى القولين عن العلماء فى ذلك ابو بكر بن سابق المالكى فى كتابه البديع فى فروع
المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد
هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث
على رضى الله عنه غسلت النبى صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من
الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا وقال وسطعت منه ريح طيبة لم
نجد مثلها قط ومثله قال ابو بكر رضى الله عنه حين قبل النبى صلى الله عليه
وسلم بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه
صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن
الزبير دم حجامته فقال له عليه السلام ويل لك من الناس وويل لهم منك
ولم ينكره عليه وقد روى نحو من هذا عنه فى امراة شربت بوله فقال لها لن تشتكى
وجع بطنك ابدا ولم يامر واحدا منهم بغسل فم ولا نهيه عن عودة وحديث هذه
المراة التى شربت بوله صحيح الزم الدارقطنى مسلما والبخارى اخراجه فى الصحيح
واسم هذه المراة بركة واختلف فى نسبها وقيل هى ام ايمن رضى الله عنها وكانت
تخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده

فلم يجد فيه شيا فسال بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم
روى حديثها ابن جريج وغيره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولد
مختونا مقطوع السرة وروى عن امه امنة انها قالت ولدته نظيفا ما به قذر وعن
عايشة رضى الله عنها ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وعن
على رضى الله عنه اوصانى النبى صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيرى فانه لا يرى
احد عورتى الا طمست عيناه وفى حديث عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه
انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضا قال
عكرمة لانه صلى الله عليه وسلم كان محفوظا فصل واما وفور عقله وذكاء
لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمايله فلا مرية
انه كان اعقل الناس واذكاهم ومن تامل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم
وسياسة الخاصة والعامة مع عجيب شمايله وبديع سيره فضلا عما افاضه
من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة
للكتب منه لم يمتر فى رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا ما لا يحتاج
الى تقريره لتحقيقه وقد قال وهب بن منبه قرات فى احد وسبعين كتابا فوجدت
فى جميعها ان النبى صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا وفى
رواية اخرى فوجدت فى جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء
الدنيا الى انقضايها من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة
رمل من بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
قام فى الصلوة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك

في الساجدين وفي الموطاء عنه عليه السلام اني لاريكم من وراء ظهري ونحوه عن
انس في الصحيحين وعن عايشة مثله قالت زيادة زاده الله اياها في حجته وفي بعض
الروايات اني لانظر من ورائي كما انظر الى من بين يدي وفي اخرى اني لابصر من
قفاي كما ابصر من بين يدي وحكى بقي ابن مخلد عن عايشة كان النبي صلى الله عليه
وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله
عليه وسلم الملائكة والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس
حين وصفه لقريش والكعبة حين بنى مسجده وقد حكي عنه انه كان يرى في الثريا احد
عشر نجما وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب
بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من خواص
الانبياء وخصالهم كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه نا ابو الحسن
المقرئ الفرغاني حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر عن ابيها نا الشريف ابو الحسن علي
بن محمد الحسني نا محمد بن محمد بن سعيد نا محمد بن احمد بن سليمان نا محمد بن محمد بن
مرزوق نا همام نا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لما تجلى الله تعالى لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا
في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا بما ذكرنا
من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما راى من ايات ربه الكبرى وقد جاءت
الاخبار بانه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع
ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رايت احدا اسرع من رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم في مشيته كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو
غير مكترث وفي صفته ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى
مشى تقلعا كانما ينحط من صبب فصل واما فصاحة اللسان وبلاغة القول
فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل
سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة
معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص ببدايع الحكم وعلم السنة العرب
يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى
كان كثير من اصحابه يسئلونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تامل
حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار واهل
الحجاز ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن ابن حارثة
العليمي والاشعث بن قيس ووايل بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت
وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تاكلون
علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة
ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن والكبش الحوري
وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومخضها
ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من اقام
الصلوة كان مسلما ومن اتى الزكوة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا
لكم يا بني نهد ودايع الشرك ووضايع الملك لا تلطط في الزكوة ولا تلحد في الحيوة
ولا تتثاقل عن الصلوات وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش

وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم
مالم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه
الربوة ومن كتابه لوايل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب وفيه فى
التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفى السيوب الخمس
ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه
بالاضاميم ولا توصيم فى الدين ولا غمة فى فرايض الله وكل مسكر حرام ووايل
بن حجر يترفل على الاقيال اين هذا من كتابه لانس فى الصدقة المشهور لما كان كلام
هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم هذا النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها
معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله فى حديث
عطية السعدى فان اليد العليا هى المنطية واليد السفلى هى المنطاة قال
فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله فى حديث العامرى حين ساله
فقال له النبى صلى الله عليه وسلم سل عنك اى سل عما شئت وهى لغة بنى عامر
واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه الماثورة فقد الف
الناس فيها الدواوين وجمعت فى الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى
فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم
ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب
ولا خير فى صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف
قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او
سكت فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان احبكم الى واقربكم

منى مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون
وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون
عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات
وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة
الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور اوساطها وقوله احبب
حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيمة
وقوله فى بعض دعائه اللهم انى اسئلك رحمة تهدى بها قلبى وتجمع بها امرى
وتلم بها شعثى وتصلح بها غايبى وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى وتلهمنى
بها رشدى وترد بها الفتى وتعصمنى بها من كل سوء اللهم انى اسئلك الفوز
فى القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى ما روته
الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وادعيته ومخاطباته و
عهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا
لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التى لم يسبق اليها ولا قدر احد ان يفرغ
فى قالبه عليها كقوله حمى الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر
مرتين والسعيد من وعظ بغيره فى اخواتها ما يدرك الناظر العجب فى مضمنها
ويذهب به الفكر فى ادانى حكمها وقد قال له اصحابه ما راينا الذى هو افصح منك
فقال وما يمنعنى وانما انزل القران بلسانى لسان عربى مبين وقال مرة اخرى
بيد انى من قريش ونشات فى بنى سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة
البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التاييد الالهى الذى

مَدَدُه الوحي الذي لا يحيط بعلمه بَشَرٌ وقالت ام معبد في وَصْفِها له حُلْوُ
المَنْطِق فصلٌ لا نَزْرٌ ولا هَذْرٌ كان منطقه خرزاتٌ نُظِمْن وكان جهير الصوت
حسنَ النغمة صلى الله عليه وسلم فصل واما اشرف نسبه وكرم بلده ومنشئه
فما لا يُحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مُشْكِلٍ ولا خفي منه فانه نُخْبَةُ بني
هاشمٍ سُلالةُ قريشٍ وصميمُها واشرف العرب واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه
ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده حدثنا قاضي القضاة
حسين بن محمد الصَّدَفِيُّ رحمه الله نا القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف حدثنا
ابو ذر عبدُ بن احمد نا ابو محمد السَّرَخْسِيُّ وابو اسحق وابو الهيثم نا محمد بن يوسف نا
محمد بن اسمعيل نا قُتَيْبَةُ بن سعيد نا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد
المَقْبُرِيِّ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بُعِثْتُ من خير قرون
بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس رضي الله عنه
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير
قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير
بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة ابن الاسقع قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل
بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني
من بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رواه
الطبري انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني ادم
ثم اختار بني ادم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا

ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم
ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب
فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل
ان يخلق ادم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق
الله ادم القى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاهبطني الله الى الارض في صلب ادم وجعلني في صلب نوح وقذف بي
في صلب ابرهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام
الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر
شعر العباس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور فصل واما ما تدعو
ضرورة الحيوة اليه مما فصلناه فعلى ثلثة ضروب ضربٌ الفضل في قلته وضرب
الفضل في كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه فاما ما التمدح والكمال بقلته
اتفاقا وعلى كل حال عادةً وشريعةً كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء
تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل على النَّهَم و
الحرص والشَّرَه وغلبة الشهوة مُسَبِّبٌ لمضار الدنيا والاخرة جالبٌ لأدواء
الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك
النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة
النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل
وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد
على هذا ما يُعلم ضرورةً ويوجد مشاهدةً وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة

وللحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث واثار من سلف
وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصاراً واقتصاراً على اشتهار العلم
به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا ما لا يدفع
من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه لاسيما بارتباط احدهما بالاخر حدثنا
ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه نا ابو الفضل الاصبهاني حدثنا ابو نعيم الحافظ
نا سليمان بن احمد نا بكر بن سهل نا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح ان يحيى
بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ
ابن ادم وعاءً شراً من بطنه حسب ابن ادم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة
فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة الشرب والاكل
قال سفيان الثوري بقلة الطعام تملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تاكلوا
كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم
انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي وعن عايشة رضي الله
عنها لم يمتل جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله لا يسالهم
طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض
على هذا بحديث بريرة وقوله الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله
عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ راهم لم يقدموا اليه مع
علمه انهم لا يستاثرون عليه به فصدق عليهم ظنه صلى الله عليه وسلم وبين
لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان يا بني اذا
امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة

وقال سحنون لا يصلح العلم لمن ياكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله صلى الله
عليه وسلم اما انا فلا اكل متكيا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعدد في الجلوس له
كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على
هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان
جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس
كما يجلس العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك
نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الاثار الصحيحة ومع ذلك
فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا
على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنا لهدو القلب وما يتعلق به من الاعضا
الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول
واذا نام النايم على الايمن تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق
فصل والضرب الثاني مما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما
النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر
بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة ماثورة وقد
قال ابن عباس رضي الله عنهما افضل هذه الامة اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله
عليه وسلم وقد قال عليه الصلوة والسلام تناكحوا فاني مباه بكم الامم ونهى عن
التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر الذي نبه عليهما صلى الله عليه وسلم
بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج حتى لم يره العلماء
مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله قد حببن الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم

فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة كثير الزوجات
والسرارى كثيرى النكاح وحكى فى ذلك عن على والحسن وابن عمر رضى الله عنهم
وغيرهم غير شئ وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون النكاح
وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا عليهما السلام قد اثنى الله تعالى عليه انه كان
حصورا فكيف يثنى الله عليه بالعجز عما تعد فضيلة وهذا عيسى عليه السلام
تبتل من النساء ولو كان كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى بانه حصور
ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا ولا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد
العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالانبياء عليهم السلام وانما معناه
انه معصوم من الذنوب اى لا ياتيها كانه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات
وقيل ليست له شهوة فى النساء فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح
نقص وانما الفضل فى كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى عليه السلام او
بكفاية من الله كيحيى صلى الله عليه وسلم فضيلة زائدة لكونها شاغلة فى كثير من الاوقات
حاطة الى الدنيا ثم هى فى حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله
عن ربه درجة عليا وهى درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذى لم تشغله كثرتهن
عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن
وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ
دنيا غيره فقال حبب الى من دنياكم فدل ان حبه لما ذكر من النساء والطيب التى
من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل لاخرته للفوائد التى ذكرناها
فى التزويج وللقاء الملائكة فى الطيب ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه

ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه
الحقيقى المختص بذاته فى مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين
الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة عينى فى الصلوة فقد ساوى يحيى وعيسى
عليهما السلام فى كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم
ممن اقدر على القوة فى هذا واعطى الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح
لغيره وقد روينا عن انس رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه
فى الساعة من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث انه اعطى قوة
ثلاثين رجلا اخرجه النسائى وعن طاوس اعطى صلى الله عليه وسلم قوة اربعين
رجلا فى الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت سلمى مولاته طاف النبى صلى الله عليه
وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة قبل ان ياتى الاخرى وقال هذا اطهر
واطيب وروى نحوه عن ابى رافع وقد قال سليمن عليه السلام لاطوفن الليلة على
مائة امراة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان فى ظهر
سليمن عليه السلام ماء مائة رجل وكانت له ثلثمائة امراة وثلثمائة سرية وحكى
النقاش سبعمائة امراة وثلثمائة سرية وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله
من عمل يده تسع وتسعون امراة وتمت بزوجه اوريا مائة وقد نبه على ذلك فى الكتاب
العزيز بقوله تعالى ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة وفى حديث انس عنه عليه السلام
فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه
فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه فى القلوب وقد قال تعالى فى صفة
عيسى عليه السلام وجيها فى الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس

لعقبى الاخرة فلذلك ذمّه من ذمّه ومدحه من مدحه وورد في الشرع مدح الخمول
وذم العلو في الارض وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في
القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه
ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته
واخباره في ذلك معروفة سياتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره
كما روى عن قيلة انها لما رأته أرعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك
السكينة وفي حديث ابي مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال له هوّن عليك
فاني لست بملك الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة
وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الاخرة
سيّد ولد ادم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم باسره فصل واما الضرب
الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله
ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته
وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه
منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وامله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي
والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا واذا
صرفه في وجوه البر وانفقه في سبل الخير وقصد بذلك الله والدار الاخرة كان
فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا
على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة
بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال وفضيلته عند

مفضله

مفضله ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه
اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملئ بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا
متمدح عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه
اذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال
له فكانه ليس في يده منه شيء والمنفق ملئ غني بتحصيله فوائد المال وان لم يبق
في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه تجده قد اوتي خزائن
الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته
صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام
والعراق وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه
وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استاثر بشيء منه ولا امسك منه درهما
بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا
ذهبا يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده لديني واتته دنانير مرة فقسمها
وبقيت منها ستة فدفعها لبعض نسائه فلم ياخذه نوم حتى قام وقسمها وقال
الآن استرحت ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته و
ملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما
وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على
من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره اذ المباهاة في
الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء
والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط

لمروءة جنسه مما لا يؤدى الى الشهرة فى الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر
فيه فى العادة عند الناس انما تعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك
التباهى بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الاته وخدمه ومركوباته ومن ملك
الارض وجبى اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حايز لفضيلة المالية
ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زايدا عليها فى الفخر ومغرق فى
المدح باضرابه عنها وزهده فى فانيها وبذلها فى مظانها فصل واما الخصال
المكتسبة من الاخلاق الحميدة والاداب الشريفة التى اتفق جميع العقلاء على
تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى
الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها
بانه من اجزاء النبوة وهى المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال فى قوى النفس
واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا
صلى الله عليه وسلم على الانتهاء فى كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله تعالى
عليه بذلك فقال وَاِنَّكَ لَعَلٰى خُلُقٍ عَظِيمٍ قالت عايشة رضى الله عنها كان خلقه
القران يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه السلام بُعِثْتُ لِاُتَمِّمَ مَكَارِمَ
الاخلاق قال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن
على ابن ابى طالب رضى الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها فى
اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة الا بجود الهى وخصوصية
ربانية وهكذا لساير الانبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك
كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام بل غرزت

فيهم هذه الاخلاق فى الجبلة واودعوا العلم والحكمة فى الفطرة قال الله تعالى
وَاٰتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا قال المفسرون اعطى يحيى العلم بكتاب الله تعالى فى حال
صباه وقال معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب معنا
فقال اللعب خلقت وقيل فى قوله مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ صدق يحيى بعيسى وهو
ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو فى بطن امه
فكانت ام يحيى تقول لمريم انى اجد ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك تحية له وقد نص
الله على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لها اَلَّا تَحْزَنِى على من قرأ من تحتها
وعلى قول من قال ان المنادى عيسى ونص على كلامه فى مهده فقال اِنِّى عَبْدُ اللهِ
اٰتَانِىَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا وقال فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمٰنَ وَكُلًّا اٰتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وقد
ذكر من حكم سليمن وهو صبى يلعب فى قصة المرجومة وفى قصة الصبى ما اقتدى
به داود ابوه وحكى الطبرى ان عمره كان حين اوتى الملك اثنى عشر عاما وكذلك
قصة موسى عليه السلام مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون
فى قوله وَلَقَدْ اٰتَيْنَا اِبْرٰهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ اى هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره
وقال بن عطاء اصطفاه قبل ابداء خلقه وقال بعضهم لما ولد ابرهيم بعث الله
اليه ملكا يامره عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل
افعل فذلك رشده وقيل ان القاء ابرهيم عليه السلام فى النار ومحنته كانت
وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء اسحق بالذبح وهو ابن سبع سنين وان استدلال
ابرهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحى الى
يوسف وهو صبى عند ما هم اخوته بالقائه فى الجب يقول تعالى وَاَوْحَيْنَا اِلَيْهِ

لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هٰذَا الاية الى غير ذلك مما ذُكر من اخبارهم وقد حكى اهل
السّير انّ امنة بنت وهب اخبرت انّ نبيّنا محمّدا صلّى الله عليه وسلّم وُلِدَ حين
وُلِدَ باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السّماء وقال فى حديثه صلّى الله
عليه وسلّم لمّا نشأتُ بُغِّضَتْ الىّ الاوثان وبُغِّض الىّ الشّعر ولم اهُمّ بشىء ممّا
كانت الجاهليّة تفعله الّا مرّتين فعصمنى الله منهما ثمّ لم اعُدْ ثمّ يتمكّن الامر لهم
وتترادف نفحات الله عليهم وتُشرقُ انوار المعارف فى قلوبهم حتى يصلوا الغاية
ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوّة فى تحصيل هذه الخصال الشّريفة
النّهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ
حُكْمًا وَعِلْمًا وقد نجد غيرهم يُطبَع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد
عليها فيسهُل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خِلقة بعض
الصّبيان على حُسن السّمت او الشّهامة او صدق اللّسان او السّماحة وكما نجد
بعضهم على ضدّها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرّياضة والمجاهدة يُستجلب
معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت النّاس فيها وكلٌّ
ميسّرٌ لما خلق له ولهذا ما قد اختلف السّلف فيها هل هذا الخلق جبلّة او مكتسبة
فحكى الطّبرى عن بعض السّلف انّ الخلق الحسن جبلّة وغريزة فى العبد وحكاه
عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال هو والصّواب ما اصّلناه وقد روى
سعد عن النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال كلّ الخلال يُطبَع عليها المؤمن الّا الخيانة
والكذب وقال عمر بن الخطّاب فى حديثه والجرأة والجبن غرايز يضعها الله حيث
يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ولكنّا نذكر اصولها ونشير

الى جميعها ونحقّق وصفه صلّى الله عليه وسلّم بها ان شاء الله تعالى فصل
وامّا اصل فروعها وعُنصُرُ ينابيعها ونقطة دايرتها فالعقل الّذى منه ينبعث
العلم والمعرفة ويتفرّع عن هذا ثقوبُ الرّاى وجودةُ الفطنة والاصابة وصدق
الظّنّ والنّظر للعواقب ومصالح النّفس ومجاهدة الشّهوة وحسن السّياسة
والتّدبير واقتناء الفضائل وتجنُّب الرّذائل وقد اشرنا الى مكانه منه صلّى الله
عليه وسلّم وبلوغه منه ومن العلم الغاية الّتى لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة
محلّه من ذلك وممّا تفرّع منه متحقّق عند من تتبّع مجارى احواله واطّراد سيره
وطالع جوامع كلامه وحسن شمايله وبدايع سيره وحِكَم حديثه وعلمه بما
فى التّورية والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وايّامها
وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشّرايع وتاصيل الاداب النّفيسة
والشّيم الحميدة الى فنون العلم الّتى اتّخذ اهلها كلامه عليه السّلام فيها قدوة
واشاراته حجّة كالعبارة والطّبّ والحساب والفرايض والنّسب وغير ذلك
ممّا سنبيّنه فى معجزاته ان شاء الله تعالى دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة
كتب من تقدّم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبىّ امّىّ لم يُعرف بشىء من ذلك حتّى شرح
الله صدره وابان امره وعلّمه واقراه يُعلَم ذلك بالمطالعة والبحث من حاله ضرورة
وبالبرهان القاطع على نبوّته نظرا فلا نطوّل بسرد الاقاصيص وآحاد القضايا
اذ مجموعها ما لا ياخذه حصرٌ ولا يحيط به حفظ جامعٌ وبحسب عقله كانت
معارفه صلّى الله عليه وسلّم الى ساير ما علّمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما
كان وعجايب قدرته وعظيم ملكوته قال تعالى وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ

اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً حارت العقول في تقدير فضله عليه وخرست الألسن دون
وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع
القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات
عند الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند الآلام والموذيات ومثلها
الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو فهو ترك المواخذة وهذا كله مما ادب الله به
نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ الاية روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الاية سال جبريل عليه السلام عن تاويلها
فقال له حتى اسئل العالم ثم ذهب ثم اتاه فقال يا محمد ان الله يامرك أَنْ تَصِلَ مَنْ
قَطَعَكَ وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ الاية
وقال فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وقال وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا الاية وقال
وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ولا خفاء بما يوثر من حلمه واحتماله وان
كل حليم قد عُرِفَتْ منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد
مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا انا محمد بن عتاب ثنا ابو بكر بن وافد القاضي وغيره ثنا
ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عايشة قالت
ما خُيِّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما
فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه
الا ان تُنْتَهَكَ حرمة الله فينتقم لله بها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ وَشُجَّ وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت

عليهم

عليهم فقال اني لم أُبْعَثْ لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم
لا يعلمون وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي
يا رسول الله لقد دعى نوح على قومه فقال رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ الاية ولو دعوت
علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد وُطِئَ ظهرك وأُدْمِيَ وجهك وكسرت
رَبَاعِيَتُكَ فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال
القاضي ابو الفضل رضي الله عنه انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات
الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يَقْتَصِرْ صلى الله
عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع
لهم فقال اللهم اغفر او اهد ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم
اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه
قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزده في جوابه أَنْ بَيَّنَ له ما جهله ووعظ نفسه
وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل
ونهى من اراد من اصحابه قتله ولما تصدى له غَوْرَثُ بن الحرث لِيَفْتِكَ به ورسول
الله صلى الله عليه وسلم مُنْتَبِذٌ تحت شجرة وحده قايلا والناس قايلون في غزاة
فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم والسيف صَلْتاً في يده فقال
من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم
وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخِذٍ فتركه وعفى عنه فجاء الى قومه فقال جئتكم
من عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة
بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه لم يواخذ لَبِيدَ بن الاعصم اذ سَحَرَهُ وقد اعلم

به واوحى اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم
يواخذ عبد الله بن أُبَيّ واشباهه من المنافقين بعظيم ما نُقِل عنهم فى جهته
قولا وفعلا بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يُتَحَدَّثُ ان محمدا يقتل اصحابه وعن
انس قال كنت مع النبىّ صلى الله عليه وسلم وعليه بُرْدٌ غليظ الحاشية فجَبَذَهُ
اعرابىّ بردائه جبذة شديدة حتى اثّرت حاشية البرد فى صفحة عاتقه ثم قال يا
محمّد احمل لى على بعيرىّ هذين من مال الله الّذى عندك فانك لا تحمل لى من مالك
ولا من مال ابيك فسكت النبىّ صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا
عبده ثم قال ويُقادُ منك يا اعرابىّ ما فعلتَ بى قال لا قال لِمَ قال لانك لا تكافئ
بالسّيئة السّيئة فضحك النبىّ صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يُحْمَلَ له على بعير شعير
وعلى الآخر تمر قالت عايشة رضى الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
منتصرًا مِنْ مَظْلِمَةٍ ظُلِمَهَا قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب بيده
شيئا قطّ الّا ان يجاهد فى سبيل الله وما ضرب خادما قطّ ولا امرأة وجئ اليه
برجل فقيل هذا اراد ان يقتلك فقال له النبىّ صلى الله عليه وسلم لَنْ تُرَاعَ لن تراع
ولو اردت ذلك لم تُسَلَّطْ علىّ وجاء زيد بن سَعْنَةَ قبل اسلامه يتقاضاه دَيْنًا عليه
فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال يا بنى عبد المطّلب مُطُلٌ
فَانْتَهَرَهُ عُمَرُ وَشَدَّدَ لَهُ فى القول والنبىّ صلى الله عليه وسلم يتبسّم فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا وهو كنّا الى غير هذا منك احوج يا عمر تامرنى بحسن القضاء
وتامره بحسن التقاضى ثم قال لقد بقى من اجله ثلاث وامر عمر يقضيه ماله ويزيده
عشرين صاعا لِمَا رَوَّعَهُ فكان سبب اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقى من علامات

النّبوّة شئ الّا وقد عرفتها فى محمّد الّا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا
تزيده شدّة الجهل الّا حلما فاختبرته بهذا فوجدته كما وُصِف والحديث عن حلمه
وصبره عليه السّلام وعفوه عند المقدرة اكثر من ان ناتى عليه وحسبك
ما ذكرناه ممّا فى الصّحيح والمصنّفات الثّابتة الى ما بلغ متواترًا مبلغ اليقين من
صَبْرِهِ على مُقَاسات قريش واذى الجاهليّة ومصابرته الشّدايد الصّعبة معهم
الى ان اظفره الله عليهم وحكّمه فيهم وهم لا يشكّون فى استيصال شأفتهم
وابادةِ خَضْرائهم فما زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون انى فاعل بكم قالوا
خيرًا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخى يوسف لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الآية
اذهبوا فانتم الطّلقاء وقال انس هَبَطَ ثمانون رجلا مِنَ التَّنْعِيمِ صلاة الصّبح
ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاُخِذُوا فاعتقهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانزل الله وَهُوَ الَّذِى كَفَّ اَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ الآية وقال لابى سفيان
وقد سيق اليه بعد اَنْ جَلَبَ اليه الاحزاب وقتل عمّه واصحابه ومثّل بهم فعفى
عنه ولاطَفَهُ فى القول ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم ان لا اله الّا الله
فقال بابى انت وامّى ما اَحْلَمَكَ وَاَوْصَلَكَ واكرمك وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابعد النّاس غضبا واسرعهم رِضًى صلى الله عليه وسلم فصل
وامّا الجود والكرم والسّخاء والسّماحة فمعانيها متقاربة وقد فرّق بعضهم بينها
بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النّفس فيما يَعْظُمُ خطره ونفعه وَسَمَّوْهُ
ايضا حُرِّيَّةً وهو ضدّ النَّذالةِ والسّماحة التّجافى عمّا يستحقّه المرء عند غيره
بطيب نفس وهو ضدّ الشّكاسةِ والسّخاء سهولة الانفاق وتجنّبُ اكتساب

ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى فى
هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى وبهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضى
الشهيد ابو على الصدفى رحمه الله ثنا القاضى ابو الوليد الباجى ثنا ابو ذر الهروى
ثنا ابو الهيثم الكشميهنى وابو محمد السرخسى وابو اسحق البلخى قالوا ثنا ابو عبد الله
الفربرى ثنا البخارى ثنا محمد بن كثير انا سفيان عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد
الله يقول ما سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن شىء فقال لا وعن انس وسهل
بن سعد مثله وقال ابن عباس كان النبى صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير
واجود ما كان فى شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل اجود بالخير من الريح المرسلة
وعن انس ان رجلا ساله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده وقال اسلموا فان
محمدا يعطى عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة من الابل واعطى صفوان
مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد
قال له ورقة انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا
ستة الاف واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون الف
درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها و
جاءه رجل فساله فقال ما عندى شىء ولكن ابتع على فاذا جاءنا شىء قضيناه
فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبى صلى الله عليه وسلم ذلك
فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا فتبسم
صلى الله عليه وسلم وعرف البشر فى وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذى و
ذكر عن معوذ بن عفراء اتيت النبى صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يريد

طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطانى ملء كفه حليا وذهبا قال انس كان النبى
صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد والخبر بجوده صلى الله عليه وسلم وكرمه
كثير وعن ابى هريرة اتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم يساله فاستسلف له
رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه
وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة
فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها
الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف وكان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان
الذى لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة
وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت له
فرة وحفظت عنه جولة سواه حدثنا ابو على الجيانى فيما كتب لى قال نا
القاضى سراج نا ابو محمد الاصيلى نا ابو زيد الفقيه نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل
نا ابن بشار نا غندر نا شعبة عن ابى اسحق سمع البراء وساله رجل افررتم يوم حنين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر
ثم قال لقد رايته على بغلته البيضاء وابو سفيان اخذ بلجامها والنبى صلى الله
عليه وسلم يقول انا النبى لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب قيل فما رئى
يومئذ احد كان اشد منه وقال غيره نزل النبى صلى الله عليه وسلم عن بغلته
وذكر المسلم عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين
فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وانا اخذ بلجامها
اكفها ارادة الا تسرع وابو سفيان اخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه
شيء وقال ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه انا كنا اذا حمي الباس ويروى اشتد
الباس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد
اقرب الى العدو منه ولقد رايتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم
وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ باسا وقيل كان الشجاع هو
الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنى العدو لقربه منه وعن انس كان
النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع الناس ولقد
فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقيهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرا الخبر على فرس لابي طلحة عري
والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين ما لقي صلى الله
عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب ولما راه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول
اين محمد لا نجوت ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدا يوم
بدر عندي فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله فلما راه يوم احد شد ابي على فرسه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه
وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من [illegible] الصمة فانتفض بها انتفاضة
تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا [illegible] ثم استقبله النبي صلى الله
عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تداداً منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا

من اضلاعه فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا باس بك فقال لو كان
ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف
في قفولهم الى مكة فصل واما الحياء والاغضاء والحياء رقة تعتري وجه
الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا من فعله والاغضاء التغافل
عما يكره الانسان بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء و
اكثرهم عن العورات اغضاء قال الله سبحانه ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم
الاية وحدثنا ابو محمد بن عتاب رحمه الله بقراءتي عليه نا ابو القاسم حاتم بن محمد نا
ابو الحسن القابسي نا ابو زيد المروزي نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا عبدان
انا عبد الله انا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى انس عن ابي سعيد الخدري
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا
كره شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر
لا يشافه احدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عايشة رضي الله عنها كان صلى
الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول
ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى انس انه دخل
عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج قال
لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عايشة في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه
وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا [illegible] بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن
يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التورية من رواية بن سلام وعبد الله بن
عمرو بن العاص وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان من حيايه لا يثبت بصره في

وجه احد وانه كان يكنى عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عايشة ما رايت
فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط فصل واما حسن عشرته وادبه وبسط
خلقه صلى الله عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار الصحيحة
قال على رضى الله عنه فى وصفه عليه السلام كان اوسع الناس صدرا واصدق
الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا ابو الحسن على بن مشرف الانماطى
فيما اجازنيه وقراءته على غيره قال نا ابو اسحق الحبال نا ابو محمد النحاس نا ابن الاعرابى نا
ابو داود نا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى قالا ثنا الوليد بن مسلم نا الاوزاعى قال
سمعت يحيى بن ابى كثير يقول حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن قيس
بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة فى اخرها فلما اراد الانصراف
قرب له سعد حمارا وطاء عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لى رسول الله
صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت
وفى رواية اخرى اركب امامى فصاحب الدابة اولى بمقدمها وكان صلى الله عليه وسلم
يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم
من غير ان يطوى عن احد منهم بشره ولا خلقه يتفقد اصحابه ويعطى كل جلسايه نصيبه
لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون
هو المنصرف عنه ومن ساله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس
بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده فى الحق سواء بهذا وصفه ابن ابى هالة قال
وكان دايم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش

ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهى ولا يويس منه وقال الله تعالى فبما رحمة
من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال ادفع بالتى
هى احسن الاية وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافى عليها
قال انس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى اف قط وما
قال لشىء صنعته لم صنعته ولا لشىء تركته لم تركته وعن عايشة رضى الله عنها ما
كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه
ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله ما حجبنى رسول الله صلى الله عليه
وسلم منذ اسلمت ولا رانى الا تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم
ويداعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره ويجيب دعوة العبد والحر والامة والمسكين
ويعود المرضى فى اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال انس ما التقم احد اذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فينحى راسه حتى يكون الرجل هو الذى ينحى راسه وما اخذ
احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الاخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدى جليس له
وكان يبدا من لقيه بالسلام ويبدا اصحابه بالمصافحة ولم ير قط مادا رجليه بين
اصحابه حتى يضيق بهما على احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويوثره
بالوسادة التى تحته ويعزم عليه فى الجلوس عليها ان ابى ويكنى اصحابه ويدعوهم باحب
اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهى او قيام ويروى
بانتهاء او قيام وروى انه كان لا يجلس اليه احد وهو يصلى الا خفف صلاته وساله
عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل
قران او يعظ او يخطب قال عبد الله بن الحارث ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول

الله صلى الله عليه وسلم وعن انس كان خدم المدينة ياتون رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بانية الا غمس يده فيها وربما
كان ذلك فى الغداة الباردة يريدون به التبرك فصل واما الشفقة والرافة
والرحمة لجميع الخلق فقد قال تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
رؤف رحيم وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه
السلام ان الله اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم وحكى نحوه
الامام ابو بكر بن فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشنى بقراءتى
عليه نا امام الحرمين ابو على الطبرى نا عبد الغافر الفارسى نا ابو احمد الجلودى نا
ابرهيم بن سفيان نا مسلم بن الحجاج نا ابو الطاهر انا ابن وهب انا يونس عن ابن شهاب
قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى رسول الله صلى
الله عليه وسلم صفوان ابن امية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب حدثنا
سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطانى ما اعطانى وانه لابغض
الخلق الى فما زال يعطينى حتى انه لاحب الخلق الى وروى ان اعرابيا جاءه يطلب
منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابى لا ولا اجملت فغضب
المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل اليه وزاده
شيئا ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له
النبى صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفى انفس اصحابى من ذلك شئ فان
احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب ما فى صدورهم عليك
قال نعم فلما كان الغد او العشى جاء فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابى قال

ما قال فزدناه فزعم انه رضى اكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا
فقال صلى الله عليه وسلم مثلى ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه
فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بينى وبين ناقتى فانى
ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها حتى
جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وانى لو تركتكم حيث قال
الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا
يبلغنى احد منكم عن احد من اصحابى شيئا فانى احب ان اخرج اليكم وانا سليم
الصدر ومن شفقته على امته صلى الله عليه وسلم تخفيفه وتسهيله عليهم و
كراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم كقوله لولا ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك
مع كل وضوء وخبر صلوة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة
لئلا يعنت امته ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان يسمع
بكاء الصبى فيتجوز فى صلوته ومن شفقته صلى الله عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده
فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا
وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليه السلام فقال
له ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتامره
بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرنى بما شئت ان شئت
ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبى صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله
من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر ان جبريل
صلى الله عليه وسلم قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان الله امر السماء والارض

ولجبال ان تطيعك فقال اؤخر عن امتى لعل الله ان يتوب عليهم قالت عايشة
رضى الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما
وقال ابن مسعود رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة
مخافة السآمة علينا وعن عايشة رضى الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة
فجعلت تردده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق فصل واما
خلقه صلى الله عليه وسلم فى الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضى
ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراءتى عليه قال نا ابو بكر محمد بن محمد نا ابو اسحق الحبال نا
ابو محمد بن النحاس نا ابن الاعرابى نا ابو داود نا محمد بن يحيى نا محمد بن سنان نا ابرهيم
بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن
ابى الحمساء رضى الله عنه بايعت النبى صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث
وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها فى مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث
فجئت فاذا هو فى مكانه فقال يا فتى لقد شققت على انا ههنا منذ ثلاث انتظرك
وعن انس رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا اتى بهدية قال اذهبوا
بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة وعن عايشة
رضى الله عنها قالت ما غرت على امراة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها
وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلايلها واستاذنت عليه اختها فارتاح اليها
ودخلت عليه امراة فهش لها واحسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت
تاتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان ووصفه بعضهم فقال كان يصل
ذوى رحمه من غير ان يوثرهم على من هو افضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم

ان ال ابى فلان ليسوا لى باولياء غير ان لهم رحما سابلها ببلالها وقد صلى عليه
الصلوة والسلام بامامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها
واذا قام حملها وعن ابى قتادة وفد وفد للنجاشى فقام النبى صلى الله عليه وسلم
يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وانى احب
ان اكافيهم ولما جئ باخته من الرضاعة الشيماء فى سبايا هوازن وتعرفت
له بسط لها رداءه وقال لها ان احببت اقمت عندى مكرمة محببة او متعتك
ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رايت النبى صلى
الله عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امراة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست
عليه فقلت من هذه قالوا امه التى ارضعته وعن عمرو بن السايب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه
فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه ثم
اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه وكان
يبعث الى ثويبة مولاة ابى لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سال من بقى من
قرابتها فقيل لا احد وفى حديث خديجة رضى الله عنها انها قالت له صلى الله عليه
وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم
وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فصل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم
على علو منصبه ورفعة رتبته فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك
انه خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل
عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد ادم يوم القيمة واول

من تنشق الارض عنه واول شافع حدثنا ابو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله
بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة قال نا ابو علي الحافظ نا ابو
عمر نا ابن عبد المؤمن نا ابن داسة حدثنا ابو داود نا ابو بكر بن ابي شيبة نا عبد الله
بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي العدبس عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي
امامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا فقمنا له
فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا وقال انما انا عبد اكل كما
ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود
المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم
حيث ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر عنه لا تطروني كما اطرت النصارى
ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس ان امراة كان في عقلها
شيء جاءته فقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة
شئت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه
وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف
عليه اكاف قال وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب قال وحج
رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم
فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى
في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على
رحله راسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه

وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني
على موسى ونحن احق بالشك من ابرهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت
الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك ابرهيم وسياتي الكلام على هذه
الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى وعن عايشة والحسن وابي سعيد وغيرهم
في صفته وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته
ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف
ناضحه وياكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن انس ان كانت
الامة من اماء اهل المدينه لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به
حيث شاءت حتى تقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة
فقال له هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وعن
ابي هريرة دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوازن
وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده
وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل
فذهبت لاحمله فقال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله فصل واما عدله
صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم
امن الناس واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له
بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحق كان يسمى الامين
بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين
على انه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلف قريش وتحازبت عند بناء الكعبة

فيمن يضع الحجر حكموا اوّل داخلٍ عليهم فإذا بالنبيّ صلى الله عليه وسلّم داخلٌ
وذلك قبل نبوّته فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الرّبيع ابن خُثيمٍ
كان يُتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلّم فى الجاهليّة قبل الاسلام وقال صلى
الله عليه وسلّم والله انّى لامين فى السّماء وامين فى الارض حدّثنا ابو على الصّدفى
الحافظ بقراءتى عليه نا ابو الفضل بن خيرون نا ابو يعلى بن زوج الحُرّة نا ابو على
السّنجى نا محمد بن محبوب المروزىّ نا ابو عيسى الحافظ نا ابو كُريب نا معاوية بن هشام
عن سفيان عن ابى اسحق عن ناجيَة بن كعب عن علىّ انّ ابا جهل قال للنّبىّ صلى الله عليه
وسلّم انا لا نكذّبك ولكن نكذّب بما جئت به فانزل الله تعالى فإنّهم لا يكذّبونك
الآية وروى غيره لا نكذّبك ولا انت فينا بمكذَّبٍ وقيل انّ الاخنس بن شريق لقى
ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيرى وغيرك يسمع كلامنا تخبرنى عن
محمّد اصادق ام كاذب فقال ابو جهل والله انّ محمّدا لصادق وما كذب محمّد قطّ
وسأل هرقل عنه ابا سفيان فقال هل كنتم تتّهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال
قال لا وقال النّضر بن الحرث لقريش قد كان محمّد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم
واصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتّى اذا رايتم فى صُدغيه الشّيب وجاءكم بما
جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر وفى الحديث عنه ما لمست يده يد
امراة قطّ لا يملك رقّها وفى حديث علىّ فى وصفه عليه السّلام اصدق النّاس
لهجة وقال فى الصّحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبتُ وخسرتُ ان لم اعدل
قالت عايشة ما خُيّر رسول الله صلى الله عليه وسلّم فى امرين الّا اختار ايسرهما
ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد النّاس منه قال ابو العبّاس المُبرّد قسّم كسرى

ايّامه فقال يصلح يوم الرّيح للنّوم ويوم الغيم للصّيد ويوم المطر للشّرب واللّهو ويوم
الشّمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من
الحيوة الدّنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ولكن نبيّنا عليه السّلام جزّأ نهاره
ثلثة اجزاء جزءا لله وجزءا لاهله وجزءا لنفسه ثمّ جزّأ جزءه بينه وبين النّاس
فكان يستعين بالخاصّة على العامّة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغى
فانّه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها آمنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن
كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم لا ياخذ احدا بقرف احدٍ ولا يصدّق احدا
على احد وذكر ابو جعفر الطّبرىّ عن علىّ عنه صلى الله عليه وسلّم ما هممت بشئ
ممّا كان اهل الجاهليّة يعملون به غير مرّتين كلّ ذلك يحول الله بينى وبين ما اريد
من ذلك ثمّ ما هممت بسوء حتّى اكرمنى الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى
معى لو ابصرت لى غنمى حتّى ادخل مكّة فاسمر بها كما يسمر الشّباب فخرجت لذلك
حتّى جئت اوّل دار من مكّة سمعت عزفا بالدّفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست
انظر فضرب على اذنى فنمت فما ايقظنى الّا مسّ الشّمس فرجعت ولم اقض شيئا
ثمّ عرانى مرّة اخرى مثل ذلك ثمّ لم اهمّ بعد ذلك بسوء فصل واما وقاره
صلى الله عليه وسلّم وصمته وتؤدته ومروّته وحسن هديه فحدّثنا ابو على
الجيانىّ الحافظ اجازة وعارضت بكتابه قال نا ابو العبّاس الدّلائى نا ابو ذرّ
الهروىّ انا ابو عبد الله الورّاق نا اللّؤلؤىّ نا ابو داود نا عبد الرّحمن بن سلام نا
حجّاج بن محمّد عن عبد الرّحمن ابن ابى الزّناد عن عمر بن عبد العزيز عن وهيبٍ سمعت
خارجة بن زيد يقول كان النّبىّ صلى الله عليه وسلّم اوقر النّاس فى مجلسه لا يكاد

يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم
محتبيا وعن جابر بن سمرة انه تربع وربما جلس القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان
كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما
وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له
واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن
فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وفي صفته يخطو تكفأ
ويمشي هونا كانما ينحط من صبب وفي الحديث الاخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته
انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود ان احسن
الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله كان في كلام رسول
الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل قال ابن ابي هالة كان سكوته على اربع على
الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحدث حديثا لو عده العاد احصاه وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب و
الرايحة الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما ويقول حبب الي من دنياكم
النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة ومن مروته صلى الله عليه وسلم
نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقاء
البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة فصل واما زهده في الدنيا فقد
تقدم من الاخبار اثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه عن
زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها الى ان توفي صلى

الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول
اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا حدثنا سفيان بن العاصي والحسين بن محمد الحافظ
والقاضي ابو عبد الله التيمي قالوا انا احمد بن عمر قال نا ابو العباس الرازي قال نا ابو
احمد الجلودي نا ابن سفيان نا ابو الحسين بن الحجاج نا ابو بكر بن ابي شيبة نا ابو معاوية
عن الاعمش عن ابرهيم عن الاسود عن عايشة قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلثة ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين
متواليين ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر ببال وفي رواية اخرى ما شبع ال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله تعالى وقالت عايشة ما ترك رسول
الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحرث
ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة قالت عايشة ولقد مات وما في
بيتي شيء ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال لي اني عرض علي ان تجعل لي
بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه
فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وفي حديث
اخر ان جبريل نزل عليه فقال ان الله يقرئك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل
هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا
دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك
الله يا محمد بالقول الثابت وعن عايشة قالت ان كنا ال محمد لنمكث شهرا ما نستوقد
نارا ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير وعن عايشة وابي امامة وابن عباس نحوه قال

ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالى المتتابعة طاويا لا يجدون
عشاء وعن انس قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان قط ولا في
سكرجة ولا خبز له مرقق ولا راى شاة سميطا قط وعن عايشة انما كان فراشه الذى
ينام عليه ادما حشوه ليف وعن حفصة كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في
بيتى مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتمو لى
الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فان وطاته منعتنى الليلة صلوتى وكان ينام
احيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن عايشة قالت لم يمتلئ جوف
النبى صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب
اليه من الغنى وان كان ليظل جايعا يلتوى طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام
يومه ولو شاء سال ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكى له
رحمة مما ارى به وامسح بيدى على بطنه مما به من الجوع واقول نفسى لك الفداء لو
تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عايشة ما لى وللدنيا اخوانى من اولى العزم من
الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مهم
ماٰبهم واجزل ثوابهم فاجدنى استحيى ان ترفهت في معيشتى ان يقصر بى غدا
دونهم وما من شىء هو احب الى من اللحوق باخوانى واخلائى قالت فما اقام بعد
الا اشهرا حتى توفى صلوات الله عليه فصل واما خوفه ربه وطاعته له وشدة
عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثناه ابو محمد ابن عتاب قراءة منى عليه
قال نا ابو القاسم الطرابلسى نا ابو الحسن القابسى نا ابو زيد المروزى نا ابو عبد الله
الفربرى نا محمد بن اسمعيل نا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد

بن المسيب ان ابا هريرة كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما
اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في روايتنا عن ابى عيسى الترمذى رفعه الى ابى
ذر انى ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها
موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات
تجارون الى الله لوددت انى شجرة تعضد روى هذا الكلام وددت انى شجرة تعضد
من قول ابى ذر نفسه وهو اصح وفى حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى انتفخت قدماه وفى رواية كان يصلى حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا
وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابى سلمة
وابى هريرة وقالت عايشة كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما
كان يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن
ابن عباس وام سلمة وانس وقال كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رايته مصليا
ولا نائما الا رايته نائما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة فاستاك ثم توضا ثم قام يصلى فقمت معه فبدا فاستفتح البقرة فلا يمر
باية رحمة الا وقف فسال ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث
بقدر قيامه يقول سبحان ذى الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل
ذلك ثم قرا ال عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال
سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرا البقرة وال عمران
والنساء والمائدة وعن عايشة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القران ليلة

وعن عبد الله بن الشخير اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز
كازيز المرجل قال ابن ابي هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان
دائم الفكرة ليست له رواحة وقال عليه السلام انى لاستغفر الله في اليوم مائة
مرة وروى سبعين مرة وعن علي رضى الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي
وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضى
غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيقي والطاعة حسبي
والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة وفي حديث اخر وثمرة فوادي في ذكره وغمي
لاجل امتي وشوقي الى ربي فصل اعلم وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبياء
والرسل صلوات الله عليهم من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن
الخلق وجميع المحاسن هي هذه الصفة لانها صفات الكمال والكمال والتمام البشري
والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع
الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض وقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد قال عليه السلام ان اول زمرة
يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال اخر الحديث على خلق رجل واحد على
صورة ابيهم ادم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث ابي هريرة رايت
موسى فاذا رجل ضرب رجل اقنى كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى فاذا هو رجل
ربعة كثير خيلان الوجه احمر كانه خرج من ديماس وفي حديث اخر مبطن مثل السيف
قال وانا اشبه ولد ابرهيم به وفي حديث اخر في صفة موسى كاحسن ما انت راى

من ادم الرجال وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى
من بعد لوط نبيا الا في ذروة من قومه ويروى في ثروة اى كثرة ومنعة وحكى الترمذي
عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن انس ما بعث الله نبيا الا حسن
الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وفي حديث
هرقل وسالتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في
انساب قومها وقال تعالى في ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقال
تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى
الى الصالحين وقال ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران الايتين وقال
في نوح انه كان عبدا شكورا وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى الصالحين
وقال انى عبد الله اتاني الكتاب الى قوله ما دمت حيا وقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين اذوا موسى الاية قال النبي عليه السلام كان موسى رجلا حييا ستيرا ما
يرى من جسده شيء استحياء الحديث وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الاية
وقال في وصف جماعة منهم انى لكم رسول امين وقال ان خير من استاجرت القوي
الامين وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب
كلا هدينا الى قوله فبهديهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح والهدى
والاجتباء والحكم والنبوة وقال فبشرناه بغلام حليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون
وجاءهم رسول كريم الى مبين وقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال في اسمعيل
انه كان صادق الوعد الايتين وفي موسى انه كان مخلصا وفي سليمن نعم العبد انه اواب
وقال واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار الى الاخيار

وفي داود انه اواب ثم قال وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب وقال
عن يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وفي موسى ستجدني ان شاء
الله صابرا وقال عن شعيب وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت وقال ولوطا اتيناه حكما وعلما وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات
الاية قال سفيان هو الحزن الدائم في اي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم
الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الاحاديث كثير كقوله انما الكريم ابن الكريم
ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب ابن اسحق ابن ابرهيم نبي بن نبي بن نبي ابن
نبي وفي حديث انس وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي
ان سليمن كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا وكان
يطعم الناس لذائذ الاطعمة وياكل خبز الشعير واوحي اليه يا راس العابدين وابن محجة
الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيامر الريح فتقف فينظر
في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف ما لك تجوع وانت على خزائن الارض قال اخاف
ان اشبع فانسى الجايع وروى ابو هريرة عنه عليه السلام خفف على داود القرآن
فكان يامر بدوابه فتسرج فيقرا القرآن قبل ان تسرج ولا ياكل الا من عمل يده
قال الله تعالى والنا له الحديد الى السرد وكان سال ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن
بيت مال الله وقال عليه السلام احب الصلوة الى الله صلوة داود واحب الصيام
الى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما
ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر وياكل خبز الشعير بالملح والرماد
ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السماء

حياء من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى
اتخذت الدموع في خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء
عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على الله
من ان يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر وياكل الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه النوم نام
وكان احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى عليه السلام لما ورد
ماء مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال عليه السلام لقد كان
الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم
وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان
اعود لساني النطق بالسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية
الله حتى اتخذت الدمع مجرى في خده وكان ياكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى
الطبري عن وهب ان موسى كان يستظل بعريش وياكل في نقرة من حجر ويكرع فيها
اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما اكرمه به من كلامه واخبارهم في هذا
كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة
مشهورة فلا نطول بها ولا نلتفت الى ما نجده في كتب بعض جهلة المورخين والمفسرين
مما يخالف هذا فصل قد اتينا اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة
وخصال الكمال العديدة واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الاثار
ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع
دون نفاده الادلاء وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه
بالمعروف مما اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل

وغيض من فيض ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن ابى
هالة لجمعه من شمائله واوصافه كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره وفضائله
ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضى ابو على الحسين بن محمد
الحافظ رحمه الله بقراءتى عليه سنة ثمان وخمسمائة قال حدثنا الامام ابو القاسم
عبد الله بن طاهر التميمى قرأت عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله
بن الحسن النيسابورى والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدى
والقاضى ابو على الحسن بن على بن جعفر الوخشى قالوا انا ابو القاسم على بن احمد بن
محمد بن الحسن الخزاعى قال انا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشى قال انا ابو عيسى محمد
بن عيسى بن سورة الحافظ قال نا سفيان بن وكيع نا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلى
املاء من كتابه قال حدثنى رجل من بنى تميم من ولد ابى هالة زوج خديجة ام
المؤمنين رضى الله عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن لابى هالة عن الحسن بن على بن ابى
طالب رحمه الله قال سألت خالى هند بن ابى هالة قال القاضى ابو على رحمه الله و
قرأت على الشيخ ابى طاهر احمد بن الحسن ابن احمد بن خذاداذ الكرجى الباقلانى قال
واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا انا ابو على الحسن
ابن احمد بن ابرهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسى قراءة عليه
فاقر به قال انا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى ابن الحسن ابن جعفر بن عبيد الله بن الحسين
ابن على بن الحسين بن على بن ابى طالب المعروف بابن اخى طاهر العلوى قال نا اسمعيل بن
محمد بن اسحق ابن جعفر ابن محمد بن على بن الحسين ابن على ابن ابى طالب قال حدثنى على بن
جعفر بن محمد بن على بن الحسين عن اخيه موسى بن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن على عن

على بن الحسين قال قال الحسن ابن على واللفظ لهذا السند سألت خالى هند بن ابى
هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجو ان يصف لى
منها شيئا اتعلق به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ
وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة
رجل الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره
ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب
اقنى العرنين له نور يعلوه ويحسبه من لم يتأمله اشم كث اللحية ادعج سهل الخدين
ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية فى صفاء
الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر مشيح الصدر بعيد ما
بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى
كالخط عارى الثديين مما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالى الصدر
طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الاطراف او قال سائن
الاطراف سبط العصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء
اذا زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشى هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب
واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء
جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام قلت صف لى منطقه
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له
راحة ولا يتكلم فى غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم
بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافى ولا المهين يعظم

النعمة وان دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا
تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار اشار
بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحته
اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر
عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد
سبقني اليه فسال اباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه وشكله
فلم يدع منه شيئا قال الحسين سالت ابي رضي الله عنه عن دخول رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه ماذونا له في ذلك فكان اذا اوى الى منزله
جزء دخوله ثلثة اجزاء جزءً لله تعالى وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم جزأ جزءه
بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته
في جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه قسمته على قدر فضلهم في الدين منهم ذو
الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوايج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم
والامة من مسئلته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم
الغائب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من ابلغ سلطانا حاجة
من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل
من احد غيره قال في حديث سفيان ابن وكيع يدخلون رُوّادا ولا يتفرقون الا عن
ذواقٍ ويخرجون ادلة يعني فقهاء قلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يغنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم
يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي

عن احد بشره وخلقه ويتفقد اصحابه ويسال عما في الناس ويحسن الحسن و
يصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا
او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من
الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم
مواساة وموازرة فسئلته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها
واذا انتهى الى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويامر بذلك ويعطي كل جلسائه
نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او من قاومه لحاجة
صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سال حاجة لم يرده الا بها او بميسور من
القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق متقاربين
متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى وصاروا عنده في الحق سواء مجلسه
مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى
فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون
فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسالته عن
سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا
عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلث الرياء
والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب
عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير

واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ
حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويعجب مما يتعجبون منه ويصبر
للغريب على الجفوة فى المنطق ويقول اذا رايتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا
يطلب الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء
او قيام هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الاخر قلت كيف كان سكوته صلى الله
عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره
ففى تسوية النظر والاستماع بين الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم
صلى الله عليه وسلم فى الصبر فكان لا يغضبه شئ يستفزه وجمع له فى الحذر
اربع اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الرأى بما اصلح
امته والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا والاخرة انتهى الوصف بحمد الله تعالى

فصل فى تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب اى البائن الطول فى
نحافة وهو مثل قوله فى الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذى كانه
مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الراس اراد ان انفرقت من
ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصته وازهر اللون نيره وقيل
ازهر حسن ومنه زهرة الحيوة الدنيا اى زينتها وهذا كما قال فى الحديث الاخر
ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق هو الناصع البياض والادم الاسمر اللون
ومثله فى الحديث الاخر ابيض مشرب اى فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل
الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة الانف
والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع فى حديث ام معبد وصفه

بالقرن

بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة وفى الحديث الاخر اشكل العين واسجر
العين وهو الذى فى بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان
وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد فى اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا
ودقيق المسربة خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك
معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله فى الحديث الاخر لم يكن بالمطهم ولا
بالمكلثم اى ليس بمسترخى اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر
اى مستويهما ومشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة فتكون من الاقبال وهو احد
معانى اشاح اى انه كان بادى الصدر ولم يكن فى صدره قعس وهو تطامن فيه
وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر اى ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن
ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع فى الرواية الاخرى و
حكاه ابن دريد والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله فى الحديث الاخر جليل
المشاش والكتد والمشاش رؤس المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين و
القدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسائل الاطراف اى طويل الاصابع
وذكر ابن الانبارى انه روى سائل الاطراف او قال سائن بالنون قال وهما بمعنى
واحد تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها واما على الرواية الاخرى وسائر
الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة فى الحديث ورحب الراحة
اى واسعها وقيل كنى به عن سعة العطاء والجود خمصان الاخمصين اى متجافى اخمص
القدم وهو الموضع الذى لا تناله الارض من وسط القدم ولهذا قال ينبو عنهما
الماء وفى حديث ابى هريرة خلاف هذا قال فيه اذا وطى بقدميه وطى بكلها

ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سُمّى المسيح بن مريم
اى لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا يخالفه قوله شثن القدمين
والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سَنَن المَمْشى وقصده والهون الرفق و
الوقار والذريع الواسع الخطو اى ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد
خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة
كما قال كانما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اى لسعة فمه
والعرب تمادح بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البَرَد
وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اى جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة
اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها فى جزء اخر بالعامة
ويدخلون رُوّادا اى محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا ينصرفون الا عن ذواق
قيل عن علم يتعلمونه ويُشبه ان يكون على ظاهره اى فى الغالب والاكثر والعتاد العُدّة
والشىء الحاضر المُعَدّ والمُوازرة المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن اى لا يتخذ لمصلاه
موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا مفسّرا فى غير هذا الحديث وصابره اى
حَبَس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحُرَم اى لا يُذكرن بسوء ولا تُنثى فلتاته
اى يُتحدّث بها اى لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد سُترت ويرفدون يعينون و
السخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكافىء قيل مقتصد فى ثنائه
ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافىء على يد سبقت من النبى صلى الله
عليه وسلم له ويستفزه يستخفه وفى حديث اخر فى وصفه منهوس العقب اى
قليل لحمها واهدب الاشفار اى طويل شعرها الباب الثالث فيما ورد من صحيح

الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به فى الدارين من
كرامته صلى الله عليه وسلم لا خلاف انه اكرم البشر وسيد ولد ادم وافضل
الناس منزلة عند الله تعالى واعلاهم درجة واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث
الواردة فى ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا
معانى ما ورد منها فى اثنى عشر فصلا الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند
ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد ادم وما خصه به فى
الدنيا من مزايا الرُتَب وبركة اسمه الطيب اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله ابن احمد
العدل اذنا بلفظه قال نا ابو الحسن الفرغانى حدثتنا ام القسم بنت ابى بكر بن يعقوب
عن ابيها حدثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى وهو ابن اسمعيل عن يحيى الحمانى نا
قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلنى من خيرهم قسما فذلك قوله تعالى اصحاب اليمين
واصحاب الشمال فانا من اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلنى
فى خيرها ثلثا وذلك قوله اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون السابقون
فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلنى من خيرها
قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل الاية فانا اتقى ولد ادم واكرمهم على
الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى من خيرها بيتا فذلك قوله انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس الاية وعن ابى سلمة عن ابى هريرة قال قالوا يا رسول الله متى
وجبت لك النبوة قال وادم بين الروح والجسد وعن واثلة بن الاسقع قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد

اسمعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفنى
من بنى هاشم ومن حديث انس انا اكرم ولد ادم على ربّى ولا فخر وفى حديث ابن عبّاس
انا اكرم الاوّلين والاخرين ولا فخر وعن عايشة عنه عليه السّلام اتانى جبريل فقال
قلّبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمّد ولم ار بنى اب افضل
من بنى هاشم وعن انس انّ النبىّ عليه السّلام اُتِىَ بالبراق ليلة اسرى فاستصعب
عليه فقال له جبريل ابمحمّد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفضّ عرقا
وعن ابن عبّاس عنه عليه السّلام لمّا خلق الله ادم اهبطنى فى صلبه الى الارض و
جعلنى فى صلب نوح فى السّفينة وقذف بى فى النّار فى صلب ابرهيم ثمّ لم يزل
ينقلنى فى الاصلاب الكريمة الى الارحام الطّاهرة حتّى اخرجنى بين ابوىّ لم يلتقيا
على سِفاح قطّ والى هذا اشار العبّاس ابن عبد المطّلب عمّه فيه بقوله • من قبلها طِبْتَ
فى الظّلال وفى • مستودَعٍ حيث يُخْصَفُ الوَرَقُ • ثمّ هبطتَ البلادَ لا بَشَرٌ
انت ولا مضغة ولا علق • بل نطفة تركب السّفين • وقد الجم نَسْرًا واهله الغرقُ •
تنقل من صالب الى رحم • اذا مضى عالم بدا طبق • وروى عنه صلى الله عليه وسلّم
ابوذرّ وابن عمر وابن عبّاس وابو هريرة وجابر ابن عبد الله انّه قال اُعْطِيتُ خمسا وفى
بعضها ستّا لم يعطهنّ نبىّ قبلى نُصِرْتُ بالرّعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض
مسجدا وطهورا فايّما رجل من امّتى ادركته الصّلوة فليصلّ واحلّت لى الغنايم ولم
تُحَلّ لنبىّ قبلى وبعثت الى النّاس كافّة واعطيت الشّفاعة وفى رواية بدل هذه
الكلمة وقيل لى سل تعطه وفى رواية اخرى وعُرِضَ علىّ امّتى فلم يخف علىّ التّابع من
المتبوع وفى رواية بعثت الى الاحمر والاسود وقيل السّود العرب لانّ الغالب على

الوانهم الادمة فهم من السّود والحمر العجم وقيل الابيض والسّود من الامم وقيل
الحمر الانس والسّود الجنّ وفى الحديث الاخر عن ابى هريرة نُصِرْتُ بالرّعب واوتيت
جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جيئ بمفاتيح خزائن الارض فوضعت فى يدى وفى
رواية اخرى عنه وختم بى النّبيّون وعن عقبة ابن عامر انّه قال عليه السّلام انّى
فرط لكم وانا شهيد عليكم وانّى والله لانظر الى حوضى الان وانّى قد اعطيت مفاتيح
خزائن الارض وانّى والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدى ولكنّى اخاف عليكم ان
تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمرو انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انا محمّد النّبىّ
الامّىّ لا نبىّ بعدى اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النّار وحملة العرش
وعن ابن عمر بعثت بين يدىّ السّاعة ومن رواية ابن وهب انّه عليه السّلام قال
قال الله تعالى سل يا محمّد فقلت ما اسئال يا ربّ اتّخذت ابرهيم خليلا وكلّمت
موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمن ملكا لا ينبغى لاحد من بعده ما
اعطيتك خير من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمى ينادى به فى
جوف السّماء وجعلت الارض طهورا لك ولامّتك وغفرت لك ما تقدّم من ذنبك
وما تاخّر فانت تمشى فى النّاس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت
قلوب امّتك مصاحفها وخبّات لك شفاعتك ولم اخبّاها لنبىّ غيرك وفى
حديث اخر رواه حذيفة بَشَّرَنى يعنى ربّه اوّل من يدخل الجنّة معى من امّتى سبعون
الفا مع كلّ الف سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطانى الّا تجوع امّتى ولا تغلب
واعطانى النّصر والعزّة والرّعب يسعى بين يدى امّتى شهرا وطيّب لى ولامّتى الغنائم
واحلّ لنا كثيرا ممّا شدّد على من قبلنا ولم تجعل علينا فى الدّين من حرج وعن ابى هريرة

عنه صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي من الانبياء الا وقد أعطي من الايات ما
مثله أمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله الي فارجوا ان اكون اكثرهم
تابعا يوم القيمة معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسائر معجزات
الانبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر ومعجزة القران يقف عليها قرن
بعد قرن عيانا لا اخبرا الى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا
القول فيه وفيما ذكر فيه سوى اخر باب المعجزات وعن علي كل نبي اعطي سبعة
نجباء من امته واعطي نبيكم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله و
المؤمنين وانها لن تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار وعن العرباض
ابن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيين
وان ادم لمنجدل في طينته وعدة ابي ابرهيم وبشارة عيسى ابن مريم وعن ابن عباس
قال ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السماء وعلى الانبياء صلوات
الله عليهم قالوا فما فضله على اهل السماء قال ان الله قال لاهل السماء وَمَنْ يَقُلْ
مِنْهُمْ إِنِّي إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ الاية وقال لمحمد عليه السلام إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ الاية قالوا فما
فضله على الانبياء قال ان الله قال وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ الاية وقال
لمحمد وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ وعن خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن ابي ذر
وشداد بن اوس وانس بن مالك فقال نعم انا دعوة ابي ابرهيم يعني قوله رَبَّنَا وَابْعَثْ
فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ وبشرى عيسى ورات امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاء

و بشرني نسخه

له قصور بصرى من ارض الشام واسْتُرْضِعْتُ في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف
بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث اخر ثلثة رجال
بِطَسْتٍ من ذهب مملوءة ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري
الى مَرَاقِّ بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها
ثم غسلا بطني وقلبي بذلك الثلج حتى انقياه قال في حديث اخر ثم تناول احدهما
شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ ايمانا وحكمة ثم
اعاده مكانه وامرّ الاخر يده على مفرق صدري فالتام وفي رواية ان جبريل قال قلب
وكيع اي شديد فيه عينان تبصران واذنان تسمعان ثم قال احدهما لصاحبه زنه
بعشرة من امته فوزنني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم
قال زنه بالف من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها
قال في الحديث الاخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قال يا حبيب
لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم
ما اكرمك على الله ان الله معك وملئكته قال في حديث ابي ذر فما هو الا ان وليا
عني فكانما ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان
ادم عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال له
الله تعالى من اين عرفت محمدا رايت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد
رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله
عليه وغفر له وهذا عند قائله تاويل قوله فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ وفي رواية
الاجري فقال ادم لما خلقتني رفعت راسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله

بسميعتان نسخه

كلتاهما نسخه

وفي نسخة الشيخ وبعض النسخ وفي رواية اخرى بدون الاجر

محمّد رسول الله فعلمت انه ليس احدا اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك
فاوحى الله اليه وعزّتى وجلالى انه لاخر النبيّين من ذرّيتك ولولاه ما خلقتك
قال وكان ادم يكنى بابى محمّد وقيل محمد البشر وروى عن سُرَيج بن يونس انه قال انّ لله
ملئكة سيّاحين عبادتها كلّ دار فيها احمد او محمّد اكراما منهم لمحمّد صلّى الله عليه
وسلّم وروى ابن قانع القاضى عن ابى الحمراء قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
لمّا اُسرِىَ بى الى السّماء اذا على العرش مكتوب لا اله الّا الله محمّد رسول الله ايّدتُه بعلىّ
وفى التّفسير عن ابن عبّاس فى قوله تعالى وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا قال لوح من ذهب فيه
مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن راى
الدّنيا وتقلّبها باهلها كيف يطمئنّ اليها انا الله لا اله الّا انا محمّد عبدى ورسولى وعن
ابن عبّاس على باب الجنّة مكتوب انّى انا الله لا اله الّا انا محمّد رسول الله لا اعذّب من
قالها وذُكر انه وُجِدَ على الحجارة القديمة مكتوب محمّد تقىّ مصلح وسيّد امين وذكر
السُّمنُطارى انه شاهد فى بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا
اله الّا الله وعلى الاخر محمّد رسول الله وذكر الاخباريّون انّ ببلاد الهند وردا احمر
مكتوبا عليه بالابيض لا اله الّا الله محمّد رسول الله وروى عن جعفر بن محمّد عن ابيه
اذا كان يوم القيمة نادى مناد الا لِيَقُم مَن اسمه محمّد فليدخل الجنّة لكرامة اسمه
عليه السّلام وروى ابن القاسم فى سماعه وابن وهب فى جامعه عن مالك سمعت اهل
مكّة يقولون ما من بيت فيه اسم محمّد الّا نَمَا ورُزِقوا ورُزِقَ جيرانهم وعنه عليه
السّلام ما ضرّ احدكم ان تكون فى بيته محمّد ومحمّدان وثلثة وعن عبد الله بن مسعود
انّ الله نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمّد صلّى الله عليه وسلّم فاصطفاه

لنفسه

لنفسه فبعثه برسالته وحكى النّقّاش انّ النّبىّ عليه السّلام لمّا نزلت وَمَا كَانَ لَكُمْ اَنْ
تُؤْذُوا رَسُولَ اللّٰهِ الاية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان انّ الله فضّلنى عليكم
تفضيلا وفضّل نسائى على نسائكم تفضيلا فصل فى تفضيله بما تضمّنته كرامة
الاسراء من المناجاة والرّؤية وامامة الانبياء والعروج به الى سدرة المنتهى وما راى
من ايات ربّه الكبرى ومن خصايصه صلّى الله عليه وسلّم قصّة الاسراء وما انطوت
عليه من درجات الرّفعة ممّا نبّه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال
الله تعالى سُبْحَانَ الَّذِى اَسْرَى بِعَبْدِهِ الاية وقال وَالنَّجْمِ اِذَا هَوَى الى قوله لَقَدْ رَاَى
مِنْ اٰيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى فلا خلاف بين المسلمين فى صحّة الاسرى به عليه السّلام اذ هو
نصّ القران وجاءت بتفضيله وشرح عجايبه وخواصّ محمّد نبيّنا عليه السّلام فيه
احاديث كثيرة منتشرة راينا ان نقدّم اكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها
حدّثنا القاضى الشّهيد ابو علىّ والفقيه ابو بحر بسماعى عليهما والقاضى ابو عبد الله
التّميمىّ وغير واحد من شيوخنا قالوا نا ابو العبّاس العُذرىّ نا ابو العبّاس الرّازىّ نا
ابو احمد الجلودىّ نا ابن سفيان نا مسلم بن الحجّاج نا شيبان بن فرّوخ نا حمّاد بن سلمة
نا ثابت البُنانىّ عن انس بن مالك انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال اُتيتُ بالبراق
وهو دابّة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال
فركبته حتّى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة الّتى يربط بها الانبياء ثمّ دخلت
المسجد فصلّيت فيه ركعتين ثمّ خرجت فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت
اللّبن فقال جبريل اخترت الفطرة[٦] ثمّ عُرِجَ بنا الى السّماء فاستفتح جبريل فقيل من انت
قال جبريل قيل ومن معك قال محمّد قيل وقد بُعِثَ اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا

٦ اخذت الفطرة نخ

فاذا انا بادم صلى الله عليه وسلم فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية
فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال
قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما
فرحبا بى ودعوا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا
بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو قد أُعطِىَ شطر الحسن فرحب بى ودعا بخير ثم
عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس فرحب بى ودعا لى بخير قال الله
تعالى وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهرون
فرحب بى ودعا بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب
بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابرهيم مُسْنِدًا
ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه
ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما
غَشِيَهَا من امر الله ما غشى تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها
فاوحى الله الى ما اوحى ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال
ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فسئله التخفيف فان
امتك لا يطيقون ذلك فانى قد بلوت بنى اسرائل وخبرتهم قال فرجعت الى ربى فقلت
يا رب خفف عن امتى فحط عنى خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عنى خمسا قال
ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسئله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين
ربى تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة
عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها

وجربتهم نخ

كتبت

كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة
قال فنزلت حتى انتهت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فسئله التخفيف فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربى حتى استحييت منه قال
القاضى ابو الفضل رحمه الله جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن انس ما شاء ولم
يات احد عنه باصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا سيما من
رواية شَرِيكِ ابن ابى نَمِرٍ فقد ذَكَرَ فى اوله مجىء الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم
وهذا انما كان وهو صبى وقبل الوحى وقد قال شريك فى حديثه وذلك قبل ان يوحى
اليه وذكر قصة الاسراء ولا خلاف انها كانت بعد الوحى وقد قال غير واحد انها
كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن انس من رواية حماد بن
سلمة ايضا مجىء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند
ظِئرِهِ وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث الاسراء كما رواه الناس فجود فى
القصتين وفى ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة
وانه وصل الى بيت المقدس ثم عَرَجَ من هناك فَأَزَاحَ كل اشكال اَوْهَمَهُ غيره وقد
روى يونس عن ابن شهاب عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فُرِجَ سقف بيتى فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم
ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها فى صدرى ثم اطبقه ثم
اخذ بيدى فعرج بنا الى السماء فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن انس
عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتاخير وزيادة ونقص وخلاف فى ترتيب الانبياء
فى السموات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود وقد وقعت فى حديث الاسراء

زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها حديث ابن شهاب وفيه قول كلّ نبيّ له
مرحبا بالنبيّ الصّالح والاخ الصّالح الّا آدم وابرٰهيم فقالا له والابن الصّالح وفيه
من طريق ابن عبّاس ثمّ عُرِجَ بي حتّى ظَهَرْتُ بِمُسْتَوىً اسمع فيه صريف الاقلام وعن
انس انطلق بي حتّى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادرى ما هي قال ثمّ ادخلت
الجنّة وفي حديث مالك بن صعصعة فلمّا جاوزته يعني موسى بكى فنودى ما يبكيك
قال ربّ هذا غلام بعثته بعدى يدخل من امّته الجنّة اكثر ممّا يدخل من امّتي وفي
حديث ابي هريرة وقد رايتني في جماعة من الانبياء فحانت الصّلاة فامّمتهم فقال
قائل يا محمّد هذا ملك خازن النّار فسلّم عليه فالتفت فبدانى بالسّلام وفي حديث
ابي هريرة ثمّ سار حتّى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة فصلّى مع الملائكة فلمّا
قضيت الصّلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمّد رسول الله خاتم النّبيّين
قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حيّاه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثمّ لقوا
ارواح الانبياء فاثنوا على ربّهم وذكر كلام كلّ واحد منهم وهم ابرٰهيم وموسى وعيسى
وداود وسليمٰن ثمّ ذكر كلام النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال وانّ محمّدا عليه السّلام
اثنى على ربّه فقال كلّكم اثنى على ربّه وانا اثني على ربّي الحمد لله الّذي ارسلني رحمة للعالمين
وكافّة للنّاس بشيرا ونذيرا وانزل علىّ الفرقان فيه تبيان كلّ شيء وجعل امّتي خير امّة
وجعل امّتي امّة وسطا وجعل امّتي هم الاوّلون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع
عنّي وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابرٰهيم بهذا فضلكم محمّد ثمّ
ذكر انّه عُرِجَ به الى السّماء الدّنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدّم وفي حديث ابن مسعود
وانتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السّماء السّادسة اليها ينتهى ما يُعرَجُ به من الارض

فيقبض

فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السّدرة ما
يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة من طريق الرّبيع بن انس فقيل لي هٰذه
السّدرة المنتهى ينتهى اليها كلّ احد من امّتك خُلِّيَ على سبيلك وهي السّدرة المنتهى
يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغيّر طعمه وانهار من خمر
لذّة للشّاربين وانهار من عسل مصفّى وهي شجرة يسير الرّاكب في ظلّها سبعين عاما
وانّ ورقة منها مظلّة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله اذ يغشى
السّدرة ما يغشى فقال تبارك وتعالى سل فقال انّك اتّخذت ابرٰهيم خليلا واعطيته
ملكا عظيما وكلّمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخّرت
له الجبال واعطيت سليمٰن ملكا عظيما سخّرت له الجنّ والانس والشّياطين والرّياح
واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلّمت عيسى التّورية والانجيل وجعلته
يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامّه من الشّيطان الرّجيم فلم يكن له عليهما سبيل
فقال له ربّه تعالى قد اتّخذتك حبيبا فهو مكتوب في التّورية محمّد حبيب الرّحمٰن
وارسلتك الى النّاس كافّة وجعلت امّتك هم الاوّلون وهم الآخرون وجعلت
امّتك لا تجوز لهم خطبة حتّى يشهدوا انّك عبدي ورسولي وجعلتك اوّل النّبيّين
خلقا وآخرهم بعثا واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيّا قبلك واعطيتك
خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيّا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما
وفي الرّواية الاخرى قال فَاُعْطِيَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثلثا اعطى الصّلوات
الخمس واعطى خواتيم سورة البقرة وغُفِرَ لمن لا يشرك بالله شيئا من امّته المُقْحِمَاتُ
وقال ما كَذَبَ الفُؤادُ ما رَاَى الآيتين راى جبريل في صورته له ستّمائة جناح وفي حديث

شريك انه راى موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به فوق ذلك
بما لا يعلمه الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع على احد وقد روى عن انس انه صلى الله
عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت
الى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعد في واحدة وقعدت في الاخرى فنمت حتى
سدت الخافقين ولو شئت لمسست السماء وانا اقلب طرفي ونظرت جبريل كانه
حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب السماء ورايت النور الاعظم
واذا دوني الحجاب وفرجة الدر والياقوت ثم اوحى الله ما شاء ان يوحى وذكر البزار
عن علي بن ابي طالب لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل بدابة يقال
له البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال له جبريل اسكني فوالله ما ركبك
عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها على الحجاب الذي
يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا
وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر
فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله
الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية
الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلاة حي على الفلاح وقال ثم اخذ
الملك بيد محمد فقدمه فام اهل السماء فيهم ادم ونوح قال ابو جعفر محمد بن علي
ابن الحسين راويه اكمل الله لمحمد الشرف على اهل السموات والارض قال القاضي

٦ وفرجة الدر نسخه

ابو الفضل رضي الله عنه ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في
حق الخالق فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر
محسوس ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصايرهم وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء
ومتى شاء كقوله عز وجل كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ فقوله في هذا الحديث
الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من ورائه من
ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجايب ملكوته وجبروته
ويدل عليه من الحديث قول جبريل عليه السلام عن الملك الذي خرج من ورائه
ان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل ان هذا الحجاب لم يختص
بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة
وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على
حذف المضاف اي يلي عرش الرحمن او امرا ما من عظيم اياته او مبادي حقايق معارفه
مما هو اعلم به كما قال تعالى وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ اي اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب
صدق عبدي انا اكبر فظاهره انه سمع في هذا الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء
حجاب كما قال وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ اي وهو لا يراه
حجب بصره عن رؤيته فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل انه
في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى راه والله اعلم فصل
ثم اختلف السلف والعلماء هل كان اسراء بروحه او جسده على ثلاث مقالات
فذهب طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء
حق ووحي والى هذا ذهب معاوية وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه واليه

اشار محمد بن اسحق وحجتهم قوله وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ وما حكموا عن
عايشة ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا انا نائم
وقول انس وهو نائم فى المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال فى اخرها فاستيقظت
وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه اسراء بالجسد وفى
اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابى
هريرة ومالك بن صعصعة وابى حبة البدرى وابن مسعود والضحاك وسعد
بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وابرهيم ومسروق
ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عايشة وهو قول الطبرى وابن حنبل
وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول اكثر المتاخرين من الفقهاء والمحدثين
والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة كان الاسراء يقظة الى بيت المقدس والى
السماء بالروح واحتجوا بقوله سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسراء الذى وقع التعجب فيه
بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبى صلى الله عليه وسلم به واظهار الكرامة له
بالاسراء اليه قال هؤلاء ولو كان الاسراء بجسده الى زائد على المسجد الاقصى لذكره
فيكون ابلغ فى المدح ثم اختلف هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا ففى
حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال
والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه والحق
من هذا والصحيح ان شاء الله انه اسراء بالجسد والروح فى القصة كلها وعليه تدل
الاية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التاويل الا عند

الاستحالة

الاستحالة وليس فى الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة اذ لو كان مناما لقال
بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ولو كان مناما لما كانت
فيه اية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من
اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد
علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته الى ما ذكر فى الحديث من ذكر صلاته
بالانبياء ببيت المقدس فى رواية انس او فى السماء على ما روى غيره وذكر مجيء
جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول محمد
ولقائه الانبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه فى فرض الصلاة ومراجعته
مع موسى فى ذلك وفى بعض هذه الاخبار فاخذ يعنى جبريل بيدى فعرج بى الى
السماء الى قوله ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل
الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة وراى فيها ما ذكره قال ابن عباس هى رؤيا عين
راها النبى عليه السلام لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا انا نائم فى الحجر جاءنى
جبريل فهمزنى بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعى ذكر ذلك ثلثا فقال
فى الثالثة فاخذ بعضدى فجرنى الى باب المسجد فاذا بدابة وذكر خبر البراق وعن ام هانئ
ما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو فى بيتى تلك الليلة صلى العشاء
الاخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
صلى الصبح وصلينا قال يا ام هانئ لقد صليت معكم العشاء الاخرة كما رايت
بهذا الوادى ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الان
كما ترون وهذا بين فى انه بجسمه وعن ابى بكر من رواية شداد بن اوس عنه انه

قال للنبي عليه السلام ليلة اسرى به طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك
فلم اجدك فاجابه ان جبريل حمله الى المسجد الاقصى وعن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسرى بى فى مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة
فاذا بملك قائم معه انية ثلث وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير
مستحيلة فيحمل على ظاهرها وعن ابى ذر عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف
بيتى وانا بمكة فنزل جبريل فشرح صدرى ثم غسله بماء زمزم الى اخر القصة ثم
اخذ بيدى فعرج بى وعن انس اتيت فانطلقوا بى الى زمزم فشرح عن صدرى وعن
ابى هريرة رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم لقد رايتنى فى الحجر وقريش
تسئلنى عن مسراى فسالتنى عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط
فرفعه الله لى انظر اليه ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب فى حديث الاسرا
عنه عليه السلام انه قال ثم رجعت الى خديجة وما تحولت عن جانبها فصل
فى ابطال حجج من قال انها نوم احتجوا بقوله تعالى وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ فسماها
رؤيا قلنا قوله سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى يرده لانه لا يقال فى النوم اسرى وقوله فِتْنَةً
لِلنَّاسِ يؤيد انها رؤيا عين واسراء بشخص اذ ليس فى الحلم فتنة ولا يكذب به احد
لان كل احد يرى مثل ذلك فى منامه من الكون فى ساعة واحدة فى اقطار متباينة
على ان المفسرين قد اختلفوا فى هذه الاية فذهب بعضهم الى انها نزلت فى قضية
الحديبية وما وقع فى نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا واما قولهم انه قد
سماها فى الحديث مناما وقوله فى حديث اخر بين النائم واليقظان وقوله ايضا
وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه

٦ والاسراء بشخص نسخه

٦ قصة نسخه

كان وهو نائم او اول حمله والاسراء به وهو نائم وليس فى الحديث انه كان نائما
فى القضية كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا فى المسجد الحرام فلعل قوله
استيقظت بمعنى اصبحت واستيقظ من نوم اخر بعد وصوله بيته ويدل
عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان فى بعضه وقد يكون قوله استيقظت
وانا فى المسجد الحرام لما كان غمره من عجايب ما طالع من ملكوت السموات والارض
وخامر باطنه من مشاهدة الملاء الاعلى وما راى من ايات ربه الكبرى فلم يستفق
ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه
حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسرى بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء حق
تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات الى نحو من هذا
قال تغميض عينه لئلا يشغله شىء من المحسوسات عن الله ولا يصح هذا ان يكون
فى وقت صلاته بالانبياء ولعله كانت له فى هذا الاسراء حالات ووجه رابع
وهو ان يعبر بالنوم هٰهنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه قوله فى رواية
عبد بن حميد عن همام بينا انا نائم وربما قال مضطجع وفى رواية هدبة عنه
بينا انا فى الحطيم وربما قال فى الحجر مضطجع وقوله فى رواية الاخرى بين النائم
واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم
الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة فى هذا
الحديث انما هى من رواية شريك عن انس فهى منكرة من روايته اذ شق البطن فى
الاحاديث الصحيحة انما كان فى صغره عليه السلام وقبل النبوة ولانه قال فى
الحديث قبل ان يبعث والاسراء باجماع كان بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع

٦ قوله نسخه

كان

فى رواية انس مع ان انسا قد بيّن من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه
من النبى عليه السلام فقال مرة عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة
كان ابو ذر يحدث واما قول عايشة ما فقد جسده فعايشة لم تحدث به عن
مشاهدة لانها لم تكن حينئذ زوجه ولا فى سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت
بعد على الخلاف فى الاسراء متى كان فان الاسراء كان فى اول الاسلام على قول
الزهرى ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عايشة فى الهجرة بنت
نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة بعام وقيل قبل الهجرة بعام
والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك
عايشة دل على انها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها
يقول خلافه مما وقع نصا فى حديث ام هانئ وغيره وايضا فليس حديث عايشة
بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعنى حديث ام هانئ وما ذكرت فيه
خديجة وايضا فقد روى فى حديث عايشة ما فقدت ولم يدخل بها النبى صلى الله
عليه وسلم الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذى يدل عليه صحيح قولها انه
بجسده لانكارها ان تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره
فان قيل فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما راى فقد جعل ما راه للقلب وهذا يدل
على انه رؤيا نوم ووحى لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى فقد اضاف الامر للبصر وقد قال اهل التفسير فى قوله ما كذب الفواد ما راى
اى لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه ما راته عينه
فصل واما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل فاختلف السلف فيها

فانكرته

فانكرته عايشة حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتى عليه قال
حدثنى ابى وابو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا حدثنا القاضى يونس بن مغيث نا ابو
الفضل الصقلى نا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا نا عبد الله بن على نا
محمود بن ادم نا وكيع عن ابن ابى خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعايشة يا ام
المؤمنين هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعرى مما قلت ثلث من حدثك بهن
فقد كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار
الاية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عايشة وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله
عن ابى هريرة انه انما راى جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته
فى الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس انه راه بعينه
وروى عطاء عنه انه راه بقلبه وعن ابى العالية عنه راه بفؤاده مرتين وذكر
ابن اسحق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسئله هل راى محمد ربه فقال نعم والاشهر
عنه انه راى ربه بعينيه روى ذلك عنه من طرق وقال ان الله اختص موسى
بالكلام وابرهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى
افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى قال الماوردى قيل ان الله تعالى قسم
كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فراه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح
الرازى وابو الليث السمرقندى الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحرث قال
اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا قد راى ربه
مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد
وموسى فكلمه موسى وراه محمد بقلبه وروى شريك عن ابى ذر فى تفسير الاية قال

راى النبىّ عليه السّلام ربّه وحكى السّمرقندىّ عن محمّد بن كعب القُرَظِىّ وربيع بن
انس انّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم سُئِلَ هل رايت ربّك قال رايته بفؤادى ولم اره
بعينىّ وروى مالك بن يُخامِر عن معاذ انّ النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال رايت ربّى
وذكر كلمة فقال يا محمّد فيم يختصم الملاء الاعلى الحديث وحكى عبد الرّزّاق انّ
الحسن كان يحلف بالله لقد راى محمّد ربّه وحكاه ابو عمر الطَّلَمَنِكىّ عن عكرمة وحكى
بعض المتكلّمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحق انّ مروان سال اباهريرة
هل راى محمّد ربّه فقال نعم وحكى النّقّاش عن احمد بن حنبل انّه قال انا اقول بحديث
ابن عبّاس بعينه راه راه حتّى انقطع نفسه يعنى نفس احمد وقال ابو عمر قال احمد بن
حنبل راه بقلبه وَجُبِنَ عن القول برؤيته فى الدّنيا بالابصار وقال سعيد بن جبير
لا اقول راه ولا لم يره وقد اختُلِفَ فى تاويل الاية عن ابن عبّاس وعكرمة والحسن
وابن مسعود فحكى عن ابن عبّاس وعكرمة راه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود راى
جبريل وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه انّه قال راه وعن ابن عطاء فى قوله
تعالى اَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ قال شرح صدره للرّؤية وشرح صدر موسى للكلام
وقال ابو الحسن علىّ بن اسمعيل الاشعرىّ رضى الله عنه وجماعة من اصحابه انّه راى
الله ببصره وعينىّ راسه وقال كلّ اية اوتيها نبىّ من الانبياء عليهم السّلام فقد اوتى
مثلها نبيّنا وخصّ من بينهم بتفضيل الرّؤية ووقف بعض مشايخنا فى هذا وقال
ليس عليه دليل واضح ولكنّه جائز ان يكون قال القاضى ابو الفضل رحمه الله والحقّ
الّذى لا امتراءَ فيه انّ رؤيته تعالى فى الدّنيا جائزة عقلا وليس فى العقل ما يحيلها
والدّليل على جوازها فى الدّنيا سؤال موسى لها ومحال ان يجهل نبىّ ما يجوز على الله

وما لا يجوز عليه بل لم يسئل الّا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من
الغيب الّذى لا يعلمه الّا من علّمه الله فقال له الله تعالى لن ترانى اى لن تطيق ولا
تحتمل رؤيتى ثمّ ضرب له مثالا ممّا هو اقوى من بنية موسى واثبت وهو الجبل
وكلّ هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته فى الدّنيا فيه جوازها على الجملة وليس فى
الشّرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كلّ موجود فرؤيته جائزة
غير مستحيلة ولا حجّة لمن استدلّ على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار
لاختلاف التّاويلات فى الاية واذ ليس يقتضى قول من قال فى الدّنيا الاستحالة
وقد استدلّ بعضهم بهذه الاية نفسها على جواز الرّؤية وعدم استحالتها على
الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفّار وقيل لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو
قول ابن عبّاس وقيل لا تدركه الابصار وانّما يدركه المبصرون وكلّ هذه التّاويلات
لا يقتضى منع الرّؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجّة لهم بقوله لن ترانى الاية وقوله
تبت اليك لما قدّمناه ولانّها ليست على العموم ولانّ من قال معناها لن ترانى
فى الدّنيا انّما هو تاويل وايضا فليس فيها نصّ الامتناع وانّما جاءت فى حقّ موسى
وحيث تتطرّق التّاويلات وتتسلّط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله
تبت اليك اى من سؤالى ما لم تقدّره لى وقد قال ابو بكر الهُذَلىّ فى قوله لن ترانى
اى ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الىّ فى الدّنيا وانّه من نظر الىّ مات وقد رايت لبعض
السّلف والمتاخّرين ما معناه انّ رؤيته تعالى فى الدّنيا ممتنعة لضعف تركيب
اهل الدّنيا وقُواهم وكونها متغيّرة عَرَضًا للافات والفناء فلم تكن لهم قوّة على
الرّؤية فاذا كان فى الاخرة ورُكِّبوا تركيبا اخر ورزقوا قُوًى ثابتة باقية واتمّ انوار

٦ بما هو

٦ غرضا
معرضة

ابصارهم وقلوبهم قوّوا بها على الرؤية وقد رايت نحو هذا لمالك بن انس رحمه
الله قال لم يُرَ في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الاخرة ورزقوا
ابصارا باقية رُئِيَ الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة
الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله من شاء من عباده واقدره على حمل
اعباء الرؤية لم يمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما
السلام ونفوذ ادراكهما بقوة الهية مُنِحاها لادراك ما ادركاه ورؤية ما راياه
والله اعلم وقد ذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته عن الايتين ما معناه ان موسى
عليه السلام راى الله فلذلك خر صعقا وان الجبل راى ربه فصار دكا بادراك
خلقه الله له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر
مكانه فسوف تراني ثم قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا
وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى راه على هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله
بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله هذا يدل على ان موسى
راه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل انه راه وبرؤية الجبل له استدل من قال
برؤية محمد نبينا له اذ جعله دليلا على الجواز اذ ليس في الايات نص بالمنع
واما وجوبه لنبينا عليه السلام والقول بانه راه بعينه فليس فيه قاطع ايضا
ولا نص اذ المعول فيه على ايتي النجم والتنازع فيهما ماثور والاحتمال لهما ممكن
ولا اثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر عن
اعتقاده لم يسنده الى النبي عليه السلام فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله
حديث ابي ذر في تفسير الاية وحديث معاذ محتمل للتاويل وهو مضطرب الاسناد

٦ رأى

٦ فيه

والمتن

والمتن وحديث ابي ذر الاخر مختلف محتمل مشكل فروي نور اني اراه وحكى بعض
شيوخنا انه روي نورٌ اني اراه وفي حديثه الاخر سالته فقال رايت نورا وليس
يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية فان كان الصحيح رايت نورا فهو قد اخبر
انه لم ير الله تعالى وانما راى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله والى هذا يرجع قوله
نورا اني اراه اي كيف اراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل ما في الحديث
الاخر حجابه النور وفي الحديث الاخر لم اره بعيني ولكن رايته بقلبي مرتين وتلا
ثم دنى فتدلى والله قادر على خلق الادراك الذي في البصر في القلب او كيف شاء
لا اله غيره فان ورد حديث نص بين الباب اعتُقِد ووجب المصير اليه اذ لا
استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله الموفق تعالى فصل واما ما ورد في هذه
القصة من مناجاته لله تعالى وكلامه معه بقوله فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما
تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحى الله الى جبريل وجبريل الى محمد
الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق انه قال اوحى الله اليه بلا
واسطة ونحوه عن الواسطي والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمدا صلى الله عليه
وسلم كلم ربه في الاسراء وحكوه عن الاشعري وذكروه عن ابن مسعود وابن عباس
وانكره اخرون وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الاسراء عنه عليه السلام
في قوله دنى فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الاصوات عني فسمعت كلام ربي
وهو يقول ليهدا روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث انس في الاسراء نحو منه وقد
احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فقالوا هي ثلثة اقسام من وراء حجاب كتكليم

موسى وبارسال الملئكة كحال جميع الانبياء واكثر احوال نبيّنا عليه السّلام
الثّالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام الّا المشافهة مع المشاهدة
وقد قيل الوحي ههنا هو ما يلقيه في قلب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم دون
واسطة وقد ذكر ابو بكر البزّار عن عليّ في حديث الاسراء ما هو اوضح في سماع النبيّ
عليه السّلام لكلام الله من الآية فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل
لي من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان
مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع
ما يشبهه وفي اوّل فصل من الباب منه وكلام الله لمحمّد عليه السّلام ومن اختصّه
من انبيائه جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فان صحّ في ذلك
خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى كائن حقّ مقطوع به نصّ ذلك في الكتاب
واكّده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورَفَعَ مكانه على ما ورد في الحديث في السّماء
السابعة بسبب كلامه ورفع محمّدا فوق هذا كلّه حتّى بلغ مستوى وسمع صريف
الاقلام فكيف يستحيل في حقّ هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من خصّ من شاء
بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات فصل واما ما ورد في حديث الاسراء
وظاهر الآية من الدنوّ والقرب من قوله دنا فتدلّى فكان قاب قوسين او ادنى فاكثر
المفسّرين انّ الدنوّ والتدلّي منقسم ما بين محمّد وجبريل او مختصّ باحدهما من الآخر
او من السدرة المنتهى قال الرّازي وقال ابن عبّاس هو محمّد دنى فتدلّى من ربّه وقيل
معنى دنى قرب وتدلّى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد اي قرب وحكى مكّي
والماوردي عن ابن عبّاس هو الرّبّ دنى من محمّد فتدلّى اليه اي امْرُه وحُكمه وحكى

النقّاش عن الحسن قال دنى من عبده محمّد عليه السّلام فتدلّى فقرب منه
فاراه ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عبّاس هو مقدّم ومؤخّر
تدلّى الرّفرف لمحمّد ليلة المعراج فجلس عليه ثمّ رفع فدنا من ربّه قال فارقني جبريل
وانقطعت عنّي الاصوات وسمعت كلام ربّي وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل
الى سدرة المنتهى ودنى الجبّار ربّ العزّة فتدلّى حتّى كان منه قاب قوسين او ادنى
فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلاة وذكر حديث الاسراء وعن محمّد
بن كعب القرظي هو محمّد دنا محمّد من ربّه فكان قاب قوسين قال وقال جعفر بن محمّد ادناه
ربّه منه حتّى كان منه كقاب قوسين قال جعفر بن محمّد والدنوّ من الله لا حدّ له
ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفيّة عن الدنوّ الا ترى كيف حجب
جبريل عن دنوّه ودنى محمّد الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلّى بسكون
قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشكّ والارتياب قال القاضي ابو الفضل رضي الله
عنه اعلم انّ ما وقع من اضافة الدنوّ والقرب هنا من الله او الى الله فليس بدنوّ
مكان ولا قُرْبِ مَدًى بل كما ذكرنا عن جعفر بن محمّد الصادق ليس بدنوّ حدّ وانّما
دنوّ النبيّ عليه السّلام من ربّه وقربه منه ابانة عُظْم منزلته وتشريف رتبته
واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرّة وتأنيس
وبسط واكرام ويتأوّل فيه ما يتأوّل في قوله يَنزِلُ ربّنا الى سماء الدنيا على احد
الوجوه نُزُولَ افضالٍ واجمال وقبول واحسان قال الواسطي من توهّم انّه بنفسه
دنا جعل ثمّ مسافة بل كلّما دنا بنفسه من الحقّ تدلّى بُعْدًا يعني عن درك حقيقته
اذ لا دنوّ للحقّ جلّ جلاله ولا بعد وقوله قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عائدا الى الله لا الى

جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح المعرفة والاشراف
على الحقيقة من محمد عليه السلام وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب و
اظهار التحفي وانافة المنزلة والمرتبة من الله له ويتاول فيه ما يتاول في قوله من تقرب
مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول
واتيان بالاحسان وتعجيل المامول فصل في ذكر تفضيله في القيمة بخصوص الكرامة
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي نا ابو الفضل وابو الحسين قالا نا ابو يعلى نا السنجي
نا ابن محبوب نا الترمذي نا الحسين بن يزيد الكوفي نا عبد السلام بن حرب عن ليث
عن الربيع بن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا
اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا
اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع عن انس في لفظ الحديث
انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قايدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا
شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم ولد ادم
على ربه ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابي هريرة واكسى
٦ ربي
حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام
غيري وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم
يوم القيمة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي
وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن ابي هريرة رضى الله عنه عنه صلى الله
عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة واول من ينشق عنه القبر واول شافع
واول مشفع وعن ابن عباس انا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول

شافع

شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فادخلها ومعي
فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين وعن انس انا اول الناس يشفع
في الجنة وانا اكثر الناس تبعا وعن انس قال النبي عليه السلام انا سيد الناس
يوم القيمة وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث الشفاعة
وعن ابي هريرة انه عليه السلام قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيمة
وفي حديث اخر اما ترضون ان يكون ابرهيم وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال انهما في
امتي يوم القيمة اما ابرهيم فيقول انت دعوتي وذريتي فاجعلني من امتك واما
عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى اخي ليس بيني وبينه نبي
وانا اولى الناس به قوله انا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة
ولكن اشار عليه السلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره اذ لجاء
اليه الناس في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجاء الناس اليه في حوايجهم
فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر ولم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما
قال الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك له تعالى في الدنيا و
٦ لله
الاخرة لكن في الاخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا وكذلك لجاء الى
محمد عليه السلام جميع الناس في الشفاعة وكان سيدهم في الاخرى دون دعوى
وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح
فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك وعن
عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه
سواء وماؤه ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من
٦ او من اللبن

٦ عُمَانَ

شرب منه لم يظمأ ابدا وعن ابى ذرّ نحوه وقال طوله ما بين عُمان الى ايلة يشخب فيه
ميزابان من الجنّة وعن ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب والاخر من ورق
وفى رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعاء وقال انس ايلة وصنعاء وقال
ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود وروى حديث الحوض ايضا انس وجابر وسمرة
وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعىّ والمستورد وابو برزة الاسلمىّ
وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل
ابن سعد وسُوَيد بن جبلة وابو بكر وعمر بن الخطّاب وابن بُرَيدة وابو سعيد الخدرىّ
وعبد الله الصُّنابحىّ وابو هريرة والبراء وجُندب وعايشة واسماء بنتا ابى بكر
وابو بكرة وخَولة بنت قيس وغيرهم فصل فى تفضيله بالمحبّة والخلّة جاءت
بذلك الاثار الصّحيحة واختصّ صلّى الله عليه وسلّم على السنة المسلمين بحبيب الله

٦ احمد

اخبرنا ابو القاسم ابن ابرهيم الخطيب وغير عن كريمة بنت محمّد نا ابو الهيثم ونا
حسين بن محمّد الحافظ سماعا عليه نا القاضى ابو الوليد نا عبد بن احمد نا ابو الهيثم
نا ابو عبد الله محمّد بن يوسف نا محمّد بن اسمعيل حدّثنا عبد الله بن محمّد نا ابو عامر
نا فُليح نا ابو النّضر عن بُسر بن سعيد عن ابى سعيد عن النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم انّه
قال لو كنت متّخذا خليلا غير ربّى لاتّخذت ابا بكر وفى حديث اخر وانّ صاحبكم
خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتّخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن
عبّاس قال جلس ناس من اصحاب النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم ينتظرونه قال فخرج حتى
اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا انّ الله اتّخذ
ابرهيم من خلقه خليلا وقال اخر ماذا باعجب من كلام موسى كلّمه الله تكليما وقال

اخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلّم و
قال قد سمعت كلامكم وعجبكم انّ الله اتّخذ ابرهيم خليلا وهو كذلك وموسى
نجىّ الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك
الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اوّل شافع
واوّل مشفّع ولا فخر وانا اوّل من يحرّك الجنّة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء
المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاوّلين والاخرين ولا فخر وفى حديث ابى هريرة من
قول الله لنبيّه انّى اتّخذتك خليلا فهو مكتوب فى التّورية انت حبيب الرّحمن
قال القاضى ابو الفضل رحمه الله اختلف فى تفسير الخلّة واصل اشتقاقها فقيل
الخليل المنقطع الى الله الّذى ليس فى انقطاعه اليه ومحبّته له اختلال وقيل
الخليل المختصّ واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلّة الاستصفاء
وسمّى ابرهيم خليل الله لانّه يوالى فيه ويعادى فيه وخلّة الله له نصره وجعله اماما
لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلّة وهى الحاجة
فسمّى بها ابرهيم لانّه قصر حاجته على ربّه وانقطع اليه بهمّه ولم يجعله قبل غيره
اذ جاءه جبريل وهو فى المنجنيق ليرمى فى النّار فقال الك حاجة قال امّا اليك فلا
وقال ابو بكر بن فورك الخلّة صفاء المودّة الّتى توجب الاختصاص بتخلّل الاسرار
وقال بعضهم اصل الخلّة المحبّة ومعناها الاسعاف والالطاف والتّرفيع
والتّشفيع وقد بيّن ذلك تعالى فى كتابه بقوله وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ
أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ الى قوله بِذُنُوبِكُمْ فاوجب للمحبوب الّا يؤاخذ بذنوبه قال هذا
والخلّة اقوى من البنوة لانّ البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى إِنَّ مِنْ

اخر

ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابرهيم
ومحمد عليهما السلام بالخلة اما بانقطاعهما الى الله ووقف حوايجهما عليه
والانقطاع عن من دونه والاضراب عن الوسايط والاسباب او لزيادة الاختصاص
منه تعالى لهما وخفى الطافه عندهما وما خالل بواطنهما من اسرار الهيبة ومكنون
غيوبه ومعرفته او لاستطفائه لهما واستصفاء قلوبهما عن من سواه حتى لم
٦ لاصطفائه صح
يخاللهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو
عندهم معنى قوله عليه السلام ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر
خليلا لكن اخوة الاسلام واختلف العلماء وارباب القلوب ايهما ارفع درجة
الخلة او درجة المحبة فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا
الخليل الا حبيبا لكنه خص ابرهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة وبعضهم قال درجة
الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم
يتخذه وقد اطلق المحبة لفاطمة عليها السلام وابنيها واسامة وغيرهم واكثرهم
جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا ارفع من درجة الخليل ابرهيم
واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع
بالوفق وهي درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاغراض فمحبته لعبده
تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته
عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون
كما قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه
الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض

عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عايشة رضى الله عنها
كان خلقه القران برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله
قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا ٢
٢ الخليلا صح
فاذا ما نطقت كنت حديثي واذا ما سكت كنت الغليلا ٦
٦ الدخيلا صح
فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا عليه السلام بما دلت عليه
الاثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله الاية حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد
ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله غيظا لهم ورغما على مقالتهم
هذه الاية قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته
ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر
بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة اشارته
الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك
قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات
والارض والحبيب يصل لحبيبه به من قوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل
٦ اليه صح
الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين
والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
الاية والخليل قال لا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدي بالبشارة
قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك
الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق في الاخرين والحبيب قيل له ورفعنا لك

ذكرك اعطي بلا سؤال والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والحبيب قيل
له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد
هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو
اهدى سبيلا فصل في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تعالى عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا اخبرنا الشيخ ابو علي الغساني الجياني فيما كتب به الي
بخطه نا سراج بن عبد الله القاضي نا ابو محمد الاصيلي نا ابو زيد وابو احمد قالا حدثنا
محمد بن يوسف قال نا محمد بن اسمعيل قال حدثنا اسمعيل بن ابان نا ابو الاحوص عن
ادم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيمة جثا كل امة تتبع
نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى
الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن ابي هريرة سئل عنها
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
فقال هي الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة
فاكون انا وامتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما شاء
الله ان اقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي
حتى ياخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود
عنه عليه السلام انه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون
والاخرون ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام الذي اشفع لامتي فيه
وعن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لقائم المقام المحمود قيل
وما هو قال ذاك يوم ينزل الله تبارك وتعالى الحديث وعن ابي موسى عنه عليه

السلام خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة
لانها اعم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين وعن ابي هريرة قلت يا رسول
الله ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا
يصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اريت ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما
سبق للامم قبلهم فسالت الله ان يؤتيني شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال
حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر
حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادي محمد فيقول لبيك
وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهتدي من هديت وعبدك بين
يديك ولك واليك لا ملجا ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت
سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكر الله وقال ابن عباس اذا
دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة فتبقى اخر زمرة من الجنة واخر زمرة من
النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون
فيسمعهم اهل الجنة فيسئلون ادم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر
حتى ياتوا محمدا فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود ايضا
ومجاهد وذكره علي بن حسين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله
ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال فانه مقام
محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في اخراج
الجهنميين وعن انس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي وعده وعن شيبان

وشرع الى هريرة نحه

المقام المحمود هو الشفاعة فى امته يوم القيمة وقال قتادة كان اهل العلم يرون
المقام المحمود شفاعته يوم القيمة وعلى ان المقام المحمود هو مقامه عليه السلام
هذا مذهب السلف من الصحابة والتابعين وعامة ائمة المسلمين وبذلك جائت
مفسرة فى صحيح الاخبار عنه عليه السلام وجاءت مقالة فى تفسيرها شاذة عن
بعض السلف يجب ان لا تثبت اذ لم يعضدها صحيح اثر ولا سند يذ نظر ولو صحت لكان
لها تاويل غير مستنكر لكن ما فسره النبى صلى الله عليه وسلم فى صحاح الاثار يرده
فلا يلتفت اليه مع انه لم يات فى كتاب ولا سنة ولا اتفقت على المقال به امة
وفى اطلاق ظاهره منكر من القول وشنعة وفى رواية انس وابى هريرة وغيرهما
دخل حديث بعضهم فى حديث بعض قال عليه السلام يجمع الله الاولين و
الاخرين يوم القيمة فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا ومن
طريق عنه ماج الناس بعضهم فى بعض وعن ابى هريرة فتدنو الشمس فيبلغ الناس
من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فياتون
ادم فيقولون زاد بعضهم انت ادم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من
روحه واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شىء اشفع لنا
عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربى غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهانى عن الشجرة
فعصيت نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى نوح فياتون نوحا فيقولون
انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه
الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب

قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسى نفسى قال فى رواية انس ويذكر خطيئته
التى اصاب سؤاله ربه بغير علم وفى رواية ابى هريرة وقد كانت لى دعوة دعوتها
على قومى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى ابرهيم فانه خليل الله فياتون ابرهيم
فيقولون انت نبى الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك فيقول ان
ربى قد غضب اليوم غضبا وذكر مثله ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسى نفسى
لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله وفى رواية فانه عبد اتاه الله التورية
وكلمه وقربه نجيا قال فياتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التى اصاب
وقتله النفس نفسى نفسى ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فياتون عيسى
فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
فاوتى فاقول انا لها فانطلق فاستاذن على ربى فيؤذن لى فاذا رايته وقعت ساجدا
وفى رواية فاتى تحت العرش فاخر ساجدا وفى رواية فاقوم بين يديه فاحمده
بمحامد لا اقدر عليها الا ان يلهمنيها الله وفى رواية فيفتح الله على من محامده
وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلى قال فى رواية ابى هريرة فيقال يا محمد
ارفع راسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع راسى فاقول يا رب امتى يا رب امتى
فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم
شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر فى رواية انس هذا الفصل وقال
مكانه ثم اخر ساجدا فيقال لى يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل
تعطه فاقول يا رب امتى امتى فيقال انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من برة او
شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربى فاحمده بتلك المحامد وذكر

٦ فذكر نحو

٦ يلهمنيها نه

مثل الاول وقال فيه مثقال حبّة من خردل قال فافعل ثمّ ارجع وذكر مثل ما
تقدّم وقال فيه من كان فى قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبّة من خردل فافعل
وذكر فى المرّة الرّابعة فيقال لى ارفع راسك وقل تُسمع واشفع تُشفّع وسل
تُعطه فاقول يا ربّ ايذن لى فيمن قال لا اله الّا الله قال ليس ذلك اليك ولكن وعزّتى
وكبريائى وعظمتى وجبريائى لاُخرجنّ من النّار من قال لا اله الّا الله ومن رواية
قتادة عنه قال فلا ادرى فى الثّالثة او الرّابعة فاقول يا ربّ ما بقى فى النّار
الّا من حبسه القران اى وجب عليه الخلود وعن ابى بكر وعقبة بن عامر وابى
سعيد وحذيفة مثله قال فياتون محمّدا فيؤذن له وتاتى الامانة والرّحم
فيقومان جنبتى الصّراط وذكر فى رواية ابى مالك عن حذيفة فياتون محمّدا فيشفع
فيضرب الصّراط فيمرّون اوّلهم كالبرق ثمّ كالرّيح والطّير وشدّ الرّجال ونبيّكم
صلّى الله عليه وسلّم على الصّراط يقول اللهمّ سلّم سلّم حتّى يجتاز النّاس وذكر اخرهم
جواز الحديث وفى رواية ابى هريرة فاكون اوّل من يجيز يومئذ وعن ابن عبّاس عنه
عليه السّلام يوضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبرى لا اجلس عليه قائما
٦ ترفع نخ
بين يدى ربّى منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامّتك فاقول يا ربّ
عجّل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنّة برحمته ومنهم من يدخل
الجنّة بشفاعتى ولا ازال اشفع حتّى اُعطى صكاكا برجال قد اُمر بهم الى النّار حتّى
انّ خازن النّار ليقول يا محمّد ما تركت لغضب ربّك فى امّتك من نقمة ومن طريق زياد
النّميرى عن انس انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال انا اوّل من تنفلق الارض
عن جمجمته ولا فخر وانا سيّد النّاس يوم القيمة ولا فخر ومعى لواء الحمد يوم القيمة

وانا اوّل من تُفتح له الجنّة ولا فخر فاتى فاخذ بحلقة الجنّة فيقال من هذا فاقول
محمّد فيفتح لى فيستقبلنى الجبّار تعالى فاخرّ له ساجدا وذكر نحو ما تقدّم ومن
رواية انيس سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول لاشفعنّ يوم القيمة
٦ انس نخ
لاكثر ممّا فى الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الاثار
انّ شفاعته عليه السّلام ومقامه المحمود من اوّل الشّفاعات الى اخرها من حين
يجتمع النّاس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشّمس والوقوف
مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لازاحة النّاس من الموقف ثمّ
يوضع الصّراط ويحاسب النّاس كما جاء فى الحديث عن ابى هريرة وحذيفة وهذا
الحديث اتقن فيشفع فى تعجيل من لا حساب عليه من امّته الى الجنّة كما تقدّم
فى الحديث ثمّ يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النّار منهم حسب ما
تقتضيه الاحاديث الصّحيحة ثمّ فيمن قال لا اله الّا الله وليس هذا لسواه صلّى الله
عليه وسلّم وفى الحديث المنتشر الصّحيح لكلّ نبىّ دعوة يدعو بها واختبات دعوتى
شفاعة لامّتى يوم القيمة قال اهل العلم معناه دعوة اعلم انّها تستجاب لهم و
٦ اعلموا نخ
يبلغ فيها مرغوبهم والّا فكم لكلّ نبىّ منهم من دعوة مستجابة ولنبيّنا صلّى الله عليه
٦ ويبلغوا فيها مرغوبهم نخ
وسلّم منها ما لا يُعدّ لكن حالهم عند الدّعاء بها بين الرّجاء والخوف وضمنت لهم
اجابة دعوة فيما شاؤ يدعون بها على يقين من الاجابة وقد قال محمّد بن زياد وابو
صالح عن ابى هريرة فى هذا الحديث لكلّ نبىّ دعوة دعا بها فى امّته فاستجيب له
٦ فاستجيبت نخ
وانا اريد ان اوخّر دعوتى شفاعة لامّتى يوم القيمة وفى رواية ابى صالح لكلّ نبىّ
دعوة مستجابة فتعجّل كلّ نبىّ دعوته ونحو من رواية ابى زرعة عن ابى هريرة وعن انس

مثل رواية ابن زياد عن ابى هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة
بالامة مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سال لامته اشياء
من امور الدين والدنيا أُعطِيَ بعضها ومُنِع بعضها وادّخر لهم هذه الدعوة
ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة جزاه الله احسن ما جزا
نبيا عن امته وصلى عليه كثيرا وسلم فصل فى تفضيله فى الجنة بالوسيلة
والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى
التميمى والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد بقراءتى عليه قالا حدثنا ابو على
الغسانى نا النمرى نا ابن عبد المؤمن نا ابو بكر التمّار نا ابو داود نا محمد بن سلمة نا ابن
وهب عن ابى لهيعة وحيوة وسعيد بن ابى ايوب عن كعب عن علقمة عن عبد
الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم
يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على مرة صلى
الله عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى
الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سال الله تعالى لى الوسيلة حلت
عليه الشفاعة وفى حديث اخر عن ابى هريرة الوسيلة اعلى درجة فى الجنة وعن
انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير فى الجنة اذ عرض لى نهر
حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذى اعطاكه الله قال ثم
ضرب بيده الى طينته فاستخرج مسكا وعن عايشة وعبد الله بن عمر ومثله قال
ومجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج وفى رواية عنه
فاذا هو يجرى ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه امتى وذكر حديث الحوض ونحوه

٦ السؤل نخ
ابى علقمة صح
٦ طينته نخ

عن ابن عباس ايضا قال الكوثر الخير الذى اعطاه الله اياه وقال سعيد بن جبير
والنهر الذى فى الجنة من الخير الذى اعطاه وعن حذيفة فيما ذكر عليه السلام
عن ربه واعطانى الكوثر نهر من الجنة يسيل فى حوضى وعن ابن عباس فى قوله
وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى قال الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه
ما يصلحهن وفى رواية اخرى وفيه ما ينبغى له من الازواج والخدم فصل
فان قلت اذا تقرر من دليل القران وصحيح الاثر واجماع الامة كونه اكرم البشر و
افضل الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله فيما حدثناه
الاسدى قال نا السمرقندى نا الفارسى نا الجلودى نا ابن سفيان نا ابن مسلم نا ابن مثنى
نا محمد بن جعفر نا شعبة عن قتادة سمعت ابا العالية يقول حدثنى ابن عم نبيكم
صلى الله عليه وسلم يعنى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم ما ينبغى لعبد
ان يقول انا خير من يونس بن متى وفى غير هذا الطريق عن ابى هريرة قال يعنى الله ما
ينبغى لعبد الحديث وفى حديث ابى هريرة فى اليهودى الذى قال والذى اصطفى
موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه
وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء
وفى رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل
من يونس بن متى وعن ابى هريرة ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وعن ابن
مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفى حديثه الاخر فجاءه رجل فقال
يا خير البرية فقال ذاك ابرهيم فاعلم ان للعلماء فى هذه الاحاديث تاويلات
احدها ان نهيه عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد ادم فنهى عن التفضيل

اذ يحتاج الى توقيف وانّ من فضّل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا اقول انّ احدا
افضل منه لا يقتضى تفضيله هو وانّما هو فى الظّاهر كفّ عن التّفضيل الوجه
الثّانى انّه قاله صلّى الله عليه وسلّم على طريق التّواضع ونفى التّكبّر والعجب وهذا
لا يسلم من الاعتراض الوجه الثّالث الّا يفضّل بينهم تفضيلا يؤدّى الى تنقّص
بعضهم او الغضّ منه لا سيّما فى جهة يونس عليه السّلام اذ اخبر الله عنه بما
اخبر لئلّا يقع فى نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرّفيعة
اذ قال تعالى عنه اِذْ اَبَقَ اِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فظنّ اَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فربّما يخيّل لمن
لا علم عنده حطيطته بذلك الوجه الرّابع منع التّفضيل فى حقّ النّبوّة والرّسالة
فانّ الانبياء فيها على حدّ واحد اذ هى شىء واحد لا يتفاضل وانّما التّفاضل فى زيادة
الاحوال والخصوص والكرامات والرّتب والالطاف وامّا النّبوّة فى نفسها فلا
تتفاضل وانّما التّفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولوا
عزم من الرّسل ومنهم من رفع مكانا عليّا ومن اوتى الحكم صبيّا واوتى بعضهم
الزّبر وبعضهم البيّنات ومنهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى
وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ الآية وقال تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى
بَعْضٍ الآية قال بعض اهل العلم والتّفضيل المراد لهم هنا فى الدّنيا وذلك بثلاثة
احوال ان تكون اياته ومعجزاته ابهر واشهر او تكون امّته ازكى واكثر او يكون فى ذاته
افضل واطهر وفضله فى ذاته راجع الى ما خصّه الله به من كرامته واختصاصه
من كلام او خلّة او رؤية او ما شاء الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد
روى انّ النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال انّ للنّبوّة اثقالا وانّ يونس تفسّخ منها تفسّخ

٦ الزبر نحه

الرّبع فحفظ صلّى الله عليه وسلّم موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها
جرح فى نبوّته او قدح فى اصطفائه وحطّ من رتبته ووهن فى عصمته شفقة
منه صلّى الله عليه وسلّم على امّته وقد يتوجّه على هذا التّرتيب وجه خامس
وهو ان يكون انا راجعا الى القائل نفسه اى لا يظنّ احد وان بلغ من الزّكاء و
العصمة والطّهارة ما بلغ انّه خير من يونس لاجل ما حكى الله عنه فانّ درجة
النّبوّة افضل واعلى وانّ تلك الاقدار لم تحطّه عنها حبّة خردل ولا ادنى وسنبدّ
فى القسم الثّالث فى هذا بيانا ان شاء الله فقد بان لك الغرض وسقط بما
حرّرناه شبهة المعترض فصل فى اسمائه عليه السّلام وما تضمّنته من
فضيلته حدّثنا ابو عمران موسى بن ابى تليد الفقيه قال نا ابو عمر الحافظ نا
سعيد بن نصر نا قاسم بن اصبغ نا محمّد بن وضّاح نا يحيى نا مالك عن ابن شهاب عن
محمّد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لى خمسة
اسماء انا محمّد وانا احمد وانا الماحى الّذى يمحو الله بى الكفر وانا الحاشر الّذى
يحشر النّاس على قدمى وانا العاقب وقد سمّاه الله فى كتابه محمّدا واحمد فمن خصائصه
تعالى له ان ضمّن اسمائه ثنائه وطوى اثناء ذكره عظيم شكره فامّا اسمه احمد
فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمّد مفعّل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلّى
الله عليه وسلّم اجلّ من حمد وافضل من حمد واكثر النّاس حمدا فهو احمد المحمودين
واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتمّ له كمال الحمد ويتشهّر فى تلك
العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربّه هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه
الاوّلون والآخرون بشفاعته لهم ويفتح فيه من المحامد كما قال عليه السّلام ما لم

بالحاء المهملة ٦ حرج نحه

٦ ويشتهر نحه

الرّبع

٦ بالحامدين

يُعْطَ غيره وسمّى امّته فى كتب انبيائه بالحامدين فحقيق ان يسمّى محمّدا واحمد ثمّ
فى هذين الاسمين من عجايب خصايصه وبدايع اياته فنّ اخر وهو انّ الله جلّ اسمه
حمى ان يسمّى بهما احد قبل زمانه امّا احمد الّذى اتى فى الكتب وبشّرت به الانبياء
فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمّى به احد غيره ولا يدعى به مدعوّ قبله حتّى لا يدخل
لَبسٌ على ضعيف القلب او شكّ وكذلك محمّد ايضا لم يسمّ به احد من العرب ولا
غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده عليه السّلام وميلاده انّ نبيّا يبعث اسمه محمّد
فسمّى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله اعلم
حيث يجعل رسالاته وهم محمّد بن اُحَيحَة بن الجلاح الاوسىّ ومحمّد بن مَسْلَمَة الانصارى
ومحمّد بن بَرَاءِ البَكرىّ ومحمّد بن سفيان بن مُجَاشِعٍ ومحمّد بن حُمْرَانَ الجُعْفِىّ ومحمّد
بن خزاعىّ السّلمى لا سابع لهم ويقال اوّل من تسمّى محمّدا محمّد بن سفيان واليمن تقول
بل محمّد بن اليُحْمِدِ من الازْدِ ثمّ حمى الله كلّ من تسمّى به ان يدّعى النبوّة او يدّعيها احد له
او يظهر عليه سبب يشكّك احدا فى امره حتّى تحقّقت السِّمَتان له صلّى الله عليه
وسلّم ولم ينازع فيهما وامّا قوله وانا الماحى الّذى يمحو الله بى الكفر ففُسِّرَ فى الحديث
ويكون محو الكفر امّا من مكّة وبلاد العرب وما زُوِىَ له من الارض ووُعِدَ انّه
يَبْلُغُهُ مُلْكُ امّته او يكون المحو عامّا بمعنى الظّهور والغلبة كما قال تعالى لِيُظْهِرَهُ
عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وقد ورد تفسيره فى الحديث انّه الّذى مُحِيَتْ به سيّات من اتّبعه
وقوله وانا الحاشر الّذى يحشر النّاس على قدمى اى على زمانى وعهدى اى ليس بعدى
نبىّ كما قال تعالى وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وسمّى عاقبا لانّه عقب غيره من الانبياء وقيل
معنى على قدمى اى يحشر النّاس بمشاهدتى كما قال تعالى لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

٦ البراء

ويكون

وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ومعنى قوله لى خمسة اسماء قيل انّها موجودة فى
الكتب المتقدّمة وعند اولى العلم من الامم السّالفة والله اعلم وقد روى عنه
عليه السّلام لى عشرة اسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكّى وقد قيل فى بعض
تفاسير طه انّه يا طاهر يا هادى وفى يس يا سيّد حكاه السّلمىّ عن الواسطىّ وجعفر
ابن محمّد وذكر غيره لى عشرة اسماء فذكر الخمسة الّتى فى الحديث الاوّل قال وانا
رسول الرّحمة ورسول الرّاحة ورسول الملاحم وانا المُقَفّى قَفَّيتُ النّبيّين وانا
قيّم والقيّم الجامع الكامل كذا وَجَدْتُهُ ولم ارْوِهِ وأُرى انّ صوابه قُثَم بالثّاء كما
ذكرناه بعد عن الحربىّ وهو اشبه بالتّفسير وقد وقع ايضا فى كتب الانبياء
قال داود عليه السّلام اللّهمّ ابعث لنا محمّدا مقيم السّنّة بعد الفترة فقد
يكون القيّم بمعناه وروى النّقّاش عنه عليه السّلام لى فى القران سبعة اسماء
محمّد واحمد ويس وطه والمدّثّر والمزّمّل وعبد الله وفى حديث ابى موسى الاشعرى
انّه كان عليه السّلام يسمّى لنا نفسه اسماء فيقول انا محمّد واحمد والمقفّى والحاشر
ونبىّ التّوبة ونبىّ المَلْحَمَةِ ويُرْوى المرحمة والرّحمة وكلّ صحيح ان شاء الله تعالى ومعنى
المقفّى معنى العاقب وامّا نبىّ الرّحمة والتّوبة والمرحمة والرّاحة فقد قال تعالى
وما ارسلناك الّا رحمة للعالمين وكما وَصَفَهُ بانّه يزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة
ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤف رحيم وقد قال فى صفة امّته
انّها امّة مرحومة وقال تعالى فيهم وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ اى يرحم
بعضهم بعضا فبعثه عليه السّلام ربّه رحمة لامّته ورحمة للعالمين ورحيما
بهم ومترحّما مستغفرا لهم وجعل امّته امّة مرحومة ووصفها بالرّحمة

وامرها بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون
يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء واما رواية نبى الملحمة
فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهى صحيحة
وروى حذيفة مثل حديث ابى موسى وفيه ونبى الرحمة ونبى التوبة ونبى الملاحم
وروى الحربى فى حديثه عليه السلام انه قال اتانى ملك فقال لى انت قثم
اى مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو فى اهل بيته عليه السلام معلوم
وقد جاءت من القابه عليه السلام وسماته فى القران عدة كثيرة سوى ما ذكرناه
كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد
والحق المبين وخاتم النبيين والرؤف الرحيم والامين وقدم الصدق ورحمة للعالمين
ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبى
الامى وداعى الله فى اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها فى كتب الله
المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة شافية كتسميته
بالمصطفى والمجتبى وابى القاسم والحبيب ورسول رب العالمين والشفيع المشفع
والمتقى والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق والمصدوق والهادى وسيد ولد
ادم وسيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن
وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة
والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب البراق
والناقة والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب
الهراوة والنعلين ومن اسمائه فى الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس

وروح

وروح الحق وهو معنى البارقليط فى الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذى يفرق
بين الحق والباطل ومن اسمائه فى الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب
وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار قال ثعلب والخاتم الذى ختم الانبياء
والحاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه ايضا
فى التورية احيد روى ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب اى السيف
وقع ذلك مفسرا فى الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك
وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذى كان يمسكه عليه السلام وهو الان
عند الخلفاء واما الهراوة التى وصف بها فهى فى اللغة العصا واراها والله اعلم
العصى المذكورة فى حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاى لاهل اليمن واما التاج
فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب والعمائم تيجان العرب واوصافه
والقابه وسماته فى الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع ان شاء الله وكانت كنيته
المشهورة ابا القاسم وروى عن انس انه لما ولد له ابرهيم جاءه جبريل فقال له
السلام عليك يا ابا ابرهيم فصل فى تشريف الله تعالى له بما سماه به من اسمائه
الحسنى ووصفه به من صفاته العلى قال القاضى ابو الفضل وفقه الله ما احرى
هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه فى سلك مضمونها وامتزاجه بعذب
معينها لكن لم يشرح الله الصدر للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج
جوهره والتقاطه الا عند الخوض فى الفصل الذى قبله فراينا ان نضيفه اليه و
نجمع به شمله فاعلم ان الله تعالى خص كثيرا من انبيائه بكرامة خلعها عليهم من
اسمائه كتسميته اسحق واسمعيل بعليم وحليم وابرهيم بحليم ونوحا بشكور وعيسى

ويحيى ببرٍّ وموسى بكريم وقوىّ ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسمعيل
بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضّل محمّدا
نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم بان خلاه منها فى كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه
بعدّة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذّكرا ذلم نجد من
جمع منها فوق اسمين ولا من تفرّغ فيها بالتاليف فصلين وحرّرنا منها فى هذا
الفصل نحو ثلاثين اسما ولعلّ الله تعالى كما الهم الى ما علّم منها وحقّقه يتمّ النعمة
بابانة ما لم يظهره لنا الان ويفتح غلقه فمن اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود
لانّه حمد نفسه وحمده عباده ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال
الطّاعات وسمّى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم محمّدا واحمد فمحمّد بمعنى محمود وكذا
وقع اسمه فى زبر داود واحمد بمعنى اكبر من حمد واجلّ من حمد وقد اشار الى نحو
هذا حسّان بقوله وشقّ له من اسمه ليجلّه فذو العرش محمود وهذا محمّد ومن اسمائه
تعالى الرّؤف الرّحيم وهما بمعنى متقارب وسمّاه فى كتابه بذلك فقال بالمؤمنين
رؤف رحيم ومن اسمائه الحقّ المبين ومعنى الحقّ الموجود والمتحقّق صدقه وامره
وكذلك المبين اى البيّن امره والهيّته بان وابان بمعنى ويكون بمعنى المبيّن لعباده
امر دينهم ومعادهم وسمّى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بذلك فى كتابه فقال حتّى
جاءهم الحقّ ورسول مبين وقال وقل انّى انا النّذير المبين وقال قد جاءكم الحقّ
من ربّكم وقال فقد كذّبوا بالحقّ لمّا جاءهم قيل محمّد وقيل القران ومعناه هنا
ضدّ الباطل والمتحقّق صدقه وامره وهو بمعنى الاوّل والمبين البيّن امره ورسالته
او المبيّن عن الله ما بعثه به كما قال لتبيّن للنّاس ما نزّل اليهم ومن اسمائه تعالى

٦ زبور

النّور ومعناه ذو النّور اى خالقه او منوّر السّموات والارض بالانوار ومنوّر
قلوب المؤمنين بالهداية وسمّاه نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
قيل محمّد وقيل القران وقال فيه وسراجا منيرا سمّى بذلك لوضوح امره وبيان
نبوّته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به ومن اسمائه تعالى الشّهيد
ومعناه العالم وقيل الشّاهد على عباده يوم القيمة وسمّاه شهيدا وشاهدا
فقال انّا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرّسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاوّل
ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفوّ وقيل
العلىّ وفى الحديث المروىّ فى اسمائه تعالى الاكرم وسمّاه تعالى كريما بقوله
انّه لقول رسول كريم قيل محمّد وقيل جبريل وقال عليه السّلام انا اكرم ولد ادم
ومعانى الاسم صحيحة فى حقّه عليه السّلام ومن اسمائه تعالى العظيم ومعناه
الجليل الشّان الّذى كلّ شىء دونه وقال فى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وانّك لعلى
خلق عظيم ووقع فى اوّل سفر من التورية عن اسمعيل وسيلد عظيما لامّة عظيمة
فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبّار ومعناه المصلح وقيل القاهر
وقيل العلىّ العظيم الشّان وقيل المتكبّر وسمّى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى كتاب
داود بجبّار فقال تقلّد ايّها الجبّار سيفك فانّ ناموسك وشرايعك مقرونة
بهيبة يمينك ومعناه فى حقّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم امّا لاصلاحه الامّة
بالهداية والتّعليم او لقهره اعداءه او لعلوّ منزلته على البشر وعظيم خطره ونفى
عنه تعالى فى القران جبريّة التّكبّر الّتى لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبّار
ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطّلع بكنه الشّىء العالم بحقيقته وقيل معناه

النور

للمخبر وقال تعالى فسئل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء المامور بالسؤال غير النبي
صلى الله عليه وسلم والمسؤل الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره
بل السائل النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤل الله فالنبي خبير بالوجهين المذكورين
قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر
لامته بما اذن له في اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده
او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم
لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي ان
تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه
محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسراء الطويل من رواية الربيع بن انس
عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما
وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي
ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب الرحمة
على امته والفاتح لبصايرهم لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر للحق او المبتدئ بهداية
الامة او المبتداء المقدم في الانبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت اول الانبياء
في الخلق واخرهم في البعث ومن اسمائه تعالى في الحديث الشكور ومعناه المثيب
على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا عليه السلام
فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه
فقال افلا اكون عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه
مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله لئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه تعالى

المبتدئ صح

العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم
بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك
عظيما وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمائه
تعالى الاول والاخر ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها والباقي بعد
فنائها وتحقيقه انه ليس له اول ولا اخر وقال عليه السلام كنت اول الانبياء
في الخلق واخرهم في البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى نحو منه عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله نحن الاخرون السابقون وقوله انا اول من
تنشق عنه الارض واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع وهو خاتم
النبيين واخر الرسل صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى القوي وذو القوة
المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش
مكين قيل محمد وقيل جبريل ومن اسمائه تعالى الصادق في الحديث الماثور
وورد في الحديث ايضا اسمه عليه السلام بالصادق المصدوق ومن اسمائه
تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله
وقال عليه السلام انا ولي كل مؤمن وقال الله تعالى النبي اولى بالمؤمنين وقال
عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح
وقد وصف الله بهذا نبيه في القران والتورية وامره بالعفو فقال خذ العفو وقال
فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل وقد ساله عن قوله خذ العفو قال ان تعفو
عمن ظلمك وقال في التورية والانجيل في الحديث المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ

ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى الهادى وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده
وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن
يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل فى
تفسير طه انه يا طاهر يا هادى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وقال تعالى له
وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ وقال فيه وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ فالله تعالى
مختص بمعنى الاول وقال تعالى إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ
وبمعنى الدلالة ينطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المؤمن المهيمن وقيل هما
بمعنى واحد فمعنى المؤمن فى حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله
الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده
فى الدنيا من ظلمه والمؤمنين فى الآخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر
منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم فى الدعاء امين انه اسم من اسماء الله
تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبى صلى الله
عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله امينا فقال مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ وكان
عليه السلام يُعرَفُ بالامين وشُهِرَ به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس فى
شعره مهيمنا فى قوله رضى الله عنه ٭ ثم احتوى بيتك المهيمن من ٭ خندف علياء
تحتها النُّطُقُ ٭ قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتبى والامام ابو القاسم القشيرى وقال
تعالى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ اى يصدق وقال انا امنة لاصحابى فهذا بمعنى
المؤمن ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقايص المطهر من سمات
الحدث وسمى بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادى المقدس

٦ القتيبى ح

٦ اى المطهر ح

وروح القدس ووقع فى كتب الانبياء فى اسمائه عليه السلام المقدس اى المطهر
من الذنوب كما قال لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ او الذى يتطهر
به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال وَيُزَكِّيهِمْ وقال وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ
إِلَى ٱلنُّورِ او يكون مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية
ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذى لا نظير له او المعز لغيره
وقال تعالى وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ اى الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى
نفسه بالبشارة والنذارة فقال يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وقال إِنَّ
ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ وبِكَلِمَةٍ مِّنْهُ وسماه تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اى مبشرا لاهل طاعته
ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد
ذكر بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم فصل
قال القاضى ابو الفضل وفقه الله وها انا اذكر نكتة اذيل بها هذا الفصل واختم
بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم
تخلصه من مهاوى التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله
جل اسمه فى عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلى صفاته لا يشبه
شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى
المخلوق فلا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقى اذ صفات القديم بخلاف صفات
المخلوق فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات
المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض والاغراض وهو تعالى منزه عن
ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى فى هذا قوله لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ولله در من

٦ الدنيئة ح

٦ وعلى ح

قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشتبهة للذوات ولا
معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطى رحمه الله بيانا وهى مقصودنا
فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من
جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة ان تكون لها صفة حديثة
كما استحال ان تكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق
والسنة والجماعة رضى الله عنهم وقد فسر الامام ابو القاسم القشيرى رحمه الله
قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف
تشبه ذاته ذات المحدثات وهى بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله
فعل الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا
بمباشرة ولا معالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال اخر من
مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال
الامام ابو المعالى الجوينى من اطمان الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن
اطمان الى النفى المحض فهو معطل وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته
فهو موحد وما احسن قول ذى النون المصرى حقيقة التوحيد ان تعلم ان
قدرة الله فى الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شىء صنعه ولا
علة لصنعه وما تصور فى وهمك فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق
والفصل الاخر تفسير لقوله ليس كمثله شىء والثانى تفسير لقوله لا يسئل عما يفعل
وهم يسئلون والثالث تفسير لقوله انما قولنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات والتنزيه وجنبنا طرفى الضلالة والغواية

ولا الخواطر

من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته الباب الرابع فيما اظهره الله على يديه
من المعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات قال القاضى ابو الفضل حسب
المتامل ان يحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا ولا لطاعن فى معجزاته
فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل المطاعن اليها
ونذكر شروط المعجزة والتحدى وحده وفساد قول من ابطل نسخ الشرايع ورده بل
الفناه لاهل ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا فى محبتهم له
ومنماة لاعمالهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت فى هذا الباب امهات
معجزاته ومشاهير اياته لتدل على عظم قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح
الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد واضفنا اليها بعض ما وقع فى مشاهير كتب
الائمة واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره وبراعة
علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب
مقاله لم يمتر فى صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد فى اسلامه
والايمان به فروينا عن الترمذى وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله بن
سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما
استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضى الشهيد
ابو على رحمه الله قال نا ابو الحسين الصيرفى وابو الفضل ابن خيرون عن ابى يعلى
البغدادى عن ابى على السنجى عن ابى محبوب عن الترمذى نا محمد بن بشار نا عبد الوهاب
الثقفى ومحمد بن جعفر وابن ابى عدى ويحيى بن سعيد عن عوف ابن ابى جميلة
الاعرابى عن زرارة بن اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابى رمثة التيمى

اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله
وروى مسلم وغيره ان ضماداً لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد
علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن
شداد كان رجل منا يقال له طارق فاخبر انه راى النبي صلى الله عليه وسلم
بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا
من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا
ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر
لا يخيس بكم (اي لا يغدر) فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله اليكم يامركم ان تاكلوا
من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندى ملك عمان لما بلغه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندى والله لقد
دلني على هذا النبي الامي انه لا يامر بخير الا كان اول آخذ به ولا ينهى عن شيء الا
كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود
واشهد انه نبي وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا
مثل ضربه الله تعالى لنبيه عليه السلام يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم
يتل قرانا كما قال ابن رواحة في هذا المعنى لو لم تكن فيه ايات مبينة لكان منظره
ينبيك بالخبر وقد ان ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة
القران وما فيه من برهان ودلالة فصل اعلم ان الله جل اسمه قادر على خلق

المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء
ودون واسطة لو شاء كما حكى عن سنته في بعض الانبياء وذكره بعض اهل التفسير
في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا (اومن وراء حجاب) وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة
يبلغهم كلامه ويكون ذلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء او
من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم
يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاته وجب تصديقهم في جميع ما
اتوا به لان المعجز (المعجزة) مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه
وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد
تتبعه وجده مستوفى في مصنفات ايمتنا رحمهم الله والنبوة في لغة من همز ماخوذة
من النبا وهو الخبر وقد لا تهمز على هذا التاويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى
اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبأ فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا
عما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم
يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة
عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه مؤتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم يات
فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسله اليه
واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس رسالا اذا تبع بعضهم بعضا
فكانه الزم تكرير التبليغ او الزمت الامة اتباعه واختلف العلماء هل النبي والرسول
بمعنى او بمعنيين فقيل هما سواء واصله من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله
تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما معا الارسال قال

ولا يكون النبيّ الّا رسولا ولا الرّسول الّا نبيّا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد
اجتمعتا في النبوّة الّتي هي الاطّلاع على الغيب والاعلام بخواصّ النبوّة او الرّفعة
بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرّسالة للرّسول وهو الامر بالانذار
والاعلام كما قلنا وحجّتهم من الآية نفسها التّفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا
لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبيّ الى امّة او نبيّ
ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى انّ الرّسول من جاء بشرع مبتداء ومن
لم يات به نبيّ غير رسول وان أُمِرَ بالابلاغ والانذار والصّحيح الّذي عليه الجمّاء ٦ الجم بحـ
الغفير انّ كلّ رسول نبيّ وليس كلّ نبيّ رسولا واوّل الرّسل آدم وآخرهم محمّد صلّى
الله عليه وسلّم وفي حديث ابي ذرّ عنه صلّى الله عليه وسلّم انّ الانبياء مائة
الف واربعة وعشرون الف نبيّ وذكر انّ الرّسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر
اوّلهم آدم فقد بان لك معنى النبوّة والرّسالة وليستا عند المحققين ذاتا
للنبيّ ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل
وامّا الوحي فاصله الاسراع فلمّا كان النبيّ يتلقّى ما ياتيه من ربّه بعجل سمّي وحيا
وسمّيت انواعات الالهامات وحيا تشبيها بالوحي الى النبيّ وسمّي الخطّ وحيا ٦ انواع بحـ
لسرعة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فَاَوْحٰى
اِلَيْهِمْ اَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا اي اومأ ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا
اي السّرعة وقيل اصل الوحي السّرّ والاخفاء ومنه سمّي الالهام وحيا ومنه قوله
وَاِنَّ الشَّيَاطِيْنَ لَيُوحُوْنَ اِلٰى اَوْلِيَائِهِمْ اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله وَاَوْحَيْنَا
اِلٰى اُمِّ مُوْسٰى اي اُلْقِيَ في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلّمه الله

الّا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة فصل اعلم انّ معنى تسميتنا ما جاءت
به الانبياء معجزة هو انّ الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من
نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل الله دلّ على صدق نبيّه كصرفهم
عن تمنّي الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على راي بعضهم ونحوه وضرب هو
خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا
حيّة واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من بين الاصابع وانشقاق القمر
ممّا لا يمكن ان يفعله احد الّا الله فكون ذلك على يد النبيّ من فعل الله تعالى وتحدّيه
من يكذّبه ان ياتي بمثله تعجيز له واعلم انّ المعجزات الّتي ظهرت على يد نبيّنا صلّى الله
عليه وسلّم ودلائل نبوّته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو اكثر الرّسل
معجزة وابهرهم آية واظهرهم برهانا كما سنبيّنه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط
فانّ واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لانّ
النبيّ قد تحدّى بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السّور اِنَّا اَعْطَيْنَاكَ
الْكَوْثَرَ فكلّ آية او آيات منه بعددها وقدرها معجزة ثمّ فيها نفسها معجزات
على ما سنفصّله فيما انطوى عليه من المعجزات ثمّ معجزاته صلّى الله عليه وسلّم
على قسمين قسم منها عُلِمَ قطعا ونقل الينا متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف بمجيء
النبيّ به وظهوره من قِبَلِه واستدلاله بحجّته وان انكر هذا معاند جاحد فهو
كانكار وجود محمّد في الدّنيا وانّما جاء اعتراض الجاحدين في الحجّة به فهو في نفسه
وجميع ما تضمّنه من معجز معلوم ضرورة ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما
سنشرحه قال بعض ائمّتنا ويجري هذا المجرى على الجملة انّه قد جرى على يديه عليه

السلام ايات وخوارق عادات ان لم يبلغ واحد منها معيّنا القطع فيبلغه جميعها
فلا مرية فى جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه جرت على يديه
عجايب وانّما خلاف المعاندين فى كونها من قبل الله وقد قدّمنا كونها من قبل الله
وانّ ذلك بمثابة قوله صدقت فقد عُلِمَ وقوع مثل هٰذا ايضا من نبيّنا ضرورة
لاتّفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عَنْتَرَة وحلم اَحْنَف لاتّفاق
الاخبار الواردة عن كلّ واحد منهم على كرم هٰذا وشجاعة هٰذا وحلم هٰذا وان
كان كلّ خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحّته والقسم الثّانى ما لم يبلغ
مبلغ الضّرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع
الخبر به عند المحدّثين والرّواة ونقلة السّير والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع
وتكثير الطّعام ونوع منه اختصّ به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم
يشتهر اشتهار غيره لكنّه اذا جمع الى مثله اتّفقا فى المعنى واجتمعا على الاتيان
بالمعجز كما قدّمناه قال القاضى ابو الفضل وانا اقول صَدْعًا بالحقّ انّ كثيرا من هٰذه
الايات المأثورة عنه عليه السّلام معلومة بالقطع امّا انشقاق القمر فالقران
نصّ بوقوعه واخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهر الّا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح
الاخبار من طرق كثيرة فلا يُوهِنْ عَزْمَنا خلاف اَخْرَقَ مُنْحَلّ عُرَى الدِّين ولا يُلْتَفَتَ
الى سخافة مبتدع يلقى الشّكّ على قلوب ضعفاء المؤمنين بل نرغم بهٰذا انفه وننبذ
بالعراء سُخْفَهُ وكذلك قصّة نبع الماء وتكثير الطّعام رواها الثّقات والعدد
الكثير عن الجمّاء الغفير عن العدد الكثير من الصّحابة ومنها ما رواه الكافّة عن
الكافّة متّصلا عن من حدّث بها من جملة الصّحابة واخبارهم انّ ذلك فى موطن

٦ معين
٦ الجم
٦ جلة

اجتماع

اجتماع الكثير منهم فى يوم الخندق وفى غزوة بُوَاطٍ وعمرة الحديبيّة وغزوة تبوك
وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن احد من الصّحابة مخالفة
للرّاوى فيما حكاه ولا انكار عمّا ذكر عنهم انّهم رأوه كما رواه فسكوت السّاكت منهم
كنطق النّاطق اذ هم المنزّهون عن السّكوت على باطل والمداهنة فى كَذِب وليس
هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف
لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها من السّنن والسّير وحروف
القران وخطّأ بعضهم بعضا ووهّمه فى ذلك ممّا هو معلوم فهٰذا النّوع كلّه
يلحق بالقطعىّ من معجزاته لما بيّنّاه وايضا فانّ امثال الاخبار الّتى لا اصل لها و
بنيت على باطل لابدّ مع مرور الازمان وتداول النّاس واهل البحث من انكشاف
ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد فى كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطّارية
وَاَعْلَامُ نبيّنا هٰذه الواردة من طريق الاحاد لا تزداد مع مرور الزّمان الّا ظهورا
ومع تداول الفِرَق وكثرة طعن العدوّ وحرصه على توهينها وتضعيف اصلها
واجتهاد الملحد على اطفاء نورها الّا قوّة وقبولا وللطّاعن عليها الّا حسرة وغليلا
وكذلك اخباره عن الغيوب وانباؤه بما يكون وكان معلوم من اياته على الجملة
بالضّرورة وهٰذا حقّ لا غطاء عليه وقد قال به من ائمّتنا القاضى والاستاذ ابو بكر
وغيرهما رحمهم الله وما عندى اوجب قول القائل انّ هٰذه القصص المشهورة
من باب خبر الواحد الّا قلّة مطالعته للاخبار وروايتها وَشُغْله بغير ذلك
من المعارف والّا فمن اعتنى بطرق النّقل وطالع الاحاديث والسّير لم يرتب فى
صحّة هٰذه القصص المشهورة على الوجه الّذى ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم

رواها
والجهاد

بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند اخر فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد
موجودة وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون
اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة
وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القران فى الصلوة للمنفرد والامام
واجزاء النية فى اول ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعى يرى تجديد النية كل
ليلة والاقتصار فى المسح على بعض الراس وان مذهبهما القصاص فى القتل بالمحدد
وغيره وايجاب النية فى الوضوء واشتراط الولى فى النكاح وان ابا حنيفة يخالفهما
فى هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعرف هذا
من مذاهبهم فضلا عن سواه وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا
ان شاء الله تعالى فصل فى اعجاز القران اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب العزيز
منطوٍ على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها فى اربعة وجوه
اولها حسن تاليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة
العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة
والحكم بما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت انسان ومن
فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله ذلك لهم طبعا وخلقة وفيهم غريزة
وقوة ياتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها فى
المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون
ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فياتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون
من اوصافهم اجمل من سمط اللآل فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون

الاجن

الاِجَن ويهيجون الدمن ويجرؤن الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون
الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوى ذو اللفظ الجزل والقول
الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهرى والمنزع القوى ومنهم الحضرى ذو
البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل و
التصرف فى القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشيه وكلا البابين
فلهما فى البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج
لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها و
استنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها
فقالوا فى الخطير والمهين وتفننوا فى الغث والسمين وتقاولوا فى القل والكثر و
تساجلوا فى النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت اياته وفصلت كلماته
وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل معقول وتظافر ايجازه واعجازه
وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت فى الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل
البيان جوامعه وبدايعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوايده
مختار لفظه وهم افسح ما كانوا فى هذا الباب مجالا واشهر فى الخطابة رجالا واكثر
فى السجع والشعر سجالا واوسع فى الغريب واللغة مقالا بلغتهم التى بها يتحاورون
ومنازعهم التى عليها يتناضلون صارخا بهم فى كل حين ومقرعا لهم بضعا
وعشرين عاما على رؤس الملاء اجمعين ام يقولون افتريه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا
من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا

فأتوا بسورة من مثله الى قوله تعالى ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الانس والجن
على ان يأتوا بمثل هذا القران الاية وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك
ان المفترى اسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار اقرب واللفظ اذا تبع المعنى
الصحيح كان اصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال وفلان يكتب كما يريد وللاول
على الثانى فضل وبينهما شاو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم اشد
التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت نظامهم
ويذم الهتهم واباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم وهم فى كل هذا
ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته مخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب
والاغتراء بالافتراء وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتريه واساطير
الاولين والمباهتة والرضى الدنية كقولهم قلوبنا غلف وفى اكنة مما تدعونا
اليه وفى اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه
لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم
الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف
عواره لجميعهم وسلبهم الله ما الفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف على اهل
الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين
واتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى
صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الاية قال والله ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر ابو عبيد
ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع اخر

٦ الدّنيّة صح

خلاوة صح

رجلا

رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على
مثل هذا الكلام وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يوما نائما فى المسجد
فاذا هو بقائم على راسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة
الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرا اية
من كتابكم فتاملها فاذا قد جمع فيها ما انزل على عيسى بن مريم من احوال الدنيا والاخرة
وهى قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الاية وحكى الاصمعى
انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة
بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فجمع فى اية واحدة بين امرين
ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره
على التحقيق والصحيح من القولين وكون القران من قبل النبى صلى الله عليه وسلم
وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام متحديا به معلوم ضرورة وعجز
العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه فى فصاحته خارقا للعادة معلوم
ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك
بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا تاملت
قوله تعالى ولكم فى القصاص حيوة وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من
مكان قريب وقوله ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى
حميم وقوله يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى الاية وقوله فكلا اخذنا بذنبه
فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الاية واشباهها من الاى بل اكثر القران حققت
ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تاليف حروفها

٦ علم صح

وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمّة وعلوما زواخر
ملئت الدّواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات
عنها ثمّ هو في سرد القصص الطّوال واخبار القرون السّوالف الّتي يضعف في عادة
الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان اية لمتامّله من ربط الكلام بعضه
ببعض والتيام سرده وتناصف وجوهه كقصّة يوسف على طولها ثمّ اذا تردّدت
قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة تردّدها ثمّ اذا تدبّرت حتّى تكاد كلّ
واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور
للنّفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها فصل الوجه الثّاني من اعجازه صورة
نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها
ونثرها الّذي جاء عليه ووقفت مقاطع ايه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد
قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم
وتدلّهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم
او سجع او رجز او شعر ولمّا سمع كلامه صلّى الله عليه وسلّم الوليد بن المغيرة وقرأ
عليه القران رقّ فجائه ابو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار
منّي والله ما يشبه الّذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الاخر حين جمع قريشا عند
حضور الموسم وقال انّ وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رايا لا يكذّب بعضكم بعضا
فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون
قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر
قد عرفنا الشّعر كلّه رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر

قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم
بقائلين من هذا شيئا الّا وانا اعرف انّه باطل وانّ اقرب القول انّه ساحر فانّه سحر
يفرّق بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وعشيرته فتفرّقوا وجلسوا على السّبل
يحذّرون النّاس فانزل الله تعالى في الوليد ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا الايات
وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القران يا قوم قد علمتم انّي لم اترك شيئا الّا وقد علمته
وقراته وقلته والله لقد سمعت قولا ما سمعت مثله قطّ ما هو بالشّعر ولا بالسّحر
ولا بالكهانة وقال النّضر بن الحارث نحوه وفي حديث اسلام ابي ذرّ ووصف اخاه
أُنَيْسًا فقال ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهليّة
انا احدهم وانّه انطلق الى مكّة وجاء الى ابي ذرّ بخبر النّبيّ قلت فما يقول النّاس قال
يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته
على اقرأ الشّعر وما يلتئم على لسان احد بعدي انّه شعر وانّه لصادق وانّهم لكاذبون
والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكلّ واحد من النّوعين الايجاز والبلاغة
بذاتها والاسلوب الغريب بذاته كلّ واحد منها نوع اعجاز على التّحقيق لم تقدر
العرب على الاتيان بواحد منها اذ كلّ واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها
وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ائمّة المحقّقين وذهب بعض المقتدى بهم
الى انّ الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك بقول تمجّه الاسماع وتنفر
منه القلوب والصّحيح ما قدّمناه والعلم بهذا كلّه ضرورة وقطعا ومن تفنّن في
علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب هذه الصّناعة لم يخف عليه ما
قلناه وقد اختلف ائمّة اهل السّنّة في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انّه ممّا

قالوا

جمع في قوة جزالته ونصاعة الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه
لا يصح ان يكون في مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنع اقدار الخلق عليها كاحياء
الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان
يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون
فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب
عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم بان ياتوا
بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم
بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر اية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا في
ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا
من شموخ الانف واباية الضيم بحيث لا يوثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا
اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها اهون عليهم واسرع
بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم من هم قدرة على الكلام وقدوة في
المعرفة به لجميع الانام وما منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في اخفا
ظهوره واطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من نبات شفاههم ولا اتوا بنطفة
من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فما
نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه

فصل

الوجه الثالث من الاعجاز
ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه
الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وقوله وهم من
بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله وقوله وعد الله الذين امنوا منكم

الممتنعة عن اقدار

وعملوا

وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الاية وقوله اذا جاء نصر الله الى اخرها فكان
جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في الاسلام
افواجا فما مات عليه السلام وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام
واستخلف المؤمنين في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق
الى اقصى المغارب كما قال عليه السلام زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة
لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمس مائة عام
فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين
في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله قاتلوهم
يعذبهم الله بايديكم الاية وقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى الاية وقوله لن
يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الاية فكان كل ذلك وما فيه من كشف اسرار المنافقين
واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون في انفسهم
لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك وقوله ومن
الذين هادوا سماعون للكذب وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الى
قوله في الدين وقد قال مبتديا ما قدره الله واعتقده المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله
احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله انا
كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اصحابه بان
الله كفاه اياهم وكان المستهزؤن نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا

مبتديا

وقوله وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ فكان كذلك على كثرة من رام ضرّه وقصد قتله و
الاخبار بذلك معروفة صحيحة فصل الوجه الرّابع ما انباء من اخبار القرون
السّالفة والامم البايدة والشرايع الدّاثرة مما كان لايعلم منه القصّة الواحدة الّا الفذّ
من اخبار اهل الكتاب الّذى قطع عمره فى تعلّم ذلك فيورده النّبىّ صلّى الله عليه
وسلّم على وجهه ويأتى به على نصّه فيعترف العالم بذلك بصحّته وصدقه وانّ
مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلّى الله عليه وسلّم امّىّ لايقرأ ولا يكتب ولا
اشتغل بمدارسة ولا مثاقبة لم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم وقد كان
اهل الكتاب كثيرا مايسئلونه صلّى الله عليه وسلّم عن هذا فينزل عليه من القران
مايتلوا عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف
واخوته واصحاب الكهف وذى القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانباء
وبدء الخلق وما فى التّورية والانجيل والزّبور وصحف ابرٰهيم وموسى ممّا صدّقه فيه
العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفّق امن بما
سبق له من خير ومن شقىّ معاند حاسد ومع هذا فلم يُحْكَ عن واحد من النّصارى
واليهود على شدّة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما فى
كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه السّلام
وتعنيتهم ايّاه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه
لهم بمكتوم شرايعهم ومضمّنات كتبهم مثل سؤالهم عن الرّوح وذى القرنين واصحاب
الكهف وعيسى وحكم الرّجم وما حَرَّمَ اسرائل على نفسه وما حُرِّمَ عليهم من الانعام
ومن طيّبات كانت احلّت لهم فحرّمت عليهم ببغيهم وقوله ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى

ٱلتَّوْرٰيةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنْجِيلِ وغير ذلك من امورهم الّتى نزل فيها القران فاجابهم
وعرّفهم بما اوحى اليه من ذلك انه انكر ذلك اوكذّبه بل اكثرهم صرّح بصحّة نبوّته
وصدق مقاله واعترف بعناده وحسدهم ايّاه كاهل نجران وابن صوريا وابنى
اخطب وغيرهم ومن باهت فى ذلك بعض المباهتة وادّعى انّ فيما عندهم من
ذلك لما حكاه مخالفة دُعِىَ الى اقامة حجّته وكشف دعوته فقيل له فَأْتُوا بِٱلتَّوْرٰيةِ
فَٱتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ الى قوله الظّالمون فقرّع ووبّخ ودعا الى احضار ممكن غير
ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقى على فضيحته من كتابه يده ولم يوثر انّ واحدا
منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى
يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَيَعْفُوا
عَنْ كَثِيرٍ الآيتين فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بيّنة لانزاع فيها ولا مرية
ومن الوجوه البيّنة فى اعجازه من غير هذه الوجوه اى وردت بتعجيز قوم فى قضايا
واعلامهم انّهم لايفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود قُلْ إِنْ
كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِنْدَ ٱللَّهِ خَالِصَةً الآية قال ابو اسحق الزّجّاج فى هذه
الآية اعظم حجّة واظهر دلالة على صحّة الرّسالة لانّه قال لهم فتمنّوا الموت واعلمهم
انهم لن يتمنّوه ابدا فلم يتمنّه واحد منهم وعن النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال والّذى
نفسى بيده لايقولها رجل منهم الّا غصّ بريقه يعنى يموت مكانه فصرفهم الله عن
تمنّيه وجزّعهم ليظهر صدق رسوله وصحّة ما اوحى اليه اذ لم يتمنّه احد منهم
وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكنّ الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته
وبانت حجّته قال ابو محمّد الاصيلى من اعجب امرهم انّه لايوجد منهم جماعة ولا واحد

من يوم امر الله بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن
اراد ان يمتحنه منهم وكذلك اية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفه
نجران وابوا الاسلام فانزل الله عليه اية المباهلة بقوله فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ الاية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم
قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله
تعالى وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا الى قوله فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فاخبرهم
انهم لا يفعلون كما كان وهذه الاية ادخل في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من
التعجيز ما في التي قبلها فصل ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم
عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهي على
المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون
انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام ان القران صعب مستصعب
على من كرهه وهو الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته
توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى
تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ و
قال تعالى لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ الاية ويدل على ان هذا شيء خص به انه
يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني انه مر بقارئ فوقف
يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل
الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وامن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح
عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما

فيبقى صح

بلغ

بلغ هذه الاية أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ الى قوله الْمُسَيْطِرُونَ كاد قلبي
ان يطير وفي رواية وذلك اول ما وقر الاسلام في قلبي وعن عتبة بن ربيعة انه كلم
النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليه حم فُصِّلَتْ الى
قوله صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ فامسك عتبة بيده على في النبي صلى الله
عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمدا عليهما حتى انتهى الى السجدة
فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله
ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت
اذناي بمثله قط فما دريت ما اقول له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته
انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه
وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد
ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته وكان يحيى بن
حكم الغزال بليغ الاندلس في زمنه فحكي انه رام شيئا من هذا فنظر في سورة
الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني منه خشية ورقة
حملته على التوبة والانابة فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه اية باقية
لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ وقال لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ وسائر معجزات الانبياء
انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقران العزيز الباهرة اياته الظاهرة
معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائه عام وخمس وثلثين سنة لاول نزوله

٦ عليهم صح

والاوبة صح

الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل
البيان وحملة علم اللسان وائمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة
والملحد فيهم كثير والمعادى للشرع عتيد فما منهم من اتى بشىء يوثر فى معارضته
ولا الف كلمتين فى مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من
ذهنه فى ذلك الا بزند شحيح بل الماثور عن كل من رام ذلك القاؤه فى العجز بيديه
والنكوص على عقبيه فصل وقد عد جماعة من الائمة ومقلدى الائمة فى اعجا[زه]
وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده
حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ فى
الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به فى
الخلوات ويونس بتلاوته فى الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث
اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قرائتها ولهذا وصف
رسول الله صلى الله عليه وسلم القران بانه لا يخلق على كثرة الرد لا تنقضى عبره و
لا تفنى عجايبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا
تلتبس به الالسنة هو الذى لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا
يهدى الى الرشد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد
صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد
من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرايع و
التنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة
سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادلة مثلها فلم

يقدروا

يقدروا عليها كقوله اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق
مثلهم وقل يحييها الذى انشاها اول مرة ولو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
الى ما حواه من علوم السير وانباء الامم والمواعظ والحكم واخبار الدار الاخرة
ومحاسن الاداب والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا فى الكتاب من شىء ونزلنا
عليك الكتاب تبيانا لكل شىء ولقد ضربنا للناس فى هذا القران من كل مثل
وقال عليه السلام ان الله انزل هذا القران امرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا
مضروبا فيه نباكم وخبر ما كان قبلكم ونبا ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه
طول الرد ولا تنقضى عجايبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به
عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدى
الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره قصمه
الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين
والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ
فيستعتب ولا تنقضى عجايبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود
وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه نبا الاولين والاخرين وفى الحديث قال
الله لمحمد عليه السلام انى منزل عليك تورية حديثة تفتح بها اعينا عميا واذا[نا]
صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم
بالقران فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال تعالى ان هذا القران يقص على
بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس وهدى الاية فجمع
فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما فى الكتب قبله التى الفاظها

على الضّعف منه مرّات ومنها جمعه فيه بين الدّليل والمدلول وذلك انّه احتجّ
بنظم القران وحسن رصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره ونهيه
ووعده ووعيده فالتّالى له يفهم موضع الحجّة والتّكليف معا من كلام واحد
وسورة منفردة ومنها ان جعله فى حيّز المنظوم الّذى لم يعهد ولم يكن فى حيّز
المنثور لانّ المنظوم اسهل على النّفوس واوعى للقلوب واسمح فى الاذان واحلى على
الافهام فالنّاس اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه
لمتعلّميه وتقريبه على متحفّظيه قال الله تعالى وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْاٰنَ لِلذِّكْرِ وسائر
الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجمّاء على مرور السّنين عليهم والقران
ميسّر حفظه للغلمان فى قرب مدّة ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن
ايتلاف انواعها والتيئام اقسامها وحسن التّخلّص من قصّة الى اخرى والخروج
من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السّورة الواحدة على امر ونهى و
خبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوّة وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب
الى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلّل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل
هذا ضعفت قوّته ولانت جزالته وقلّ رونقه وتقلقلت الفاظه فتامّل اوّل ص
وما جمع فيها من اخبار الكفّار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم
وما ذكر من تكذيبهم لمحمّد وتعجّبهم ممّا اتى به والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر
وما ظهر من الحسد فى كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزى الدّنيا و
الاخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم
وتصبير النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم على اذاهم وتسليته بكلّ ما تقدّم ذكره ثمّ اخذ

فى ذكر داود وقصص الانبياء كلّ هذا فى اوجز كلام واحسن نظام ومنه
الجملة الكثيرة الّتى انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كلّه وكثير ممّا ذكرنا
انّه ذكر فى اعجاز القران الى وجوه كثيرة ذكرها الائمّة لم نذكرها اكثرها داخل
فى باب بلاغته فلا يجب ان يعدّ فنّا منفردا فى اعجازه الّا فى باب تفصيل فنون
البلاغة وكذلك كثير ممّا قدّمنا ذكره عنهم يعدّ فى خواصّه وفضايله لا اعجازه
وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة الّتى ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواصّ
القران وعجايبه الّتى لا تنقضى وبالله التّوفيق فصل فى انشقاق القمر وحبس الشّمس
قال الله تعالى اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَاِنْ يَرَوْا اٰيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ
مُسْتَمِرٌّ اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضى واعراض الكفرة عن اياته واجمع
المفسّرون واهل السّنّة على وقوعه اخبرنا حسين بن محمّد الحافظ من كتابه نا
القاضى سراج بن عبد الله نا الاصيلىّ نا المروزىّ نا الفربرىّ نا البخارىّ نا مسدّد نا
يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابرهيم عن ابى معمر عن ابن مسعود قال
انشقّ القمر على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فرقتين فرقة فوق الجبل فرقة
دونه فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اشهدوا وفى رواية مجاهد ونحن مع
النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم وفى بعض طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود
الاسود وقال حتّى رايت الجبل بين فرجتى القمر ورواه عنه مسروق انّه كان بمكّة
وزاد فقال كفّار قريش سحركم ابن ابى كبشة فقال رجل منهم انّ محمّدا ان كان سحر القمر
فانّه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلّها فسئلوا من ياتيكم من بلد اخر هل راوا هذا
فاتوا فسئلوا فاخبروهم انّهم راوا مثل ذلك وحكى السّمرقندىّ عن الضّحّاك نحوه

وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الآفاق حتى ينظروا ارأوا ذلك ام لا
فاخبر اهل الآفاق انهم راوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه
ايضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء اربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود
كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم
فقال علي من رواية ابي حذيفة الارحبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم
وعن انس سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم انشقاق
القمر فرقتين حتى راوا حراء بينهما رواه عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن
قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة ورواه عن جبير بن
مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله
ابن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم
ابن ابي عمران الازدي واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت
الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم
اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل
الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر
في حد واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على آخرين وقد
يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار الارض ويحول بين قوم وبينه
سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها
جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها ذلك تقدير
العزيز العليم وآية القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون

وايجاف

وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من
رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم
لا يعلم به حتى يخبر وكثير مما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم
طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند احد منها وخرج
الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يوحى اليه وراسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس
قالت اسماء فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال و
الارض وذلك بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات
وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ
حديث اسماء لانه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي روايته
عن ابن اسحق لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة
التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش
ينظرون وقد ولى النهار ولم تجيء فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار
ساعة وحبست عليه الشمس فصل في نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته
صلى الله عليه وسلم اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء
من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن
مسعود حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه نا القاضي

عيسى بن سهل نا ابو القاسم حاتم بن محمد نا ابو عمر بن الفخار نا ابو عيسى نا عبيد الله نا
يحيى نا مالك عن اسحق بن عبد الله بن ابى طلحة عن انس بن مالك رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحانت صلوة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الاناء
يده وامر الناس ان يتوضؤا منه قال فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس
حتى توضؤا من عند اخرهم ورواه ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر
اصابعه او لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلثمائة وفى رواية عنه وهم بالزوراء
عند السوق ورواه ايضا حميد وثابت والحسن عن انس وفى رواية حميد قلت
كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا و
اما ابن مسعود ففى الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه
فضل ماء فاتى بماء فصبه فى اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الصحيح عن سالم بن ابى الجعد عن جابر عطش الناس
يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضا منها واقبل
الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما فى ركوتك فوضع النبى صلى الله عليه وسلم
يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم
قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروى مثله عن انس عن جابر وفيه
انه كان فى الحديبية وفى رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه فى حديث مسلم
الطويل فى ذكر غزوة بواط قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد

الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة فى عزلاء شجب فاتى به النبى
صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشىء لا ادرى ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت
بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم بسط يده فى الجفنة وفرق
اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرايت الماء يفور من بين اصابعه ثم
فارت الجفنة واستدارت حتى امتلات وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى
رووا فقلت هل بقى احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة
وهى ملأى وعن الشعبى اتى النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض اسفاره باداوة ماء وقيل
ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها فى ركوة ووضع اصبعه وسطها وغمسها فى
الماء وجعل الناس يجيؤن ويتوضؤن ثم يقومون قال الترمذى وفى الباب عن عمران
ابن حصين ومثل هذا فى هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة
الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شىء الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك
ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور
الجماء الغفير له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه
وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم لهم فصل ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير
الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته فيما روى مالك فى الموطاء عن معاذ بن جبل
فى قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهى تبض بشىء من ماء مثل الشراك فغرفوا
من العين بايديهم حتى اجتمع فى شىء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه
وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال فى حديث ابن اسحق
فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حيوة

واستزادت صح
الحفيلة صح
الجم صح
له صح
تماء صح

ان ترى ما ههنا قد ملئ جنانا وفى حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه اتم فى
قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا تروى خمسين شاة فنزحناها فلم
نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء واتى بدلو
منها فبصق ودعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم و
ركابهم وفى غير هذه الروايتين فى هذه القصة من طريق ابن شهاب فى الحديبية
فاخرج سهما من كنانته فوضع فى قعر قليب ليس فيه ماء فروى الناس حتى ضربوا
بعطن وعن ابى قتادة وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
العطش فى بعض اسفاره فدعا بالميضاة فجعلها فى ضبنه ثم التقم فمها فالله اعلم
نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملؤا كل اناء معهم فخيل الى انها كما
اخذها منى وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر
الطبرى حديث ابى قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبى صلى الله عليه وسلم
خرج بهم ممدا لاهل مؤتة عند ما بلغه قتل الامراء وذكر حديثا طويلا فيه معجزات
وايات للنبى صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون الماء فى غد
وذكر حديث الميضاة قال والقوم زهاء ثلثمائة وفى كتاب مسلم انه قال لابى قتادة
احفظ على ميضاتك فانه سيكون لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران
ابن حصين حين اصاب النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش فى بعض اسفارهم
فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امراة بمكان كذا معها بعير عليه
مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل فى اناء من
مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء فى المزادتين ثم فتحت عزاليهما

زهاء

وامر

وامر الناس فملؤا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا الا ملؤه قال عمران ويخيل الى انهما
لم تزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمراة من الازواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبى فانا لم ناخذ
من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع قال نبى الله
صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها فى قدح
فتوضانا كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة وفى حديث عمر فى جيش العسرة
وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب
ابو بكر الى النبى صلى الله عليه وسلم فى الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء
فانسكبت فملؤا ما معهم من انية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب ان ابا طالب
قال للنبى صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذى المجاز عطشت وليس عندى ماء
فنزل النبى صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب
والحديث فى هذا الباب كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه
فصل ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضى الشهيد ابو على
رحمه الله نا العذرى نا الرازى نا الجلودى نا ابن سفيان نا مسلم بن الحجاج نا سلمة
ابن شبيب نا الحسن بن اعين نا معقل عن ابى الزبير عن جابر ان رجلا اتى النبى صلى
الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال ياكل منه وامراته و
ضيفه حتى كاله فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه
ولقام بكم ومن ذلك حديث ابى طلحة المشهور واطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين
او سبعين رجلا من اقراص من شعير جاء به انس تحت يده اى ابطه فامر بها ففتت
وقال فيها ما شاء الله ان يقول وحديث جابر فى اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم

الخندق الف رجل من صاع شعير وعناقٍ وقال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه و
انحرفوا وان برمتنا لتغط كما هى وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بصق فى العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء وايمن وعن ثابت
مثله عن رجل من الانصار وامراة ولم يسمهما قال جىء بمثل الكف فجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبسطها فى الاناء ويقول ما شاء الله فاكل من فى البيت و
الحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ ممن قدم معه عليه السلام لذلك وبقى بعد ما
شبعوا مثل ما كان فى الاناء وحديث ابى ايوب انه صنع لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولابى بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبى صلى الله عليه وسلم
ادع ثلاثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوا وما خرج منهم احد حتى
اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامى مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب
اتى النبى صلى الله عليه وسلم بقصعةٍ فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم
قوم ويقعد اخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابى بكر كنا مع النبى صلى الله
عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر فى الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة
فشوى سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد حز له حزة من سواد
بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل فى القصعتين فحملته على
البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابى عمرة الانصارى عن ابيه ومثله لسلمة
ابن الاكوع وابى هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة اصابت الناس مع النبى
صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد فجاء الرجل بالحثية
من الطعام وفوق ذلك واعلاهم الذى اتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة

فاكلوا حتى تركوه وقال ادع ستين فكان مثل الاول ثم قال ادع سبعين ح

فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقى فى الجيش وعاء الا ملؤه وبقى
منه وعن ابى هريرة امرنى النبى صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم
حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صفحة فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهى مثلها حين وضعت
الا ان فيها اثر الاصابع وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه جمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون الفرق
فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقى كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا
وبقى كانه لم يشرب وقال انس ان النبى صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب امرنى ان
يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم اليهم تورا فيه
قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم
يتغذون ويخرجون وبقى التور نحوا مما كان وكان القوم احدا واثنين وسبعين وفى
رواية اخرى فى هذه القصة او مثلها ان القوم كانوا زهاء ثلثمائة وانهم اكلوا
حتى شبعوا وقال لى ارفع فلا ادرى حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت وفى حديث
جعفر بن محمد عن ابيه عن على رضى الله عنه ان فاطمة طبخت قدر الغداء بهما ووجهت
عليا الى النبى صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فامرها فغرفت منها لجميع
نسائه صحفة صحفة ثم له عليه السلام ولعلى ثم لها ثم رفعت القدر وانها لتفيض
قالت فاكلنا منها ما شاء الله وامر عمر بن الخطاب ان يزود اربعمائة راكب من احمس
فقال يا رسول الله ما هى الا اصوع قال اذهب فذهب فزودهم منها وكان قدر
الفصيل الرابض من التمر وبقى بحاله من رواية دكين الاحمسى ومن رواية جرير ومثله
من رواية النعمان بن مقرنٍ الخبر بعينه الا انه قال اربعمائة راكب من مزينة ومن ذلك

صحفة ح
الغدا بها ح
اغرفت ح

حديث جابر في دين ابيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه
ولم يكن في ثمرها سنين كفاف دينهم فجاءه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعد ان امره
بجدّها وجعلها بيادر في اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى منه جابر غرماء ابيه وفضل
مثل ما كانوا يجدّون كل سنة وفى رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء يهود فعجبوا
من ذلك وقال ابو هريرة اصاب الناس مخمصة فقال لى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
هل من شئ قلت نعم شئ من التمر في المزود قال فاتني به فادخل يده فاخرج قبضة
فبسطها ودعا بالبركة ثمّ قال ادع عشرة فاكلوا حتّى شبعوا ثمّ عشرة كذلك حتّى اطعم
الجيش كلّهم وشبعوا قال خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبّه
فقبضت على اكثر ممّا جئت به فاكلت منه واطعمت حياة رسول الله صلّى الله عليه
وسلّم وابى بكر وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب منّى فذهب وفى رواية فقد حملت من
ذلك التمر كذا وكذا وسق في سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك
وانّ التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه ايضا حديث ابى هريرة حين اصابه الجوع فاستتبعه
النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فوجد لبنا في قدح قد اهدى اليه وامره ان يدعوا اهل
الصفّة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احقّ ان اصيب منه شربة اتقوّى بها
فدعوتهم وذكر امر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم له ان يسقيهم فجعلت اعطى الرّجل
فيشرب حتّى يروى ثمّ ياخذه الاخر حتّى روى جميعهم قال فاخذ النبيّ صلّى الله عليه
وسلّم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد واشرب فشربت ثمّ قال اشرب وما زال يقولها
واشرب حتّى قلت لا والّذى بعثك بالحقّ ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله
وسمّى وشرب الفضلة وفى حديث خالد بن عبد العزّى انه اجزر النبيّ صلّى الله عليه

وسلّم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشّاة فلا تبدّ عياله عظما عظما وانّ النبىّ
صلّى الله عليه وسلّم اكل من هذه الشّاة وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له
بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا ذكر خبره الدّولابىّ ومن حديث الاجرّىّ
في انكاح النبىّ صلّى الله عليه وسلّم لعلىّ فاطمة انّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم امر
بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك
فطعن في راسها ثمّ ادخل النّاس رفقة رفقة ياكلون منها حتّى فرغوا وبقيت منها
فضلة فبرّك فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن من غشيكنّ وفى حديث
انس تزوّج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فصنعت امّى امّ سليم حيسا فجعلته
في تور فذهبت به الى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال ضعه وادع لى فلانا و
فلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الّا دعوته وذكر انّهم كانوا زهاء
ثلثمائة حتّى ملؤا الصّفّة والحجرة فقال لهم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم تحلّقوا عشرة
عشرة ووضع النبىّ صلّى الله عليه وسلّم يده على الطعام فدعا فيه وقال ما شاء
الله ان يقول فاكلوا حتّى شبعوا كلّهم فقال لى ارفع فما ادرى حين وضعت كان
اكثر او حين رفعت واكثر احاديث هذه الفصول الثّلاثة في الصّحيح وقد اجتمع على
معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصّحابة رواه عنهم اضعافهم من التّابعين
ثمّ من لا ينعدّ بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة لا يمكن التّحدّث
عنها الّا بالحقّ ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر فصل في كلام الشّجر وشهادتها له
بالنّبوّة واجابتها دعوته حدّثنا احمد بن محمّد بن غلبون الشّيخ الصّالح فيما اجازنيه
عن ابى عمر الطّلمنكىّ عن ابى بكر بن المهندس عن ابى القاسم البغوىّ نا احمد بن عمران

الاحنسي نا محمد بن فضيل نا ابو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر
قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي
اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه
الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فادعها فانها تجيبك قال فدعوتها فاقبلت
تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت
الى مكانها وعن بريدة سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك
الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها
وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى
وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله
قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك فاستوت
فقال الاعرابي ائذن لي ان اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة
ان تسجد لزوجها قال فاذن لي ان اقبل يديك ورجليك فاذن له وفي الصحيح في
حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته
فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت
معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا
كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتامتا وفي رواية اخرى فقال يا جابر
قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى اجلس
خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر
وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا
والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقفة فقال براسه هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد نحوه
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل يعني مكانا لحاجة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال
هل ترى من نخل او حجارة فقلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركن ان ياتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رايت
النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى
حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرايتهن والحجارة يفترقن حتى عدن
الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير
وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فامر وديتين فانضمتا وفي رواية اشاءتين
وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه
وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء راها
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت به ثم
رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استاذنت ان تسلم
علي وفي حديث عبد الله بن مسعود اذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة
استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد

لك قال هذه الشجرة تعالى يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث
الاول او نحوه قال القاضى ابو الفضل فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود
ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلى بن ابى طالب وابن عباس وغيرهم
قد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين اضعافهم
فصارت فى انتشارها من القوة حيث هى وذكر ابن فورك انه صلى الله عليه وسلم
سار فى غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى
جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهى هناك معروفة معظمة ومن ذلك
حديث انس ان جبريل قال للنبى صلى الله عليه وسلم وراه حزينا اتحب ان اريك
اية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادى فقال
ادع تلك الشجرة فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع فعادت الى
مكانها وعن على نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل قال اللهم ارنى اية لا ابالى من كذبنى
بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه
الاية لهم لا له وذكر ابن اسحق ان النبى صلى الله عليه وسلم ارى ركانه مثل هذه
الاية فى شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعى فرجعت وعن الحسن
انه عليه السلام شكى الى ربه من قومه وانهم يخوفونه وساله اية يعلم بها الا مخافة
عليه فاوحى الله اليه ان ائت وادى كذا فيه شجرة فادع غصنا منها ياتك ففعل
فجاءت يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما
جئت فرجع فقال يا رب علمت الا مخافة على ونحو منه عن عمر وقال فيه ارنى اية
لا ابالى من كذبنى بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابى

فسادت صح

وقال عمر صح

ارايت

ارايت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتشهد انى رسول الله قال نعم فدعاه
فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذى وقال هذا حديث
صحيح

فصل فى قصة حنين الجذع

ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع
وهو فى نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة
بضعة عشر منهم ابى بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر
وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدرى وبريدة وام سلمة والمطلب
ابن ابى وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذى وحديث انس صحيح
قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبى صلى الله عليه وسلم
اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت
العشار وفى رواية انس حتى ارتج المسجد بخواره وفى رواية سهل وكثر بكاء الناس
لما راوا به وفى رواية المطلب وابى حتى تصدع وانشق حتى جاء النبى صلى الله عليه
وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان هذا
بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذى نفسى بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة
تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدفن تحت المنبر كذا فى حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق عن انس وفى بعض
الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره او جعلت فى السقف وفى حديث ابى
فكان اذا صلى النبى صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابى فكان
عنده الى ان اكلته الارض وعاد رفاتا وذكر الاسفراينى ان النبى صلى الله عليه وسلم
دعا الى نفسه فجاءه يخرق الارض فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه وفى حديث بريدة

بجوارة صح

بهاء

الارضة صح

فقال يعنى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ان شئت اردّك الى الحائط الّذى كنت فيه تنبت
لك عروقك ويكمل خلقك ويجدّ لك خوصٌ وثمرة وان شئت اغرسك فى الجنّة
فياكل اولياء الله من ثمرك ثمّ اصغى له النبىّ صلّى الله عليه وسلّم يستمع ما يقول فقال
بل تغرسنى فى الجنّة فياكل منّى اولياء الله واكون فى مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه
فقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قد فعلت ثمّ قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان
الحسن اذا حدّث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحنّ الى رسول الله صلّى الله
عليه وسلّم شوقا اليه لمكانه فانتم احقّ ان تشتاقوا الى لقائه رواه عن جابر حفص
ابن عبد الله ويقال عبيد الله بن حفص وايمن وابو نصرة وابن المسيّب وسعيد بن
ابى كرب وكريب وابو صالح ورواه عن انس بن مالك الحسن وثابت واسحق ابن ابى
طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وابو حيّة ورواه ابو نصرة وابو الودّاك عن ابى سعيد
وعمّار بن ابى عمّار عن ابن عبّاس وابو حازم وعبّاس بن سهل بن سعد عن ابيه قال
القاضى ابو الفضل رضى الله عنه فهذا حديث كما تراه خرّجه اهل الصّحّة ورواه
من الصّحابة من ذكرنا وغيرهم من التّابعين ضعفهم الى من لم نذكره وبمن دون هذا
العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبّت على الصّواب وهو حسبنا ونعم
الوكيل فصل ومثل هذا فى سائر الجمادات حدّثنا القاضى ابو عبد الله محمّد بن عيسى
التّيمى نا القاضى ابو عبد الله المرابط نا المهلّب ابو القاسم نا ابو الحسن القابسىّ نا
المروزىّ نا الفربرىّ نا البخارىّ نا محمّد بن المثنّى نا ابو احمد الزّبيرىّ قال نا اسرائل عن
منصور عن ابرهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنّا نسمع تسبيح الطّعام وهو يوكل
وفى غير هذه الرّواية عن ابن مسعود كنّا ناكل مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

الطّعام ونحن نسمع تسبيحه وقال انس اخذ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم كفا من حصى
فسبّحن فى يد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتّى سمعنا التّسبيح ثمّ صبّهن فى
يد ابى بكر فسبّحن ثمّ فى ايدينا فما سبّحن وروى مثله ابو ذرّ وذكر انّهنّ سبّحن فى كفّ
عمر وعثمان وقال علىّ كنّا بمكّة مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فخرج الى بعض
نواحيها فما استقبله شجرة ولا جبل الّا قال له السّلام عليك يا رسول الله و
عن جابر بن سمرة عنه عليه السّلام انّى لاعرف حجرا كان بمكّة يسلّم علىّ قيل انّه
الحجر الاسود وعن عايشة لمّا استقبلنى جبريل بالرّسالة جعلت لا امرّ بحجر ولا
شجر الّا قال السّلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن صلّى الله عليه
وسلّم يمرّ بحجر ولا شجر الّا سجد له وفى حديث العبّاس اذا اشتمل عليه النّبىّ صلّى الله
عليه وسلّم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النّار كستره ايّاهم بملائته فامّنت
اسكفّة الباب وحوائط البيت امين امين وعن جعفر بن محمّد عن ابيه مرض
النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم فاتاه جبريل بطبق فيه رمّان وعنب فاكل منه النّبىّ
صلّى الله عليه وسلّم فسبّح وعن انس صعد النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم وابو بكر
وعمر وعثمان احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانّما عليك نبىّ وصدّيق وشهيدان
ومثله عن ابى هريرة فى حراء وزاد معه وعلىّ وطلحة والزّبير وقال فانّما عليك
نبىّ او صدّيق او شهيد والخبر فى حراء ايضا عن عثمان قال ومعه عشرة من اصحابه
انا فيهم وزاد عبد الرّحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين وفى حديث سعيد
ابن زيد ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روى انّه حين طلبته قريش قال له
ثبير اهبط يا رسول الله فانّى اخاف ان يقتلوك على ظهرى فيعذّبنى الله فقال حراء

الى يا رسول الله وروى ابن عمر ان النبىّ صلى الله عليه وسلّم قرأ على المنبر وَمَا قَدَرُوا
اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ ثمّ قال يمجد الجبّار نفسه انا الجبّار انا الجبّار انا الكبير المتعال فرجف
المنبر حتّى قلنا ليخرّنّ عنه وعن ابن عبّاس كان حول البيت ستّون وثلثمائة صنم
مُثبتَةَ الارجل بالرّصاص فى الحجارة فلمّا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلّم المسجد
عام الفتح جعل يشير بقضيب فى يده اليها ولا يمسّها ويقول جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ
الآية فما اشار الى وجه صنم الّا وقع لقفاه ولا لقفاه الّا وقع لوجهه حتى بقى منها
صنم ومثله حديث ابن مسعود وقال فجعل يطعنها ويقول جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ
الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ومن ذلك حديثه مع الرّاهب فى ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع
عمّه وكان الرّاهب لا يخرج الى احد فخرج وجعل يتخلّلهم حتّى اخذ بيد رسول الله
صلى الله عليه وسلّم فقال هٰذا سيّد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال
له اشياخ من قريش ما علمك قال انّه لم يبق شجر ولا حجر الّا خرّ ساجدا له ولا تسجد
الّا لنبىّ وذكر القصّة ثمّ قال واقبل صلى الله عليه وسلّم وعليه غمامة تظلّه فلمّا
دنى من القوم وجدهم قد سبقوه اليه فىء الشّجرة فلمّا جلس مال الفىء اليه فصل
فى الآيات فى ضروب الحيوانات حدّثنا سراج بن عبد المالك ابو الحسين الحافظ
نا ابى نا القاضى يونس نا ابو الفضل الصّقلىّ نا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجدّه
قالا نا ابو العلاء احمد بن عمران نا محمّد بن فضيل نا يونس بن عمرو نا مجاهد عن عايشة
قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم قرّ وثبت
مكانه فلم يجئ ولم يذهب فاذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلّم جاء وذهب
وروى عن عمر انّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم كان فى محفل من اصحابه اذ جاء

مُثبَتة صح

اعرابى

اعرابىّ قد صاد ضبّا فقال ما هذا قالوا نبىّ الله فقال واللّات والعزّى لا امنت
بك او يؤمن هٰذا الضّبّ وطرحه بين يدى النّبىّ صلى الله عليه وسلّم فقال النّبىّ
صلى الله عليه وسلّم يا ضبّ فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبّيك
وسعديك يا زين من وافى القيٰمة قال من تعبد قال الّذى فى السّماء عرشه وفى
الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنّة رحمته وفى النّار عقابه قال فمن انا
قال رسول ربّ العالمين وخاتم النّبيّين وقد افلح من صدّقك وخاب من كذّبك
فاسلم الاعرابىّ ومن ذلك قصّة كلام الذئب المشهورة عن ابى سعيد الخدرىّ
بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فاخذها الرّاعى منه فاقعى الذّئب
وقال للرّاعى الا تتّقى الله حلتَ بينى وبين رزقى قال الرّاعى العجب من ذئب يتكلّم
بكلام الانس فقال الذّئب الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلّم بين الحرّتين يحدّث النّاس بانباء ما قد سبق فاتى الرّاعى النّبىّ صلى الله
عليه وسلّم فاخبره فقال النّبىّ صلى الله عليه وسلّم قم فحدّثهم ثمّ قال صدق و
الحديث فيه قصّة وفى بعضه طول وروى حديث الذّئب عن ابى هريرة وفى
بعض الطّرق عن ابى هريرة فقال الذّئب انت اعجب واقفا على غنمك وتركت نبيّا
لم يبعث الله نبيّا قطّ اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنّة واشرف
اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الّا هذا الشّعب فتصير
فى جنود الله قال الرّاعى من لى بغنمى قال الذّئب انا ارعاها حتّى ترجع فاسلم الرّجل
اليه غنمه ومضى وذكر قصّته واسلامه ووجوده النّبىّ صلى الله عليه وسلّم
يقاتل فقال له النّبىّ صلى الله عليه وسلّم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها

صدقت صح

بينهم صح

كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب القصة
والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه كان صاحب هذه
القصة ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث ابى سعيد وقد روى ابن وهب
مثل هذا انه جرى لابى سفيان بن حرب وصفوان بن امية مع ذئب وجداه قد اخذ
ظبيا فدخل الظبى الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من
ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو
سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روى مثل
هذا الخبر وانه جرى لابى جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام
ضمار صنمه وانشاده الشعر الذى ذكر فيه النبى صلى الله عليه وسلم فاذا طائر
سقط فقال يا عباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه وعن جابر
ابن عبد الله عن رجل اتى النبى صلى الله عليه وسلم وامن به وهو على بعض حصون
خيبر وكان فى غنم يرعى ها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب وجوهها
فان الله سيؤدى عنك امانتك ويردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى
دخلت الى اهلها وعن انس دخل النبى صلى الله عليه وسلم حايط انصارى وابو بكر
وعمر ورجل من الانصار وفى الحايط غنم فسجدت له فقال ابو بكر نحن احق بالسجود
لك منها الحديث وعن ابى هريرة دخل النبى صلى الله عليه وسلم حايطا فجاء بعير
فسجد له وذكر مثله ومثله فى الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى
ابن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لايدخل احد الحايط الا شد عليه الجمل

اودى ضمار وكان يعبد مدة قبل البيان من النبى محمد ورث الكتاب والهدى بعدها
بعد ابن مريم من قريش مهتد قال القبائل من قريش كلها هلك الضمار وفاز اهل المسجد

فلما

فلما دخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره فى الارض وبرك بين
يديه فخطمه وقال ما بين السماء والارض شىء الا يعلم انى رسول الله الا عاصى الجن
والانس ومثله عن عبد الله بن ابى اوفى وفى خبر اخر فى حديث الجمل ان النبى صلى الله
عليه وسلم سالهم عن شانه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه وفى رواية ان النبى صلى
الله عليه وسلم قال لهم شكى الى كثرة العمل وقلة العلف وفى رواية انه شكى
الى انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه فى شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد
روى فى قصة العضباء وكلامها النبى صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها
ومبادرة العشب اليها فى الرعى وتجنب الوحوش عنها وندائهم لها انك لمحمد
وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفراينى وروى ابن وهب
ان حمام مكة اظلت النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتحها ودعا لها بالبركة وروى
عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة ان النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الغار
امر الله شجرة فنبتت تجاه النبى صلى الله عليه وسلم فسترته وامر حمامتين فوقفتا
بفم الغار وفى حديث اخر وان العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى الطالبون له و
راوا ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبى صلى الله عليه وسلم
يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب الى النبى صلى الله عليه وسلم
بدنات خمس او ست او سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدأ وعن ام
سلمة كان النبى صلى الله عليه وسلم فى صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما
حاجتك قالت صادنى هذا الاعرابى ولى خشفان فى ذلك الجبل فاطلقنى حتى اذهب
فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها

فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها
فخرجت تعدوا في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ومن هذا
الباب ما روى من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ
وجهه الى معاذ باليمن فلقى الاسد فعرفه انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية اخرى
عنه ان سفينة تكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبيه حتى اقامني على الطريق واخذ عليه السلام
باذن شاة لقوم من عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك
الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن ابرهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذي
اصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا
وانه كان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب براسه ويستدعيهم وان
النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة
التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه وفي
العنز التي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكر وقد اصابهم عطش ونزلوا
على غير ماء وهم زهاء ثلثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم
قال لرافع املكها وما اراك فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره وفيه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها وقال
لفرسه عليه السلام وقد قام الى الصلاة في بعض اسفاره لا تبرح بارك الله فيك
حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى صلى الله عليه وسلم

انكسرت ح

٦ نافع ح

ومن

ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك
فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذي
بعثه اليهم والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع
منه بالكتب الائمة والله الموفق فصل في احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان
والمراضع وشهادتهم له بالنبوة حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراءتي
عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير
واحد سماعا واذنا قالوا حدثنا ابو علي الحافظ نا ابو عمر الحافظ نا ابو زيد عبد الرحمن
ابن يحيى نا احمد بن سعيد نا ابن الاعرابي نا ابو داود نا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان
عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم
بخيبر شاة مصلية سمتها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم فقال
ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك
على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس
منك فامر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث انس وفيه قالت اردت قتلك فقال
ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا نقتلها قال لا وكذلك روى عن ابي هريرة
من رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتني به
هذه الذراع قال ولم يعاقبها وفي رواية الحسن ان فخذها يكلمني انها مسمومة وفي
رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن قالت اني مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق وقال فيه
فتجاوز عنها وفي الحديث الآخر عن انس انه قال فمازلت اعرفها في لهوات رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

قال ح

قال ح

الا نقتلها ح

ولم يعاقبها ح

فى وجهه الذى مات منه ما زالت اكلة خيبر تعادّنى فالان اوان قطعت ابهرى
وحكى ابن اسحق ان كان المسلمون ليرون ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مات
شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوّة وقال ابن سُحنُون اجمع اهل الحديث ان رسول
الله صلّى الله عليه وسلّم قتل اليهوديّة التى سمّته وقد ذكرنا اختلاف الرّوايات
فى ذلك عن ابى هريرة وانس وجابر وفى رواية ابن عبّاس انّه دفعها لاولياء بشر بن
البراء فقتلوها وكذلك قد اختلف فى قتله الّذى سحره قال الواقدىّ وعفوه عنه
اثبت عندنا وروى عنه انه قتله وروى الحديث البزّار عن ابى سعيد فذكر مثله
الّا انه قال فى اخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضرّ منّا
احدا قال القاضى ابو الفضل وقد خرّج حديث الشّاة المسمومة اهل الصّحيح وخرّجه
الأئمة وهو حديث مشهور واختلف اهل النّظر فى هذا الباب فمن قائل يقول هو
كلام يخلقه الله تعالى فى الشّاة الميتة او الحجر او الشّجرة وحروف واصوات يحدّثها
الله فيها ويُسمِعُها منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشّيخ
ابى الحسن والقاضى ابى بكر رحمهما الله واخرون ذهبوا الى ايجاد الحيوة اوّلا ثمّ
الكلام بعده وحكى هذا ايضا عن شيخنا ابى الحسن وكلّ محتمل والله اعلم اذا لم
نجعل الحيوة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم
الحيوة بمجرّدها فامّا اذا كان عبارة عن الكلام النّفسىّ فلا بدّ من شرط الحيوة لها
اذ لا يوجد كلام النّفس الّا من حىّ خلافا للجبّائى من بين سائر متكلّمى الفرق فى احالة
وجود الكلام اللّفظىّ والحروف والاصوات الّا من حىّ مركّب على تركيب من يصحّ
منه النّطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك فى الحصى والجذع والذّراع وقال
انّ الله خلق فيها حيوة وخرق لها فما ولسانا والة امكنها بها من الكلام وهذا
لو كان لكان نقله والتّهمّم به اكد من التّهمّم بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل
احد من اهل السّير والرّواية شيئا من ذلك فدلّ على سقوط دعواه مع انّه لا
ضرورة اليه فى النّظر والله الموفّق وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية انّ النّبىّ
صلّى الله عليه وسلّم اُتى بصبىّ قد شبّ لم يتكلّم قطّ فقال من انا فقال رسول الله
وروى عن مُعْرِض بن مُعيقيب رايت من النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم عجبا جىء بصبىّ
يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم
راويه وفيه فقال له النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم صدقت بارك الله فيك ثمّ انّ
الغلام لم يتكلّم بعدها حتّى شبّ فكان يسمّى مبارك اليمامة وكانت هذه القصّة
بمكّة فى حجّة الوداع وعن الحسن اتى رجل النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم فذكر له
انّه طرح بُنَيَّةً له فى وادى كذا فانطلق معه الى الوادى وناديها باسمها يا فلانة اجيبى
باذن الله فخرجت وهى تقول لبّيك وسعديك فقال لها انّ ابويك قد اسلما فان
احببت ان اردّك عليهما قالت لا حاجة لى فيهما وجدت الله خيرا لى منهما
وعن انس انّ شابّا من الانصار توفّى وله امّ عجوز عمياء فسجّيناه وعزّيناها فقالت
مات ابنى قلنا نعم قالت اللّهمّ ان كنت تعلم انّى هاجرت اليك والى نبيّك رجاء ان
يعيننى على كلّ شدّة فلا تحملنّ علىّ هذه المصيبة فما برحنا ان كشف الثّوب عن
وجهه فطعم وطعمنا وروى عن عبد الله بن عبيد الله الانصارىّ كنت فيمن دفن
ثابت بن قيس بن شمّاس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمّد
رسول الله ابو بكر الصّدّيق عمر الشّهيد وعثمان البرّ الرّحيم فنظرنا فاذا هو ميّت

وذكر عن النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة خر ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع
وسجي اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا فحسر
عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب
الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك
يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان فصل في ابراء المرضى
وذوي العاهات اخبرنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه وقرأته على غيره
قال ابو اسحق الحبال قال نا ابو محمد بن النحاس نا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام
عن زياد البكائي عن محمد بن اسحق نا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة
ذكرهم بقضية احد بطولها قال وقالوا قال سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لينا ولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن قوسه حتى اندقت واصيبت يومئذ عين قتادة يعني
ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت
احسن عينيه وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض عن ابن
عمر ابن قتادة ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة وبصق على اثر سهم في وجه
ابي قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان
ابن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي عن بصري قال فانطلق
فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني اسئلك واتوجه اليك بنبيي محمد نبي الرحمة
يا محمد اني توجه بك الى ربك ان يكشف عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع وقد
كشف الله عن بصره وروى ان ابن ملاعب الاسنة اصابه استسقاء فبعث

الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ بيده حثية من الارض فتفل عليها ثم اعطاها
رسوله فاخذها متعجبا يرى ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه
الله وذكر العقيلي عن جيبب بن فريك ويقال فويك ان اباه ابيضت عيناه فكان
لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر فرأيته
يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين ورمي كلثوم بن الحصين يوم احد في نحره
فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ وتفل على شجة عبد الله بن انيس
فلم تمد وتفل في عيني علي يوم خيبر وكان رمدا فاصبح باريا ونفث على ضربة بساق
سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها السيف
الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرئت وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق واذ
انكسرت فبرء مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن ابي طالب فجعل يدعو
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى
ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت رواه ابن وهب
ومن روايته ايضا ان حبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنفث عليه حتى صح واتته امراة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم
فاتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها بسقيه ومسه به
فبرئ الغلام وعقل عقلا يفضل به عقول الناس وعن ابن عباس جاءت امراة بابن
لها مجنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فسعى وانكفات

القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرئ
لحينه وكانت فى كف شرحبيل الجعفى سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان
الدابة فشكاها للنبى عليه السلام فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق
لها اثر وسالته جارية طعاما وهو ياكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء
فقالت انما اريد من الذى فى فيك فناولها ما فى فيه ولم يكن يسئل شيئا فيمنعه
فلما استقر فى جوفها القى عليها من الحياء ما لم تكن امراة بالمدينة اشد حياء منها
فصل فى اجابة دعائه وهذا باب واسع جدا واجابة دعوة النبى صلى الله عليه
وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء
فى حديث حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت
الدعوة ولده وولد ولده حدثنا ابو محمد العتابى بقرائتى عليه نا ابو القاسم حاتم
ابن محمد نا ابو الحسن القابسى نا ابو زيد المروزى نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا
عبد الله بن ابى الاسود نا حرمى نا شعبة عن قتادة عن انس قال قالت امى يا رسول الله
خادمك انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما اتيته ومن رواية
عكرمة قال انس فوالله ان مالى لكثير وان ولدى وولد ولدى ليعادون اليوم على نحو
المائة وفى رواية وما اعلم احدا اصاب من رجال العيش ما اصبه ولقد دفنت
بيدى هاتين مائة من ولدى لا اقول سقطا ولا ولد ولد ومنه دعاؤه لعبد الرحمن
ابن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا
وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤس حتى مجلت فيه الايدى واخذت
كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احديهن لانه

طلقها

طلقها فى مرضه على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية
فى حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة
بعير وردت عليه تحمل من كل شئ فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها
ودعا لمعاوية بالتمكين فى البلاد فنال الخلافة ولسعد بن ابى وقاص ان يجيب الله
دعوته فما دعا على احد الا استجيب له ودعا بعز الاسلام بعمر او بابى جهل
فاستجيب له فى عمر قال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر واصاب الناس
فى بعض مغازيه عطش فساله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم
ثم اقلعت ودعا فى الاستسقاء فسقوا ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا وقال لابى
قتادة افلح وجهك اللهم بارك له فى شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة
وكانه ابن خمس عشرة وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفى
رواية فكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين
ومائة سنة وقيل اكثر من هذا ودعا لابن عباس اللهم فقهه فى الدين وعلمه
التاويل فسمى بعد الحبر وترجمان القران ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة فى
صفقة يمينه فما اشترى شيئا الا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده
غرائر من المال ودعا مثله لعروة بن ابى الجعد فقال فلقد كنت اقوم بالكناسة فما
ارجع حتى اربح اربعين الفا وقال البخارى فى حديثه فكان لو اشترى التراب ربح
فيه وروى مثل هذا لغرقدة وندت له ناقة فدعا فجائه بها اعصار ريح حتى ردها
عليه ودعا لام ابى هريرة فاسلمت ودعا لعلى ان يكفى الحر والقر فكان يلبس فى
الشتاء ثياب الصيف وفى الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد

لاخذه

ودعا الفاطمة ابنته رضى الله عنها الا يجيعها قالت فما جعت بعد وساله
الطفيل بن عمرو اية لقومه فقال اللهم نوّر له فسطع نور بين عينيه فقال يارب
اخاف ان يقولوا مُثلة فتحوّل الى طرف سوطه فكان يضيء فى الليلة المظلمة فسمّى
ذا النور ودعا على مضر فاقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا
على كسرى حين مزّق كتابه ان يمزّق ملكه فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة فى
اقطار الدنيا ودعا على صبىّ قطع عليه الصلاة ان يقطع الله اثره فاقعد وقال
لرجل راه ياكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها
الى فيه وقال لعتبة بن ابى لهب اللهم سلّط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد
وقال لامراة اكلك الاسد فاكلها وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود
فى دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسمّاهم
قال فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم بن ابى العاص وكان يختلج بوجهه
ويغمز عند النبى صلى الله عليه وسلم اى لا فراه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان
مات ودعا على مُحَلِّم بن جثّامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم ووري فلفظته
مرّات فالقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة الصدّ جانب الوادى وجحد رجل
بيع فرس وهى التى شهد فيها خزيمة للنبى صلى الله عليه وسلم فردّ الفرس بعد
النبى صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها
فاصبحت شاصية برجلها اى رافعة وهذا الباب اكثر من ان يحاط به فصل
فى كراماته وبركاته وانقلاب الاعيان فيما لمسه او باشره اخبرنا احمد بن محمد نا
ابو ذرّ الهروى اجازة وحدثنا القاضى ابو على سماعا والقاضى ابو عبد الله محمد بن عبد

الرحمن وغيرهما قالوا نا ابو الوليد القاضى نا ابو ذر نا ابو محمد وابو اسحق وابو
الهيثم نا الفربرى نا البخارى نا عبد الاعلى بن حماد نا يزيد بن زريع نا سعيد عن قتادة
عن انس بن مالك ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرسا لابى طلحة كان يقطف او به قطاف وقال غيره يبطأ فلما رجع قال
وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس جمل جابر وكان قد اعيا فنشط
حتى ما كان يملك زمامه وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعى خفقها
بمخفقة معه وبرّك عليها فلم يملك راسها نشاطا وباع من بطنها باثنى عشر
الفا وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة فردّه هملاجا لا يساير وكانت شعرات
من شعره فى قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر وفى الصحيح
عن اسماء بنت ابى بكر انها اخرجت جبّة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفى بها وحدثنا القاضى ابو على
عن شيخه ابى القاسم بن المامون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبى صلى الله
عليه وسلم فكنّا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفارى
القضيب من يد عثمان ليكسره على ركبته فصاح الناس به فاخذته فيها الاكلة
فقطعها ومات قبل الحول وسكب من فضل وضوئه فى بئر قباء فما نزفت بعد
وبزق فى بئر كانت فى دار انس فلم يكن بالمدينة اعذب منها ومرّ على ماء فسال عنه
فقيل اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب واتى بدلو
من ماء زمزم فمجّ فيه اطيب من المسك واعطى الحسن والحسين لسانه فمصّاه
وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لام مالك عكّة تهدى فيها للنبى صلى الله عليه

وسلّم سمنا فامرها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الّا تعصرها ثمّ دفعها اليها فاذا هي
مملوءة سمنا فياتيها بنوها يسئلونها الادم وليس عندهم شيء فتعمد اليها فتجد
فيها سمنا فكانت تقيم ادمها حتّى عصرتها وكان يتفل في افواه الصّبيان المراضع
فيجزئهم ريقه الى اللّيل ومن ذلك بركة يده فيما المسه وغرسه لسلمان حين كانت
مواليه على ثلثمائة ودّية يغرسها لهم كلّها تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقيّة من
ذهب فقام عليه السّلام وغرسها له بيده الّا واحدة غرسها غيره فاخذت
كلّها الّا تلك الواحدة فقلعها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وردّها فاخذت و
في كتاب البزّار فاطعم النّخل من عامه الّا الواحدة فقلعها رسول الله صلّى الله عليه
وسلّم وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة الدّجاجة من ذهب بعد
ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين اوقيّة وبقي عنده مثل ما اعطاهم
وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شربة من سويق
شرب اوّلها وشربت آخرها فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريّها اذا عطشت
وبردها اذا ظمئت واعطى قتادة بن النّعمان وصلّى معه العشاء في ليلة مظلمة
مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانّه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك
عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتّى يخرج فانّه الشّيطان فانطلق
فاضاء له العرجون حتّى دخل بيته ووجد السّواد فضربه حتّى خرج ومنها دفعه
لعكاشة جذل حطب وقال اضرب حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده
سيفا صارما طويل القامة ابيض شديد المتن فقاتل به ثمّ لم يزل عنده يشهد به
المواقف الى ان استشهد في قتال اهل الرّدّة وكان هذا السّيف يسمّى العون

ودفعه

ودفعه لعبد الله بن جحش يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده
سيفا ومنه بركته في درور الشّياه الحوايل باللّبن الكثير كقصّة شاة امّ معبد
واعنز معاوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله
ابن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزويده اصحابه
سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه فلمّا حضرتهم الصّلاة نزلوا فحلّوا فاذا به لبن
طيّب وزبدة في فمه من رواية حمّاد بن سلمة ومسح على راس عمير بن سعد وبرّك
فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروى مثل هذه القصص عن غير واحد منهم
السّائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه
لانّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مسح بيده به على بطنه وظهره وسلت الدّم
عن وجه عائذ بن عمرو وكان قد جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرّة كغرّة
الفرس ومسح على راس قيس بن زيد الجذاميّ ودعا له فهلك وهو ابن مائة سنة وراسه
ابيض وموضع كفّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وما مرّت يده عليه من شعره اسود
فكان يدعى الاغرّ وروى مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهنيّ ومسح وجه
آخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتّى كان
ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع يده على راس حنظلة بن حذيم وبرّك عليه
فكان حنظلة يؤتى بالرّجل قد ورم وجهه والشّاة قد ورم ضرعها فيوضع على
موضع كفّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت
امّ سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امراة من الجمال ما بها ومسح على راس
صبيّ به عاهة فبرا واستوى شعره وروى مثله في خبر المطّلب بن قبالة وعلى غير

حضرتهما الصّلاة
نزلوا فحلّوه بسحه
عمير به

واحد من الصّبيان المرضى والمجانين فبرؤا واتاه رجل به أُدرةٌ فامره ان ينضحها بماء
واحد من عين مجّ فيها ففعل فبرا وعن طاوس لم يؤت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم
من عين مج فيه
باحد به مسّ فصك في صدره الّا ذهب المسّ الجنون ومجّ في دلو من بئر ثمّ صبّ
فيها ففاح منها ريح المسك واخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه
الكفّار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذا عن اعينهم وشكى اليه
ابو هريرة النّسيان فامر ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثمّ امر بضمّه ففعل فما
نسي شيئا بعد وما يروى عنه في هذا كثير وضرب صدر جرير بن عبد الله ودعا
له وكان لا يثبت على الخيل فصار من افرس العرب واثبتهم ومسح راس عبد الرّحمن
ذكر لما انه
ابن زيد بن الخطّاب وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرّجال طولا
وتماما فضل ومن ذلك ما اطّلع عليه من الغيوب وما يكون والاحاديث في
هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة
على القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتّفاق معانيها على الاطلاع
على الغيب حدّثنا الامام ابو بكر محمّد بن الوليد الفهريّ اجازة وقرأته على غيره
قال ابو بكر نا ابو علي التّستريّ نا ابو عمر الهاشميّ نا اللّؤلؤيّ نا ابو داود نا عثمان بن
ابي شيبة نا جرير عن الاعمش عن ابي وايل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلّى
الله عليه وسلّم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام السّاعة الّا
حدّثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانّه ليكون منه
الشيء فاعرفه فاذكره فما يذكر الرّجل وجه الرّجل اذا غاب عنه ثمّ اذا راه عرفه ثمّ
قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلّى الله عليه

وسلّم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدّنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الّا قد سمّاه
لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذرّ لقد تركنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
وما يحرّك طاير جناحيه في السّماء الّا ذكرنا منه علما وقد خرّج اهل الصّحيح والائمّة
ما اعلم به اصحابه صلّى الله عليه وسلّم ممّا وعدهم به من الظّهور على اعدائه وفتح
مكّة وبيت المقدس واليمن والشّام والعراق وظهور الامن حتّى تظعن المرأة من الحيرة
الى مكّة لا تخاف الّا الله وانّ المدينة ستغزى ويفتح خيبر على يدي عليّ في غد يومه
وما يفتح الله على امّته من الدّنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر
وما يحدث بينهم من الفتون والاختلافات والاهواء وسلوك سبيل من قبلهم
الفتن
وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة النّاجية منها واحدة وانّهم ستكون لهم
انماط ويغدو احدهم في حلّة ويروح في اخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى
ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثمّ قال اخر الحديث وانتم اليوم خير منكم يومئذ
وانّهم اذا مشوا المطيطا وخدمتهم بنات فارس والرّوم ردّ الله باسهم بينهم وسلّط
شرارهم على خيارهم وقتالهم التّرك والخزر والرّوم وذهاب كسرى وفارس حتّى
لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتّى لا قيصر بعده وذكر انّ الرّوم ذات قرون
الى اخر الدّهر وبذهاب الامثل فالامثل من النّاس وتقارب الزّمان وقبض العلم
وظهور الفتن والهرج وقال ويل للعرب من شرّ قد اقترب وانّه زويت له الارض فارى
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امّته ما زوي له منها فكذلك كان امتدّت
في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة
وراءه وذلك ما لم تملكه امّة من الامم ولم يمتدّ في الجنوب ولا في الشّمال مثل ذلك

وقوله لايزال اهل الغرب ظاهرين على الحقّ حتّى تقوم الساعة ذهب ابن المدينىّ
الى انّهم العرب لانّهم المختصّون بالسّقى بالغرب وهى الدّلو وغيره يذهب الى انّهم
اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا فى الحديث بمعناه وفى حديث اخر من رواية
ابى امامة لاتزال طائفة من امّتى ظاهرين على الحقّ قاهرين لعدوّهم حتّى ياتيهم
امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر بملك بنى
اميّة وولاية معاوية ووصّاه واتّخاذ بنى اميّة مال الله بينهم دُولًا وخروج
ولد العبّاس بالرّايات السّود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدىّ وما
ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علىّ وانّ اشقاها الّذى يخضب هٰذه
من هٰذه اى لحيته من راسه وانّه قسيم النّار يدخل اولياؤه الجنّة واعداؤه النّار
فكان فيمن عاداه الخوارج والنّاصبة وطائفة ممّن تنسب اليه من الرّوافض كفّروه
وقال يقتل عثمان وهو يقرا المصحف وانّ الله عسى ان يلبسه قميصا وانّهم يريدون
خلعه وانّه سيقطر دمه على قوله فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّٰهُ وانّ الفتن لا تظهر ما دام
عمر حيّا وبمحاربة الزّبير لعلىّ وبنباح كلاب الحوئب على بعض ازواجه وانّه يقتل حولها
قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عايشة عند خروجها الى البصرة وانّ
عمّارا تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب معاوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل
للنّاس منك وويل لك من النّاس وقال فى قُزمان وقد ابلى مع المسلمين انّه من اهل
النّار فقتل نفسه وقال فى جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة اٰخركم
موتا فى النّار فكان بعضهم يسئل عن بعض فكان سمرة اٰخرهم موتا هَرِمَ وَخَرِفَ فاصطلى
بالنّار فاحترق فيها وقال فى حنظلة الغسيل سلوا زوجه فانّى رايت الملٰئكة تغسله

فسئلوها

فسئلوها فقالت انّه خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعيد ووجدنا راسه
يقطر ماء وقال الخلافة فى قريش ولن يزال هٰذا الامر فى قريش ما اقاموا الدّين وقال
يكون فى ثقيف كذّاب ومُبِيرٌ فراوهما الحجّاج والمختار وانّ مسيلمة يعقره الله و
انّ فاطمة اوّل اهله لحوقا به وانذر بالرّدّة وبانّ الخلافة بعده ثلٰثون ثمّ ملكا فكانت
كذٰلك بمدّة الحسن بن علىّ وقال انّ هٰذا الامر بدأ نبوّة ورحمة ثمّ يكون رحمة
وخلافة ثمّ يكون ملكا عضوضا ثمّ يكون عتوّا وجبروة وفسادا فى الامّة واخبر
بشان اويس القرنىّ وبامراء يؤخّرون الصّلٰوة عن وقتها وسيكون فى امّته ثلٰثون
كذّابا فيهم اربع نسوة وفى حديث اٰخر ثلٰثون دجّالا كذّابا اٰخرهم الدّجّال الكذّاب
كلّهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك ان يكثر فيكم العجم ياكلون فيئكم ويضربون
رقابكم لا تقوم السّاعة حتّى يسوق النّاس بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرنى ثمّ
الّذين يلونهم ثمّ الّذين يلونهم ثمّ الّذين يلونهم ثمّ ياتى بعد ذلك قوم يشهدون
ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون وقال لا ياتى زمان الّا
والّذى بعده شرّ منه وقال هلاك امّتى على ايدى اُغَيلمة من قريش قال ابو هريرة راويه
لو شئت سمّيتهم لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر بظهور القدريّة والرّوافضة وسبّ
اٰخر هٰذه الامّة اوّلها وقلّة الانصار حتّى يكونوا كالملح فى الطّعام فلم يزل امرهم يتبدّد
حتّى لم تبق لهم جماعة سيلقون بعده اَثَرَةً واخبر بشان الخوارج وصفتهم والمخدج
الّذى فيهم وانّ سيماهم التّحليق ويُرى رعاء الغنم رؤس النّاس والعراة الحفاة يتبارون
فى البنيان وان تلد الامة ربّتها وانّ قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا وانّه هو يغزوهم
واخبر بالموتان الّذى يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة وانّهم يغزون

احدهم

وقال

فى البحر كالملوك على الاسرة وان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس
وحاجت ريح فى غزاته فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا
ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس احدكم فى النار اعظم من احد قال ابو هريرة
فذهب القوم يعنى ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم بالذى غل
خرزا من خرز يهود فوجدت فى رحله وبالذى غل الشملة وحيث هى ناقته حين ظلت
وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشان كتاب حاطب الى اهل مكة وبقضية عمير
مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبى صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير
النبى صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الامر والسر اسلم واخبر بالمال الذى تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه
فقال ما علمه غيرى وغيرها فاسلم واعلم بانه سيقتل ابى بن خلف وفى عتبة بن ابى
لهب انه ياكله كلب الله وعن مضارع اهل بدر فكان كما قال وقال فى الحسن ان ابنى
هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام
ويستضر بك اخرون واخبر بقتل اهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر او
ازيد وبموت النجاشى يوم مات وهو بارضه واخبر فيروزاذ ورد عليه رسولا من
كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة اسلم واخبر ابا ذر بتطريده
كما كان ووجده فى المسجد نائما فقال كيف بك اذا خرجت منه قال اسكن
المسجد الحرام قال فاذا خرجت منه الحديث وبعيشه وحده وبموته وحده واخبر
ان اسرع ازواجه به لحوقا اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة واخبر
بقتل الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال فى زيد بن صوحان

يسبقه

يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده فى الجهاد وقال فى الذين كانوا معه
على حراء اثبت فانما عليك نبى وصديق وشهيد فقتل على وعمر وعثمان وطلحة
والزبير وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك اذا لبست سوارى كسرى فلما اتى
بهما العمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى والبسهما سراقة وقال
تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبى اليها خزاين الارض يخسف
بها يعنى بغداذ وقال سيكون فى هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر
لهذه الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما
واحدة وقال لعمر فى سهيل بن عمرو عسى ان تقوم مقاما يسرك يا عمر فكان
كذلك قام بمكة مقام ابى بكر يوم بلغهم موت النبى صلى الله عليه وسلم
وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصايرهم وقال لخالد حين وجهه لاكيدر
انك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الامور كلها فى حياته وبعد موته كما قال
عليه السلام الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من
اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفى المؤمنين حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه
اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء واعلامه بصفة
السحر الذى سحره به لبيد بن الاعصم وكونه فى مشط ومشاقة فى جف طلع نخلة
ذكر وانه التى فى ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة واعلامه قريشا
باكل الارضة ما فى صحيفتهم التى تظاهروا بها على بنى هاشم وقطعوا بها رحمهم
وانها ابقت كل اسم لله فوجدوها كما قال ووصفه لكفار قريش بيت المقدس
حين كذبوه فى خبر الاسراء ونعته اياه نعت من عرفه واعلامهم بعيرهم التى

مرّ عليها فى طريقه وانذارهم بوقت وصولها فكان كلّه كما قال الى ما اخبر به من
الحوادث التى تكون والمرتبات بعد منها ما ظهرت مقدّماتها كقوله عمران بيت
المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينيّة
ومن اشراط السّاعة وآيات حلولها وذكر النّشر والحشر واخبار الابرار والفجّار
والجنّة والنّار وعرصات القيمة وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا مفردا
يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التى ذكرناها كفاية
واكثرها فى الصّحيح وعند الائمّة فصل فى عصمة الله تعالى له من النّاس وكفايته
من اذاه قال الله تعالى وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ وقال تعالى وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ
فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وقال أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ قيل بكاف محمّدا اعداءه المشركين
وقيل غير هذا وقال إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِئِينَ وقال وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا الآية
اخبرنا القاضى الشّهيد ابو علىّ الصّدفى بقرائتى عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمّد
ابن عبد الله المعافرىّ قالا حدّثنا ابو الحسين الصّيرفىّ قال نا ابو يعلى البغدادىّ نا ابو
علىّ السّنجىّ نا ابو العبّاس المروزىّ نا ابو عيسى الحافظ نا عبد بن حميد نا مسلم بن
ابرهيم نا الحارث بن عبيد عن سعيد الجريرىّ عن عبد الله بن شقيق عن عايشة قالت
كان النبىّ صلّى الله عليه وسلّم يحرس حتّى نزلت هذه الآية وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ
فاخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم راسه من القبّة فقال لهم يا ايّها النّاس
انصرفوا فقد عصمنى ربّى عزّ وجلّ وروى انّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم كان اذا نزل
منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابىّ فاخترط سيفه ثمّ قال له
من يمنعك منّى فقال الله فرعدت يد الاعرابىّ وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة

القسطنطينية صح
قسطنطينة صح

فرعدت صح
فارعدت

حتّى سال دماغه فنزلت الآية وقد رويت هذه القصّة فى الصّحيح وانّ غورث
ابن الحارث صاحب هذه القصّة وانّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم عفى عنه فرجع
الى قومه وقال جئتكم من عند خير النّاس وقد حكيت مثل هذه الحكاية انّها جرت
له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر
مثله وقد روى انّه وقع له مثلها فى غزوة غطفان بذى امر مع رجل اسمه دعثور
ابن الحارث وانّ الرّجل اسلم فلمّا رجع الى قومه الّذين اغروه وكان سيّدهم واشجعهم
قالوا له اينما كنت تقول وقد امكنك فقال انّى نظرت الى رجل ابيض طويل دفع فى
صدرى فوقعت لظهرى وسقط السّيف فعرفت انّه ملك واسلمت قيل
وفيه نزلت يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا
إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ الآية وفى رواية الخطّابىّ انّ غورث بن الحارث المحاربىّ اراد ان يفتك
بالنبىّ صلّى الله عليه وسلّم فلم يشعر به الّا وهو قائم على راسه منتضيا سيفه
فقال اللّهمّ اكفنيه بما شئت فانكبّ من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه و
ندر سيفه من يده الزّلخة وجع الظّهر وقيل فى قصّته غير هذا وذكر انّ فيه
نزلت يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ الآية وقيل كان النبىّ صلّى
الله عليه وسلّم يخاف قريشا فلمّا نزلت هذه الآية استلقى ثمّ قال من شاء فليخذلنى
وذكر عبد بن حميد قال كانت حمّالة الحطب تضع العضاه وهى جمر على طريق رسول
الله صلّى الله عليه وسلّم فكانّما يطأها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحق عنها انّها لمّا
بلغها نزول تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذّمّ اتت
رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو جالس فى المسجد ومعه ابو بكر وفى يدها فهر

من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله
عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته
لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم ابن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه
وسلم حتى اذا رايناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا
علينا فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى
اذا رايناه جائت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر تواعدت انا وابو جهم
ابن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح و
قرء الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال
انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات اسلام عمر ومنه العبرة المشهورة والكفاية
التامة عندما اخافته قريش واجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام
على رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذر التراب على رؤسهم وخلص منهم
وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيا الله له من الايات ومن العنكبوت التي نسج
عليه حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج
العنكبوت ما ارى انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار
فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك
ابن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعايل فانذر به فركب
فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت
قوايم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع
قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت وقال للنبي صلى

الله عليه وسلم أُتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية الى ركبتيها
وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوايمها مثل الدخان فناديهم بالامان فكتب له
النبي صلى الله عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره
النبي صلى الله عليه وسلم الا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما
ههنا وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي
صلى الله عليه وسلم وفي خبر اخر ان راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا
فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وانسي ما خرج له حتى رجع الى
موضعه وجاءه فيما ذكر ابن اسحق وغيره ابو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون
ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى الى
خلفه ثم سأله ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك
وحلف لئن راه ليدمغنه فسألوه عن شانه فذكر انه عرض لي دونه فحل ما رايت
مثله قط هم بي ان ياكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل لو دنى لاخذه
وذكر السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس
الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه ولم يرهم
حتى نادوه وذكر ان في هاتين القصتين نزلت إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا الآيتين
ومن ذلك ما ذكره ابن اسحق في قصته اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى
جدار بعض اطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحا فقام النبي
صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ في هذه القصة نزلت وحكى

اعرابيا
الله
ذلك

السمرقندی انه خرج الی بنی النضیر یستعین فی عقل الکلابیین الذین قتل عمرو بن امیة
فقال له حیی بن اخطب اجلس یا ابا القاسم حتی نطعمك ونعطیك ما سالتنا
فجلس النبی صلی الله علیه وسلم مع ابی بکر وعمر وتوامر حیی معهم علی قتله فاعلم
جبریل النبی صلی الله علیه وسلم بذلك فقام کانه یرید حاجته حتی دخل المدینة
وذکر اهل التفسیر ومعنی الحدیث عن ابی هریرة ان ابا جهل وعد قریشا لئن رای
محمدا یصلی لیطان رقبته فلما صلی النبی صلی الله علیه وسلم اعلموه فاقبل
فلما قرب منه ولی هاربا ناکصا علی عقبیه متقیا بیده فسئل فقال لما دنوت
منه اشرفت علی خندق مملوء نارا کدت اهوی فیه وابصرت هولا عظیما وخفق
اجنحة قد ملأت الارض فقال علیه السلام تلك الملائکة لو دنی لاختطفته عضوا
عضوا ثم انزل علی النبی صلی الله علیه وسلم کلا ان الانسان لیطغی الی اخر السورة
ویروی ان شیبة بن عثمان الحجبی ادرکه یوم حنین وکان حمزة قد قتل اباه وعمه فقال
الیوم ادرك ثاری من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سیفه لیصبه
علیه قال فلما دنوت منه ارتفع الی شواظ من نار اسرع من البرق فولیت هاربا واحس
بی النبی صلی الله علیه وسلم فدعانی فوضع یده علی صدری وهو ابغض الخلق الی
فما رفعها الا وهو احب الخلق الی وقال لی ادن فقاتل فتقدمت امامه اضرب بسیفی
واقیه بنفسی ولو لقیت ابی تلك الساعة لاوقعت به دونه وعن فضالة بن عمیر
اردت قتل النبی صلی الله علیه وسلم عام الفتح وهو یطوف بالبیت فلما دنوت منه
قال افضالة قلت نعم قال ما کنت تحدث به نفسك قلت لا شیء فضحك واستغفر
لی [illegible] علی صدری فسکن قلبی فوالله ما رفعها حتی ما خلق الله شیئا احب

الی منه

الی منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفیل واربد بن قیس حین وفدا علی النبی
صلی الله علیه وسلم وکان عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه انت
فلم یره فعل شیئا فلما کلمه فی ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك
بینی وبینه افاضربك ومن عصمته له تعالی ان کثیرا من الیهود والکهنة انذروا به
وعینوه لقریش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم علی قتله فعصمه الله تعالی حتی
بلغ فیه امره ومن ذلك نصره بالرعب امامه مسیرة شهر کما قال علیه السلام

فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم وخصه به من
الاطلاع علی جمیع مصالح الدنیا والدین ومعرفته من امور شرایعه وقوانین دینه
وسیاسة عباده ومصالح امته وما کان فی الامم قبله وقصص الانبیاء و
الرسل والجبابرة والقرون الماضیة من لدن آدم الی زمنه وحفظ شرایعهم
وکتبهم ووعی سیرهم وسرد انبائهم وایام الله فیهم وصفات اعیانهم واختلاف
آرائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحکم حکمائهم ومحاجة کل امة من الکفرة و
معارضة کل فرقة من الکتابیین بما فی کتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها
واخبارهم بما کتموه من ذلك وغیروه الی الاحتواء علی لغات العرب وغریب الفاظ
فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لایامها وامثالها وحکمها ومعانی
اشعارها والتخصیص بجوامع کلمها الی المعرفة بضرب الامثال الصحیحة والحکم البینة
لتقریب التفهیم للغامض والتبیین للمشکل الی تمهید قواعد الشرع الذی لا تناقض
فیه ولا تخاذل مع اشتمال شریعته علی محاسن الاخلاق ومحامد الاداب وکل شیء
مستحسن مفضل لم ینکر منه ملحد ذو عقل سلیم الا من جهة الخذلان بل کل جاحد

له وكافر من الجاهلية به اذا سمع مايدعوا اليه صوّبه واستحسنه دون طلب
اقامة برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيّبات وحرّم عليهم من الخبائث وصان
به انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنّار
اجلا الى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطّبّ والعبارة والفرائض
والحساب والنّسب وغير ذلك من العلم ممّا اتّخذ اهل هذه المعارف كلامه
عليه السّلام فيها قدوة واصولا فى علمهم كقوله عليه السّلام الرّؤيا لاوّل عابر وهى
على رجل طائر وقوله الرّؤيا ثلث رؤيا حقّ ورؤيا يحدّث بها الرّجل نفسه ورؤيا
تحزين من الشّيطان وقوله اذا تقارب الزّمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله اصل
كلّ داء البَرَدَةُ وماروى عنه فى حديث ابى هريرة من قوله المعدة حوض البدن و
العروق اليها واردة وان كان هذا حديثا لا نصحّحه لضعفه وكونه موضوعا تكلّم
عليه الدّارقطنى وقوله خير ما تداويتم به السَّعُوطُ وَاللَّدُودُ والحجامة والمَشِىُّ وخير
الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفى العود الهندى سبعة
اشفية وقوله ما ملأ ابن آدم وعاء شرّا من بطن الى قوله وان كان لابدّ فثلث للطّعام
وثلث للشّراب وثلث للنّفس وقوله وقد سئل عن سبأ ارجل هو ام امراة
او ارض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم ستّة وتشاءم اربعة الحديث بطوله
وكذلك جوابه فى نسب قضاعة وغير ذلك ممّا اضطرّت العرب على شغلها بالنّسب
الى سؤاله عمّا اختلفوا فيه من ذلك وقوله حِمْيَرُ راس العرب ونابُها ومَذحِجُ هامتُها
وَغَلصمتها والازدُ كاهلُها وجُمجمتُها وهَمدانُ غاربها وذروتها وقوله انّ الزّمان
قد استدار كهيئة يوم خلق الله السّموات والارض وقوله فى الحوض سواء وقوله فى حديث

الذكر

الذكر وانّ الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون على اللّسان والف وخمسمائة فى
الميزان وقوله وهو بموضع نعم موضع للحمّام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب
قبلة وقوله لِعُيَينَةَ او الاقرع انا افرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم
على اذنك فانه للمُمِلّ هذا مع انّه صلّى الله عليه وسلّم كان لا يكتب ولكنّه اوتى
علم كلّ شىء حتّى وقد وردت آثار بمعرفته حروف الخطّ وحسن تصويرها كقوله
لا تمدّوا بسم الله الرّحمن الرّحيم رواه ابن شعبان من طريق ابن عبّاس وقوله فى الحديث
الآخر الّذى يروى عن معاوية انّه كان يكتب بين يديه عليه السّلام فقال له
الق الدّواة وحرّف القلم واقم الباء وفرّق السّين ولا تعوّر الميم وحسّن الله ومدّ
الرّحمن وجوّد الرّحيم وهذا وان لم تصحّ الرّواية انّه عليه السّلام كتب فلا يبعد
ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقرائة واما علمه عليه السّلام بلغات العرب
وحفظه معانى اشعارها فامر مشهور قد نبّهنا على بعضه اوّل الكتاب وكذلك
حفظه لكثير من لغات الامم كقوله فى الحديث سَنَه سَنَه وهى حسنة
بالحبشيّة وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله فى حديث ابى هريرة اَشكَنب
دَرد اى وجع البطن بالفارسيّة الى غير ذلك ممّا لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به
ولا ببعضه الا من مارس الدّرس والعُكوف على الكتب ومُثافنة اهلِها عُمرُه
وهو رجل كما قال الله امّىّ لم يكتب ولم يقرا ولا عُرِفَ بصُحبةِ من هذه صفته ولا نشا
بين قوم لهم علم ولا قراءة لشىء من هذه الامور ولا عرف هو قبل بشىء منها قال
الله تعالى وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ الآية انّما كانت غاية
معارف العرب النّسب واخبار اوائلها والشّعر والبيان وانّما حصل ذلك لهم

اشكنبه دردم
اشكنب دردى

بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا الفن نقطة
من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد لشىء مما ذكرناه ولا وجد
الكفرة حيلة فى دفع ما نصصناه الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله
قولهم بقوله لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ اِلَيْهِ اَعْجَمِىٌّ وَهٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِيْنٌ ثم ما قالوه
مكابرة العيان فان الذى نسبوا تعليمه اليه اما سلمان او العبد الرومى وسلمان انما
عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القران وظهور ما لا ينعد من الايات واما الرومى
فكان اسلم وكان يقرا على النبى صلى الله عليه وسلم واختلف فى اسمه وقيل بل كان
النبى صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمى اللسان وهم
الفصحاء اللُّدُّ والخطباء اللُّسْنُ قد عجزوا عن معارضة ما اتى به والاتيان بمثله بل فهم
رصفه وصورة تاليفه ونظمه فكيف باعجمى الكن نعم وقد كان سلمان او بلعام
الرومى او يعيش او جبرا او يسار على اختلافهم فى اسمه بين اظهرهم يكلمونهم مدا اعمارهم
فهل حكى عن واحد منهم شىء من مثل ما كان يجىء به محمد عليه السلام وهل
عرف واحد منهم بمعرفة شىء من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده
ودؤب طلبه وقوة جسده ان يجلس الى هذا فياخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم
منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من اخبار كتبه
ولا غاب النبى صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتب
فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى فى صغره وشبابه على عادة ابنائهم
ثم لم يخرج عن بلادهم الا فى سفرة او سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعليم
القليل فكيف الكثير بل كان فى سفره فى صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم

عليه بح

ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن
بل لو كان هذا بعد كله لكان مجىء ما اتى به فى معجز القران قاطعا لكل عذر ومدحضا
لكل شبهة ومجليا لكل امر فصل ومن خصايصه عليه السلام وكراماته
وباهر اياته انباؤه مع الملئكة والجن وامداد الله له بالملئكة وطاعة الجن له
ورؤية كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وَاِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَاِنَّ اللّٰهَ هُوَ مَوْلٰيهُ الاية
وقال اِذْ يُوحِى رَبُّكَ اِلَى الْمَلٰئِكَةِ اَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا وقال اِذْ تَسْتَغِيْثُوْنَ
رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ اَنِّى مُمِدُّكُمْ الايتين وقال وَاِذْ صَرَفْنَا اِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُوْنَ
الْقُرْاٰنَ الاية حدثنا سفيان بن العاص الفقيه سماعى عليه نا ابو الليث السمرقندى
قال نا عبد الغافر الفارسى نا ابو احمد الجلودى نا ابن سفيان نا مسلم نا عبيد الله بن
معاذ نا ابى نا شعبة عن سليمان الشيبانى سمع زر بن جبيش يحدث عن عبد الله قال
لَقَدْ رَاٰى مِنْ اٰيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرٰى قال راى جبريل فى صورته له ستمائة جناح والخبر فى
محادثته مع جبريل واسرافيل وغيرهم من الملائكة وما شاهد من كثرتهم وعظم
صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور وقد راهم بحضرته جماعة من اصحابه فى مواطن
مختلفة فراى اصحابه جبريل عليه السلام فى صورة رجل يسئله عن الاسلام والايمان
وراى ابن عباس واسامة وغيرهما عنده جبريل فى صورة دحية وراى سعد على يمينه
ويساره جبريل وميكائيل فى صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد
وسمع بعضهم زجر الملئكة خيلها يوم بدر وبعضهم راى تطاير الرؤس من الكفار
ولا يرون الضارب وراى ابو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق
بين السماء والارض ما يقوم لها شىء وقد كانت الملئكة تصافح عمران بن الحصين

بسماعي بح

ورأى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لحمزة جبريل في الكعبة فخرّ مغشيّا عليه ورأى
عبد الله بن مسعود الجنّ ليلة الجنّ وسمع كلامهم وشبّههم برجال الزُّطّ وذكر ابن
سعد انّ مصعب بن عمير لمّا قتل يوم احد اخذ الرّاية ملك على صورته فكان النبيّ
صلّى الله عليه وسلّم يقول له تقدّم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب
فعلم انّه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنّفين عن عمر بن الخطّاب انّه قال بينا نحن
جلوس مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم اذ اقبل شيخ بيده عصى فسلّم على النبيّ صلّى الله
عليه وسلّم فردّ عليه فقال نغمة الجنّ من انت قال انا هامةُ بن الهيم بن لاقِس بن ابليس
فذكر انّه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل وانّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم علّمه سورا
من القران وذكر الواقديّ قتل خالد عند هدمه العزّى للسّوداء الّتي خرجت له ناشرة
شعرها عريانة فجزلها بسيفه واعلم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال له تلك العزّى
وقال عليه السّلام انّ شيطانا تفلّت البارحة ليقطع عليّ صلاتي فامكنني الله
منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتّى تنظروا اليه كلّهم
فذكرت دعوة اخي سليمان رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا الاية فردّه الله خاسئا وهذا
باب واسع فصل ومن دلائل نبوّته وعلامات رسالته ما ترادفت به الاخبار
عن الرهبان والاحبار وعلماء اهل الكتب من صفته وصفة امّته واسمه وعلاماته
وذكر الخاتم الّذي بين كتفيه وما وجد من ذلك في اشعار الموحّدين المتقدّمين من
شعر تبّع والاوس بن حارثة وكعب بن لؤيّ وسفيان بن مجاشع وقُسّ بن ساعدة وما
ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرّف به من امره زيد بن عمرو بن نُفَيل وورقة
ابن نوفل وعثكلان الحميريّ وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب تبّع من صفته

الكتاب صح

وخبره

وخبره ما الفي من ذلك في التّورية والانجيل ممّا قد جمعه العلماء وبيّنوه ونقله عنهما
ثقات من اسلم منهم مثل ابن سلام وبني سعية وابن يامين ومُخَيريق وكعب واشباههم
ممّن اسلم من علماء يهود وبحيرا ونصطور الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر واسقف
الشّام والجارود وسلمان والنّجاشيّ ونصارى الحبشة واساقف نجران وغيرهم
ممّن اسلم من علماء النّصارى وقد اعترف بذلك هِرَقل وصاحب رومية عالما
النّصارى ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشّيخ صاحبه وابن صوريا وابن اخطب
واخوه وكعب بن اسد والزّبير باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممّن حمله الحسد والنّفاسة
على البقاء على الشّقاء والاخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع اسماع يهود والنّصارى
بما ذكر انّه في كتبهم من صفته وصفة اصحابه واحتجّ عليهم بما انطوت عليه من ذلك
صحفهم وذمّهم بتحريف ذلك وكتمانه وليّهم السنتهم ببيان امره ودعوتهم
للمباهلة على الكاذب فما منهم الّا من نفر عن معارضته وابداء ما الزمهم من كتبهم
اظهاره ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النّفوس و
الاموال وتخريب الدّيار ونبذ القتال وقد قال لهم قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَيةِ فَاتْلُوهَا إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ الى ما انذر به الكهّان مثل شافع بن كُلَيب وشقّ وسطيح وسواد بن قارب
وخنافر وافعى نجران وجذل بن جذل الكنديّ وابن خلصة الدّوسيّ وسعد بن بنت
كُرَيز وفاطمة بنت النّعمان ومن لا ينعدّ كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوّته
وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجانّ ومن ذبايح النّصب واجواف الصّور
وما وجد من اسم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم والشّهادة له بالرّسالة مكتوبا في الحجارة
والقبور بالخطّ القديم ما اكثره مشهور واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور

رومية ح

عن نفسها

فصل ومن ذلك ما ظهر من الآيات عند مولده وما حكته امّه ومن حضره من
العجايب وكونه رافعا راسه عند ما وضعته شاخصا ببصره الى السّماء وما راته من
النّور الّذى خرج معه عند ولادته وما راته اذ ذاك امّ عثمان بن ابى العاص من تدلّى
النّجوم وظهور النّور عند ولادته حتّى ما تنظر الّا النور وقول الشّفاء امّ عبد الرّحمن
ابن عوف لمّا سقط عليه السّلام على يدىّ واستهلّ سمعت قائلا يقول رحمك
الله واضاء لى ما بين المشرق والمغرب حتّى نظرت الى قصور الرّوم وما تعرّفت حليمة
وزوجها ضِيرَاهُ من بركته ودرور لبنها اله ولبن شارفها وخِصب غنمها وسرعة
شبابه وحسن نشأته وما جرى من العجايب ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى و
سقوط شُرُفاته وغيض بحيرة طبريّة وخمود نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد وانّه
كان اذا اكل مع عمّه ابى طالب واله وهو صغير شبعوا وروو فاذا غاب فاكلوا فى
غيبته لم يشبعوا وكان ساير ولد ابى طالب يصبحون شُعثا ويصبح هو صلّى الله عليه
وسلّم صقيلا دهينا كحيلا قالت امّ ايمن حاضِنتُه ما رايته عليه السّلام شكى
جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السّماء بالشّهب وقطع رصد
الشّياطين ومنعهم استراق السّمع وما نشأ عليه من بغض الاصنام والعفّة
عن امور الجاهليّة وما خصّه الله به من ذلك وحماه حتّى فى ستره فى الخبر المشهور
عند بناء الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرّى فسقط
الى الارض حتّى ردّ ازاره عليه فقال له عمّه ما بالك قال انّى نهيت عن التّعرّى ومن
ذلك اظلال الله له بالغمام فى سفره وفى رواية انّ خديجة ونسائها راينه لمّا قدم
وملكان يظلّانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انّه راى ذلك منذ خرج معه فى سفره

شرفاته

وقد

وميل فىء الشجرة

وقد روى انّ حليمة رات غمامة تظلّه وهو عندها وروى ذلك عن اخته من الرّضاعة
ومن ذلك انّه نزل فى بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها
واينعت هى فاشرقت وتدلّت عليه اغصانها بمحضر من راه وميل فىء الشّجرة اليه
فى الخبر الاخر حتّى اظلّته وما ذكر من انّه كان لا ظلّ لشخصه فى شمس ولا قمر لانّه كان نورا
وانّ الذّباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتّى اوحى
اليه ثمّ اعلامه بموته ودنوّ اجله وانّ قبره فى المدينة وفى بيته وانّ بينه وبين منبره روضة
من رياض الجنّة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته و
تشريفه وصلاة الملئكة على جسده على ما رويناه فى بعضها واستيذان ملك الموت
عليه ولم يستاذن على غيره قبله ونداؤهم الّذى سمعوه الّا تنزعوا القميص عنه عند
غسله وما روى من تعزية الخضر والملئكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على اصحابه
من كرامته وبركته فى حياته وموته كاستسقاء عمر بعمّه وتبرّك غير واحد بذرّيّته
فصل قال القاضى ابو الفضل قد اتينا فى هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة و
جمل من علامات نبوّته مقنعة فى واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى
ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطّوال على عين الغرض وفصّ المقصد ومن كثير
الاحاديث وغريبها على ما صحّ واشتهر الّا يسيرا من غريبه ممّا ذكره مشاهير الائمّة
وحذفنا الاسناد فى جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تُقُصِّىَ ان
يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلّدات عدّة ومعجزات نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم
اظهر من سائر معجزات الرّسل بوجهين احدهما كثرتها وانّه لم يؤت نبىّ معجزة الّا وعند
نبيّنا مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبّه النّاس على ذلك فان اردته فتامّل فصول

هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبياء تقف على ذلك ان شاء الله واما كونها
كثيرة فهذا القران وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين
سورة انا اعطيناك الكوثر او اية فى قدرها وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف
كانت معجزة وزاد اخرون ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين
والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى فاتوا بسورة مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر
هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففى القران من الكلمات نحو من سبعة
وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر
عشر كلمات فيجزء القران على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة الاف
جزء كل واحد منها معجز فى نفسه ثم اعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق
نظمه فصار فى كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم
فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون فى السورة الواحدة من هذه
التجزئة الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة
اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التى ذكرناها توجب التضعيف هذا فى حق القران فلا
يكاد ياخذ العد معجزاته ولا يحوى الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار
الصادرة عنه عليه السلام فى هذه الابواب وعما دل على امره مما اشرنا الى جمله
تبلغ نحوا من هذا الوجه الثانى وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فان معجزات
الرسل كانت بقدر همم اهل زمانهم وبحسب الفن الذى سما فيه قرنه فلما كان زمن
موسى غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه
فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن فى قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى

اعنى

اعنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم
يحتسبوه من احياء الميت وابراء الاكمه والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا
سائر معجزات الانبياء ثم ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف
العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فانزل عليه القران الخارق
لهذه الاربعة فصول من الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم
ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذى لم يهتدوا فى المنظوم الى طريقه ولا
علموا فى اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث والاسرار
والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه
وان كان اعدا العدو فابطل الكهانة التى تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من
اصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وانباء
الانبياء والامم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه
على الوجوه التى بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه
الوجوه الى الفصول الاخر التى ذكرناها فى معجزات القران ثابتة الى يوم القيمة بينة
الحجة لكل امة تاتى لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه الى ما اخبر به
من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره
على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة
فى اليقين والنفس اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عندها
حقا وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة
نبينا لا تبيد ولا تنقطع واياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار عليه السلام بقوله

فيما حدثنا القاضي الشهيد ابو علي نا القاضي ابو الوليد نا ابو ذر نا ابو محمد وابو اسحق
وابو الهيثم قالوا حدثنا الفربري نا البخاري نا عبد العزيز بن عبد الله نا الليث عن سعيد
عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبياء نبي الا اعطى
من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحيه الله الي
فارجوا اني اكثرهم تابعا يوم القيمة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر
والصحيح ان شاء الله وذهب غير واحد من العلماء في تاويل هذا الحديث وظهور معجزة
نبينا عليه السلام الى معنى اخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل
فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فان غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها
باشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه
هذا مما يخيله الساحر ويتحيل فيه والقران كلام ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه
عمل فكان من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب
ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتاويل الاول اخلص وارضى
وفي هذا التاويل الثاني ما يغمض الجفن عليه ويغضى ووجه ثالث على مذهب من
قال بالصرفة وان المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبي
اهل السنة من الاتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا بعد
لان الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليها وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا
فترك العرب الاتيان بما في مقدورهم او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء
والجلاء والسباء والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع و
التوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد ابين اية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم

منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني و
غيره قال وهذا عندنا ابلغ في خرق العادة بالافعال البديعة في انفسها كقلب العصا
حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارا ان ذلك من اختصاص صاحب ذلك
بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك صحيح النظر واما التحدي للخلايق
مئين من السنين بكلام من جنس كلامهم لياتوا بمثله فلم ياتوا فلم يبق بعد توفر
الدواعي على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي ايتي ان
يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فكان ذلك
وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك من ابهر اية واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب
عن بعض العلماء وجه ظهور ايته على سائر ايات الانبياء حتى احتاج للعذر عن
ذلك بدقة افهام العرب وزكاء البابها ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه
بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من القبط وبني اسرائيل
وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم
فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد ايمانهم وعبدوا المسيح
مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم من الايات
الظاهرة البينة للابصار بقدر غلظ افهامهم مما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو
ادنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع وانما كانت تتقرب
بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من امن بالله ووحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم
بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا

بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فامنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا
كلها فى صحبته وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا اباءهم وابناءهم فى نصرته واتى فى
معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا من
بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغنى عن ركوب بطون هذه

المسالك وظهورها

معجزات

بسم الله الرحمن الرحيم وبالله استعين

وصلوته على محمد واله القسم الثانى فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام قال
القاضى ابو الفضل وهذا قسم لخصنا فيه الكلام فى اربعة ابواب على ما ذكرناه اول
الكتاب ومجموعها فى وجوب تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته و
توقيره وبره وحكم الصلوة عليه والتسليم وزيارة قبره الباب الاول فى فرض الايمان
به ووجوب طاعته واتباع سنته اذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته
وجب الايمان به وتصديقه فيما اتى به قال الله تعالى فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ
الَّذِي أَنْزَلْنَا وقال إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وقال
فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الاية فالايمان بالنبى محمد عليه السلام واجب
متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال الله تعالى وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا حدثنا ابو محمد الخشنى الفقيه بقراءتى عليه نا الامام
ابو على الطبرى نا عبد الغافر الفارسى نا ابن عمرويه نا ابن سفيان نا ابو الحسين نا امية بن
بسطام نا يزيد بن زريع نا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابى
هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا

ان لا اله الا الله ويؤمنوا بى وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله قال القاضى ابو الفضل والايمان به عليه السلام هو
تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه فى جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة
تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به بالقلب
والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد فى هذا الحديث
نفسه من رواية عبد الله بن عمر امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا فى حديث جبريل اذ قال اخبرنى عن الاسلام فقال
النبى صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر
اركان الاسلام ثم سأله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملئكته وكتبه ورسله
الحديث فقد قرر ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان والاسلام به مضطر الى
النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة واما الحال المذمومة فالشهادة باللسان
دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ
إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ اى كاذبون
فى قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك
ضمايرهم لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم
يكن لهم فى الاخرة حكمه اذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين فى الدرك الاسفل من النار
وبقى عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان فى احكام الدنيا المتعلقة بالائمة
وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم
يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبى صلى الله عليه وسلم

عن التحكّم عليها وذمّ ذلك وقال هلّا شققت عن قلبه وللفرق بين القول والعقد
ما جعل في حديث جبريل الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان وبقيت حالتان
اخريان بين هذين احديهما ان يصدّق بقلبه ثمّ يخترم قبل اتّساع وقت للشهادة
بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به ورأى بعضهم
مؤمنا مستوجبا للجنّة لقوله عليه السّلام يخرج من النّار من كان في قلبه مثقال
ذرّة من ايمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك
غيره وهذا هو الصّحيح في هذا الوجه الثّانية ان يصدّق بقلبه ويطول مهله وعلم ما
يلزمه من الشّهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرّة فهذا اختلف فيه
ايضا فقيل هو مؤمن لانّه مصدّق والشّهادة من جملة الاعمال فهو عاص بتركها غير
مخلّد في النّار وقيل ليس بمؤمن حتّى يقارن عقده شهادة اذ الشّهادة انشاء عقد
والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتمّ التّصديق مع المهلة الّا بها وهذا هو الصّحيح
وهذا نبذ يفضي الى متّسع من الكلام في الاسلام والايمان وابوابهما وفي الزيادة فيهما
والنّقصان وهل التّجزّي ممتنع على مجرّد التّصديق لا يصحّ فيه جملة وانّما يرجع الى ما زاد عليه
من عمل او قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوّة يقين وتصميم اعتقاد
ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التّاليف
وفيما ذكرنا غنية فيما قصدنا ان شاء الله فصل وامّا وجوب طاعته فاذا وجب الايمان
به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لانّ ذلك ممّا اتى به قال الله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ وقال قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ وقال وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وقال مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وقال وَمَا

واحده

شهادة اللسان ه

أتيكم

آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وقال مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ
مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ الاية وقال تعالى وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ
فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل
الثّواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال
المفسّرون والائمّة طاعة الرّسول في التزام سنّته والتّسليم لما جاء به وقالوا وما ارسل
الله من رسول الّا فرض طاعته على من ارسله اليه وقالوا من يطع الرّسول في سنّته
يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرايع الاسلام فقال وما اتيكم
الرّسول فخذوه وقال السّمرقندي يقال اطيعوا الله في فرائضه والرّسول في سنّته وقيل
اطيعوا الله فيما حرّم عليكم والرّسول فيما بلّغكم ويقال اطيعوا الله بالشّهادة له
بالرّبوبيّة والنّبيّ بالشّهادة له بالنّبوّة حدّثنا ابو محمّد بن عتّاب بقرائتي عليه نا حاتم
ابن محمّد نا ابو الحسن عليّ بن محمّد بن خلف نا محمّد بن احمد نا محمّد بن يوسف نا البخاري
نا عبدان انا عبد الله انا يونس عن الزّهريّ اخبرني ابو سلمة ابن عبد الرّحمن انّه سمع
ابا هريرة يقول انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن
عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني
فطاعة الرّسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به
وطاعة له وقد حكى الله عن الكفّار في دركات جهنّم يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي
النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا فتمنّوا طاعته حيث لا ينفعهم التّمنّي
وقال عليه السّلام اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم
وفي حديث ابي هريرة عنه عليه السّلام كلّ امّتي يدخلون الجنّة الّا من ابى قالوا ومن

يابى قال من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى وفى الحديث الاخر الصحيح
عنه عليه السلام مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم انى رايت
الجيش بعينى وانى انا النذير العريان فالنجا فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا
فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش
فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعنى واتبع ما جئت به ومثل من عصانى
وكذب ما جئت به من الحق وفى الحديث الاخر فى مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها
مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعى دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب الداعى
لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة فالدار الجنة والداعى محمد فمن اطاع محمدا فقد
اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس فضل واما وجوب
اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد قال تعالى قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وقال فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وقال فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ
بَيْنَهُمْ الى قوله تَسْلِيمًا اى ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد وقال
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ الاية قال
محمد بن على الترمذى الاسوة فى الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته
فى قول او فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال
سهل فى قوله صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ قال بمتابعة السنة فامرهم تعالى بذلك
ووعدهم الاهتداء باتباعه لان الله ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى فى الاية الاخرى ومغفرته

اذا اتبعوه واثروه على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم
له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروى عن الحسن ان اقواما قالوا يا رسول
الله انا نحب الله فانزل الله تعالى قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي الاية وروى ان الاية
نزلت فى كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله
فانزل الله الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما
امركم به اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله لهم عفوه
عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة
كما قال القائل تعصى الاله وانت تظهر حبه هذا لعمرى فى القياس بديع لو كان
حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع ويقال محبة العبد لله تعظيمه له و
هيبته منه ومحبة الله له رحمته له وارادته الجميل له ويكون بمعنى مدحه وثنائه عليه
قال القشيرى فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات وسياتى
بعد فى ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه
قال نا ابو الاصبغ عيسى بن سهل ونا ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه بقراتى عليه
قالا نا حاتم بن محمد قال نا ابو حفص الجهنى نا ابو بكر الاجرى نا ابرهيم بن موسى الجوزى
نا داود بن رشيد نا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن
ابن عمرو السلمى وحجر الكلاعى عن العرباض بن سارية فى حديثه فى موعظة النبى صلى
الله عليه وسلم قال فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها
بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد فى حديث
جابر بمعناه وكل ضلالة فى النار وفى حديث ابى رافع عنه عليه السلام لا الفين

الاسلمى
الجوزى

احدكم متكيا على اريكته ياتيه الامر من امرى مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادرى
ماوجدنا فى كتاب الله اتبعناه وفى حديث عايشة صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم
قال ما بال قوم يتنزهون عن الشئ اصنعه فوالله انى لاعلمهم بالله واشدهم له خشية

اقوام صح

وروى عنه عليه السلام انه قال القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم
فمن استمسك بحديثى وفهمه وحفظه جاء مع القران ومن تهاون بالقران وحديثى
خسر الدنيا والاخرة امرت امتى ان ياخذوا بقولى ويطيعوا امرى ويتبعوا سنتى فمن رضى
بقولى فقد رضى بالقران قال الله تعالى وَمَا آتَيٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ الاية وقال عليه
السلام من اقتدى به فهو منى ومن رغب عن سنتى فليس منى وعن ابى هريرة عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد
وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال النبى صلى الله عليه وسلم العلم
ثلثة فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة وعن
الحسن بن ابى الحسن قال عليه السلام عمل قليل فى سنته خير من عمل كثير فى بدعة
وقال عليه السلام ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها وعن ابى هريرة
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتى عند فساد امتى له اجر مائة شهيد
وقال عليه السلام ان بنى اسرائل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان امتى تفترق على

اثنين فرقة صح
كانت يفترقون صح

ثلث وسبعين كلها فى النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذى انا عليه
اليوم واصحابى وعن انس قال عليه السلام من احيا سنتى فقد احيانى ومن احيانى
كان معى وعن عمرو بن عوف المزنى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث

من احيا سنة من سنتى فقد اميتت بعدى فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير
ان ينقص من اجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضى الله ورسوله كان عليه
مثل اثام من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا فصل واما ما ورد عن

من اوزارهم صح

السلف والائمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ ابو
عمران موسى بن عبد الرحمن بن ابى تليد الفقيه سماعا عليه قال نا ابو عمر الحافظ نا
سعيد بن نصر نا قاسم بن اَصْبَغ و وهب بن مَسَرَّة قالا نا محمد بن وضاح نا يحيى بن يحيى

ميسرة صح

نا مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر
فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر فى القران ولا نجد صلاة
السفر فقال ابن عمر يا ابن اخى ان الله بعث الينا محمدا ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رايناه
يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر
بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله
ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر فى راى من خالفها من اقتدى بها مهتد ومن
انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولّيه الله ما تولى واصلاه
جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن بن ابى الحسن عمل قليل فى سنة خير من عمل
كثير فى بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة
نجاة وكتب عمر بن الخطاب بتعلم السنة والفرايض واللحن اى اللغة وقال ان ناسا
يجادلونكم بالقران فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وفى خبر حين
صلى بذى الحُلَيْفَةِ ركعتين فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصنع وعن على حين قرن فقال له عثمان ترى انى انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن

ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس وعنه الا انى لست
بنبى ولا يوحى الى ولكنى اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت
وكان ابن مسعود يقول القصد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة وقال ابن
عمر صلاة السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال ابى بن كعب عليكم بالسبيل
والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه
من خشية ربه فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر
الله فى نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها
فهى كذلك اذا اصابتها ريح شديدة فتحاتت عنها ورقها الا حط الله عنه خطاياه
كما تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا فى سبيل الله وسنة خير من اجتهاد فى
خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا او اقتصادا ان
يكون على منهاج الانبياء وسنتهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر يحا
بلده وكثرة لصوصه هل ياخذهم بالظنة او يحملهم على البينة وما جرت عليه
السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم
الحق فلا اصلحهم الله وعن عطاء فى قوله فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول
اى الى كتاب الله وسنة رسول الله وقال الشافعى ليس فى سنة رسول الله الا اتباعها
وقال عمر ونظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا انى رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله وريء عبد الله بن عمر يدير ناقته فى مكان
فسئل فقال لا ادرى الا انى رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته
وقال ابو عثمان الحيرى من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن

امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التسترى اصول مذهبنا ثلثة الاقتدا
بالنبى صلى الله عليه وسلم فى الاخلاق والافعال والاكل من الحلال واخلاص
النية فى جميع الاعمال وجاء فى تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه الاقتدا
برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى ان احمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة
تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدخل
الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرايت تلك الليلة قائلا لى يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك
باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من انت قال جبريل فصل
ومخالفة امره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان و
العذاب قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم
عذاب اليم وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل
المؤمنين نوله ما تولى الاية حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابى جعفر وعبد الرحمن بن
عتاب بقراءتى عليهما قالا انا ابو القاسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن القابسى نا ابو
الحسن بن مسرور الدباغ نا احمد بن ابى سليمن نا سحنون بن سعيد نا ابن القاسم
نا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرج المقبرة وذكر الحديث فى صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضى
كما يذاد البعير الضال فاناديهم الا هلم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول
فسحقا فسحقا وروى انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتى فليس
منى وقال من ادخل فى امرنا ما ليس منه فهو رد وروى ابن ابى رافع عن ابيه عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكيا على اريكته ياتيه الامر من امرى

مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه زاد فى
حديث المقدام الا وان ما حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلّم مثل ما حرّم الله
وقال عليه السلام وجئ بكتاب فى كتف كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا
عما جاء به نبيّهم الى غير نبيّهم او كتاب غير كتابهم فنزلت اَوَلَمْ يَكْفِهِمْ اَنَّا اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ
الْكِتَابَ يُتْلٰى عَلَيْهِمْ الاية وقال عليه السلام هلك الْمُتَنَطِّعُونَ وقال ابو بكر الصّدّيق
رضى الله عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يعمل به الّا عملت
به انّى اخشى ان تركت شيئا من امره ان ازيغ الباب الثّانى فى لزوم محبّته قال الله تعالى
قُلْ اِنْ كَانَ اٰبَاؤُكُمْ وَاَبْنَاؤُكُمْ وَاِخْوَانُكُمْ وَاَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَاَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا الاية
فكفى بهذا حضّا وتنبيها ودلالة وحجّة على الزام محبّته ووجوب فرضها وعظم
خطرها واستحقاقه لها عليه السلام اذ قرّع تعالى من كان ماله واهله وولده احبّ
اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله فَتَرَبَّصُوا حَتّٰى يَاْتِىَ اللّٰهُ بِاَمْرِهٖ ثمّ فسّقهم بتمام
الاية واعلمهم انّهم ممّن ضلّ ولم يهده الله حدّثنا ابو علىّ الغسّانى الحافظ فيما اجازنيه
وهو ممّا قرأته على غير واحد قال نا سراج بن عبد الله القاضى نا ابو محمّد الاصيلى نا المروزى
نا ابو عبد الله محمّد بن يوسف نا محمّد بن اسمعيل نا يعقوب بن ابرهيم نا ابن علية عن
عبد العزيز بن صهيب عن انس انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لا يؤمن احدكم
حتّى اكون احبّ اليه من ولده ووالده والنّاس اجمعين وعن ابى هريرة نحوه وعن انس
عنه عليه السلام ثلث من كنّ فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احبّ
اليه ممّا سواهما وان يحبّ المرء لا يحبّه الّا لله وان يكره ان يعود فى الكفر كما يكره ان يقذف
فى النّار وعن عمر بن الخطّاب رضى الله عنه انّه قال للنّبىّ صلّى الله عليه وسلّم لانت

احبّ الىّ من كلّ شئ الّا نفسى الّتى بين جنبىّ فقال له النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم لن يؤمن
احدكم حتّى اكون احبّ اليه من نفسه فقال عمر والّذى انزل عليك الكتاب لانت
احبّ الىّ من نفسى الّتى بين جنبىّ فقال له النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم الان يا عمر
قال سهل من لم ير ولاية الرّسول عليه السلام عليه فى جميع الاحوال ويرى نفسه فى
ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة سنّته لانّ النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال
لا يؤمن احدكم حتّى اكون احبّ اليه من نفسه الحديث فصل فى ثواب محبّته حدّثنا
ابو محمّد بن عتّاب بقرائتى عليه نا ابو القاسم حاتم بن محمّد نا ابو الحسن علىّ بن خلف نا ابو
زيد المروزىّ نا محمّد بن يوسف نا محمّد بن اسمعيل نا عبدان نا ابى نا شعبة عن عمرو بن مرّة
عن سالم بن ابى الجعد عن انس انّ رجلا اتى النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم فقال متى السّاعة
يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كبير صلاة ولا صوم ولا
صدقة ولكنّى احبّ الله ورسوله قال انت مع من احببت وعن صفوان بن قدامة
هاجرت الى النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولنى يدك ابايعك
فناولنى يده فقلت يا رسول الله انّى احبّك قال المرء مع من احبّ وروى هذا اللّفظ
عن النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس وعن ابى ذرّ بمعناه
وعن علىّ انّ النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم اخذ بيد حسن وحسين فقال اللّهمّ من
احبّنى واحبّ هذين واباهما وامّهما كان معى فى درجتى يوم القيمة وروى انّ رجلا
اتى النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم فقال يا رسول الله لانت احبّ الىّ من اهلى ومالى وانّى
لاذكرك فما اصبر حتّى اجئ فانظر اليك وانّى ذكرت موتى وموتك فعرفت انّك
اذا دخلت الجنّة رفعت مع النّبيّين وان دخلتها لا اراك فانزل الله وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ

وَالرَّسُولَ فَاُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيّيِنَ وَالصِّدِّيقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ
وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ اُولٰئِكَ رَفِيقًا فدعا به فقراها عليه وفى حديث اٰخر كان رجل
عند النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك بابى انت وامّى اتمتّع
من النّظر اليك فاذا كان يوم القيٰمة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاٰية وفى حديث
انس من احبّنى كان معى فى الجنّة فصل فيما روى عن السّلف والائمّة من محبّتهم للنّبىّ
صلّى الله عليه وسلّم وشوقهم له حدّثنا القاضى الشّهيد نا العذرىّ نا الرّازىّ نا الجلودىّ
نا ابن سفيان نا مسلم نا قتيبة نا يعقوب بن عبد الرّحمن عن سهيل عن ابيه عن ابى هريرة
انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال من اشدّ امّتى لى حبّا يكونون بعدى يودّ احدهم
لو رانى باهله وماله ومثله عن ابى ذرّ وتقدّم حديث عمر وقوله للنّبىّ صلّى الله عليه
وسلّم لانت الىّ احبّ من نفسى وما تقدّم عن الصّحابة فى مثله وعن عمرو بن العاص
ما كان احد احبّ الىّ من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعن عبدة بنت خالد بن
معدان قالت ما كان خالد ياوى الى فراش الّا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلّى
الله عليه وسلّم والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسمّيهم ويقول هم اصلى وفصلى
واليهم يحنّ قلبى طال شوقى اليهم فعجّل ربّ قبضى اليك حتّى يغلبه النّوم وروى عن
ابى بكر انّه قال للنّبىّ صلّى الله عليه وسلّم والّذى بعثك بالحقّ لاسلام ابى طالب كان
اقرّ لعينى من اسلامه يعنى اباه ابا قُحافة وذلك انّ اسلام ابى طالب كان اقرّ لعينك
ونحوه عن عمر بن الخطّاب قاله للعبّاس ان تسلم احبّ الىّ من ان يسلم الخطّاب لانّ ذلك
احبّ الى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعن ابن اسحٰق انّ امراة من الانصار قتل ابوها
واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقالت ما فعل رسول

الله قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبّين قالت ارينه حتّى انظر اليه فلمّا راته قالت كلّ
مصيبة بعدك جلل وسئل علىّ بن ابى طالب كيف كان حبّكم لرسول الله صلّى الله عليه
وسلّم قال كان والله احبّ الينا من اموالنا واولادنا واٰبائنا وامّهاتنا ومن الماء البارد
على الظّماء وعن زيد بن اسلم خرج عمر ليلة يحرس فراى مصباحا فى بيت واذا عجوز تنقش
صوفا وتقول على محمّد صلاة الابرار صلّى عليه الطّيّبون الاخيار قد كنت قوّاما بكّاءً
بالاسحار يا ليت شعرى والمنايا اطوار هل تجمعنّى وحبيبى الدّار تعنى النّبىّ صلّى الله عليه
وسلّم فجلس عمر يبكى وفى الحكاية طول وروى انّ عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل
له اذكر احبّ النّاس اليك يزل عنك فصاح يا محمّداه فانتشرت ولمّا احتضر بلال نادت
امراته واحزناه فقال واطرباه غدا القى الاحبّة محمّدا وحزبه ويروى انّ امراة قالت
لعايشة اكشفى لى قبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فكشفته لها فبكت حتّى ماتت
ولمّا اخرج اهل مكّة زيد بن الدَّثِنَةَ من الحرم ليقتلوه فقال له ابو سفيان بن حرب انشدك
بالله يا زيد اتحبّ انّ محمّدا الان عندنا مكانك نضرب عنقه وانّك فى اهلك فقال
زيد والله ما احبّ انّ محمّدا الاٰن فى مكانه الّذى هو فيه تصيبه شوكة وانّى جالس
فى اهلى فقال ابو سفيان ما رايت من النّاس احدا يحبّ كحبّ اصحاب محمّد محمّدا صلّى الله
عليه وسلّم وعن ابن عبّاس كانت المرءة اذا اتت النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم حلّفها بالله
ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بارض عن ارض وما خرجت الّا حبّا لله ورسوله
ووقف ابن عمر على ابن الزّبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صوّاما
قوّاما تحبّ الله ورسوله فصل فى علامة محبّته عليه السّلام اعلم انّ من احبّ شيئا
اٰثره واٰثر موافقته والّا لم يكن صادقا فى حبّه وكان مدّعيا فالصّادق فى حبّ النّبىّ

واحزناه مح
واكرباه مح

صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه واولها الاقتداء به واستعمال
سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه والتادب بادابه
في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وايثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال
الله تعالى وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي
صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ واسخاط
العباد في رضى الله حدثنا القاضي ابو علي الحافظ نا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل
ابن خيرون قالا نا ابو يعلى البغدادي نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب نا ابو عيسى نا
مسلم بن حاتم نا محمد بن عبد الله الانصاري عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب
قال قال انس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح
وتمسي ليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال يا بني وذلك من سنتي ومن احيا سنتي
فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله
ورسوله ومن خالفهما في بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله
قوله عليه السلام للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبي صلى الله
عليه وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيئا اكثر ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه فكل
حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الاشعريين عند قدومهم المدينة انهم كانوا يرتجزون
غدا نلقى الاحبة محمدا وصحبه وتقدم قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من
قصة خالد بن معدان ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره واظهار

الخشوع والانكسار مع سماع اسمه قال اسحق التجيبي كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
بعده لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين
منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا اليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبته
لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه من ال بيته وصحابته من المهاجرين
والانصار وعداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب من
يحب وقد قال عليه السلام في الحسن والحسين اللهم اني احبهما فاحبهما وفي
رواية في الحسن فاحب من يحبه وقال من احبهما فقد احبني ومن احبني فقد احب الله
ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم
غرضا فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال في فاطمة انها بضعة
مني يغضبني ما اغضبها وقال لعايشة في اسامة بن زيد احبيه فاني احبه وقال اية الايمان
حب الانصار واية النفاق بغضهم وفي حديث ابن عمر من احب العرب فبحبي احبهم
ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم فبالحقيقة من احب شيئا احب كل شيء يحبه وهذه
سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال انس حين راى النبي صلى
الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت احب الدباء من يومئذ وهذا
الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر اتوا سلمى وسالوها ان تصنع لهم طعاما
مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية و
يصبغ بالصفرة اذا راى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغض
الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله

والخضوع صح

واستثقال صح

كل امر يخالف شريعته قال الله تعالى لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ
مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وهؤلاء اصحابه عليه السلام قد قتلوا احبّائهم وقاتلوا اباءهم
وابناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله بن ابيّ لو شئت لاتيتك براسه يعني
اباه ومنها ان يحبّ القران الذي اتى به عليه السلام وهدى به واهتدى وتخلّق به
حتّى قالت عايشة كان خلقه القران وحبّه للقران تلاوته والعمل به وتفهّمه ويحبّ سنّته
ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله علامة حبّ الله حبّ القران وعلامة حبّ
الله وحبّ القران حبّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعلامة حبّ النبيّ صلّى الله عليه
وسلّم حبّ السنّة وعلامة حبّ السنّة حبّ الاخرة وعلامة حبّ الاخرة بغض الدّنيا
وعلامة بغض الدنيا ان لا يدّخر منها الّا زادا وبلغة الى الاخرة وقال ابن مسعود لا يسئل
احد عن نفسه الّا القران فان كان يحبّ القران فهو يحبّ الله ورسوله ومن علامة حبّه
للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم شفقته على امّته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع
المضارّ عنهم كما كان عليه السلام بالمؤمنين رؤفا رحيما ومن علامة تمام محبّته زهد
مدّعيها في الدّنيا وايثاره الفقر واتّصافه به وقد قال عليه السلام لابي سعيد الخدريّ
انّ الفقر الى من يحبّني منكم اسرع من السّيل من اعلى الوادي او الجبل الى اسفله وفي
حديث عبد الله بن مُغفّل قال رجل للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم يا رسول الله انّي احبّك
فقال انظر ما تقول قال والله انّي احبّك ثلاث مرّات قال ان كنت تحبّني فاعدّ للفقر
تجفافا ثمّ ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه فصل في معنى المحبّة للنبيّ صلّى الله عليه
وسلّم وحقيقتها اختلف النّاس في تفسير محبّة الله ومحبّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم
وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنّها اختلاف

احوال

احوال فقال سفيان المحبّة اتّباع الرّسول عليه السلام كانّه التفت الى قوله تعالى
قل ان كنتم تحبّون الله الاية وقال بعضهم محبّة الرّسول اعتقاد نصرته والذّبّ عن
سنّته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبّة دوام الذّكر للمحبوب وقال
اخر ايثار المحبوب وقال بعضهم المحبّة الشّوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبّة مواطاة
القلب لمراد الرّبّ يحبّ ما احبّ ويكره ما كره وقال اخر المحبّة ميل القلب الى موافق
له واكثر العبارات المتقدّمة اشارة الى ثمرات المحبّة دون حقيقتها وحقيقة المحبّة
الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته له امّا لاستلذاذه بادراكه كحبّ الصّور
الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللّذيذة واشباهها ممّا كلّ طبع
سليم مايل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه بحاسّة عقله وقلبه معاني
باطنة شريفة كمحبّة الصّالحين والعلماء واهل المعروف والماثور عنهم السّير الجميلة
والافعال الحسنة فانّ طبع الانسان مايل الى الشّغف بامثال هؤلاء حتّى يبلغ
التّعصّب بقوم لقوم والتّشيّع من امّة في اخرين الى ما يؤدّي الى الجلاء عن الاوطان وهتك
الحرم واخترام النّفوس او يكون حبّه ايّاه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه عليه
فقد جُبِلت النّفوس على حبّ من احسن اليها فاذا تقرّر لك هذا نظرت هذه الاسباب
كلّها في حقّه عليه السلام فعلمت انّه عليه السلام جامع لهذه المعاني الثّلثة الموجبة
للمحبّة امّا جمال الصّورة والظّاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قرّرنا منها قبل فيما مرّ
من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة وامّا احسانه وانعامه على امّته فكذلك وقد مرّ
منه في اوصاف الله تعالى له من رافته بهم ورحمته لهم وهدايته ايّاهم وشفقته
عليهم واستنقاذهم به من النّار وانّه بالمؤمنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين ومبشّرا

في اخرى

ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ويتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاى احسان اجل قدرا واعظم خطرا من
احسانه الى جميع المؤمنين واى افضال اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة
من المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح
والكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعتهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب
لهم والبقاء الدائم والنعيم السرمد فقد استبان لك انه عليه السلام مستوجب
للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار وعادة وجبلة بما ذكرناه انفا لافاضته
الاحسان وعمومه الاجمال فاذا كان الانسان يحب من منحه فى دنياه مرة او مرتين
معروفا واستنقذه من هلكة او مضرة مدة التاذى بها قليل منقطع فمن منحه ما
لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان يحب بالطبع
ملك لحسن سيرته او حاكم لما يوثر عنه من قوام طريقته او قاص بعيد الدار لما يشاد من
علمه او من كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى
بالميل وقد قال على رضى الله عنه فى صفته عليه السلام من راه بديهة هابه ومن
خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض اصحابه انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه

فصل فى وجوب مناصحته عليه السلام قال الله تعالى وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا
يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين مسلمين فى السر والعلانية
حدثنا الفقيه ابو الوليد بقرائتى عليه نا حسين بن محمد نا يوسف بن عبد الله نا ابن عبد
المؤمن نا ابو بكر التمار نا ابو داود نا احمد بن يونس نا زهير نا سهيل ابن ابى صالح عن عطاء

ابن

ابن يزيد عن تميم الدارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين
النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله وائمة المسلمين و
عامتهم قال ائمتنا رحمهم الله النصيحة لله ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال
الامام ابو سليمن البستى النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن
ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها فى اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا
خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن الخفاف النصح فعل الشىء الذى فيه الصلاح

ابى اسحق الخفاف

والملائمة ماخوذ من النصاح وهو الخيط الذى يخاط به الثوب وقال ابو اسحق الزجاج نحوه
فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز
عليه والرغبة فى محابه والبعد من مساخطه والاخلاص فى عبادته والنصيحة لكتابه

عن

الايمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه
فيه والذب عنه من تاويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته
وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قال ابو سليمن وقال ابو بكر وموازرته ونصرته و
حمايته حيا وميتا واحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه
الكريمة واداته الجميلة وقال ابو ابرهيم اسحق التجيبى نصيحة رسول الله التصديق بما جاء به
والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها
والى العمل بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر الاجرى وغيره النصح له يقتضى نصحين نصحا فى حياته ونصحا
بعد مماته ففى حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع و
الطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا ٱللَّهَ

عليه الاية وقال وينصرون الله ورسوله الاية واما نصيحة المسلمين بعد وفاته فالتزام
التوقير والاجلال وشدة المحبة والمثابرة على تعليم سنته والتفقه فى شريعته ومحبة
ال بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه
والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وادابه والصبر على ذلك فعلى ما
ذكره تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام
ابو القاسم القشيرى ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار
رئى فى النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى فقيل بماذا قال صعدت ذروة جبل
يوما فاشرفت على جنودى فاعجبتنى كثرتهم فتمنيت انى حضرت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله لى ذلك وغفر لى واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم
فى الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا
عنه وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم
عليهم والنصح لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم فى امر دينهم ودنياهم
بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم
ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم

الباب الثالث فى تعظيم امره ووجوب توقيره وبره

قال الله تعالى يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله
ورسوله وتعزروه وتوقروه الاية وقال يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله
ويا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الثلاث الايات وقال لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فاوجب الله تعالى تعزيره وتوقيره والزام اكرامه
وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا فى تعظيمه وقال الاخفش

تعلمه

تنصرونه

تنصرونه وقال الطبرى تعينونه وقرئ تعززوه بزائين من العز ونهى عن التقدم بين يديه
بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب
قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فانصتوا له واستمعوا ونهوا عن
التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا بشئ فى ذلك من قتال او غيره
من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به الى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك
والسدى والثورى ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع
عليم قال الماوردى اتقوه يعنى فى التقدم وقال السلمى اتقوا الله فى اهمال حقه وتضييع
حرمته انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له
بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادى بعضهم بعضا باسمه قال
ابو محمد مكى اى لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء
بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى به يا رسول الله
يا نبى الله وهذا كقوله فى الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
على احد التاويلين وقال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط
اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الاية فى وفد بنى تميم وقيل فى غيرهم
اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل
ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الاية الاولى فى محاورة كانت بين ابى بكر
وعمر بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما
وقيل نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبى صلى الله عليه وسلم فى مفاخرة بنى
تميم وكان فى اذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الاية اقام فى منزله وخشى

فاستمعوا له وانصتوا له

ان يكون حبط عمله ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت ان
اكون هلكت نهينا الله ان نجهر بالقول وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله
عليه وسلم يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم
اليمامة وروى ان ابا بكر لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها
الا كاخي السرار وان عمر كان اذا حدثه حدثه كاخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه فانزل الله تعالى فيهم ان الذين يغضون
اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر
عظيم وقيل نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات في بني تميم نادوه باسمه وروى
صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له
جهوري ايا محمد ايا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك قد نهيت عن رفع
الصوت وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقال بعض المفسرين هي
لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لان
معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم
بل حقه ان يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم
بالرعونة فنهى المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة
اللفظة وقيل غير هذا فصل في عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام وتوقيره و
اجلاله حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو بحر الاسدي بسماعي عليهما في اخرين
قالوا انا احمد بن الحسن نا محمد بن عيسى نا ابرهيم بن سفيان نا مسلم نا محمد بن المثنى وابو معن
الرقاشي واسحق بن منصور نا الضحاك بن مخلد انا حيوة بن شريح حدثني يزيد بن ابي حبيب

عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال
وما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه اجلالا
له ولو سئلت ان اصفه ما اطقت لاني لم اكن املا عيني منه وروى الترمذي عن
انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من المهاجرين
والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم اليه بصره الا ابو بكر وعمر
فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى اسامة
ابن شريك اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما على رؤسهم الطير وفي
حديث صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وقال عروة بن مسعود
حين وجهته قريش عام القضية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وراى من تعظيم
اصحابه له ما راى وانه لا يتوضا الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق
بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم واجسادهم ولا
تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم
عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر قريش اني جئت
كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رايت ملكا في قوم
قط مثل محمد في اصحابه وفي رواية ان رايت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا
اصحابه وقد رايت قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا
لما اذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم
في القضية ابى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفى حديث طلحة ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابى جاهل سئله
عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسئاله فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفى حديث قيلة فلما رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم جالسا القرفصاء أرعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفى حديث المغيرة
كان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاضافير وقال البراء بن عازب
لقد كنت اريد ان اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر فاوخر سنين من هيبته

فصل واعلم ان حرمة النبى صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم
كما كان حال حياته وذلك عند ذكره عليه السلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه
وسيرته ومعاملة اله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته قال ابو ابرهيم التجيبى واجب
على كل مؤمن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ
فى هيبته واجلاله بما كان ياخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتادب بما ادبنا الله به
قال القاضى ابو الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وائمتنا الماضين رضى الله عنهم
اجمعين حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعرى وابو القاسم احمد بن بقى
الحاكم وغير واحد فيما اجازونيه قالوا اخبرنا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث قال نا
ابو الحسن على بن فهر نا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج نا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب نا
يعقوب بن اسحق بن ابى اسرائيل نا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا فى
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك
فى هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى
الاية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية وذم قوما فقال
ان الذين ينادونك الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال
يا ابا عبد الله ءاستقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه السلام
الى الله يوم القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى
ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله الاية وقال مالك وقد سئل
عن ايوب السختيانى ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه قال وحج حجتين فكنت
ارمقه ولا اسمع منه شيئا غير انه كان اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم بكى حتى ارحمه
فلما رايت منه ما رايت واجلاله للنبى صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب
ابن عبد الله كان مالك اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحنى حتى يصعب
ذلك على جلسائه فقيل له يوما فى ذلك فقال لو رايتم ما رايت لما انكرتم على ما ترون لقد
كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسئله عن حديث ابدا الا يبكى
حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد الصادق وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر
عنده النبى صلى الله عليه وسلم اصفر وما رايته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلث خصال اما
مصليا واما صامتا واما يقرأ القران ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين
يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبى صلى الله عليه وسلم فينظر
الى لونه كانه نزف منه الدم وقد جف لسانه فى فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولقد كنت اتى عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبى صلى الله عليه وسلم بكى
حتى لا يبقى فى عينيه دموع ولقد رايت الزهرى وكان من اهناء الناس واقربهم فاذا ذكر

عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت اتى صفوان
ابن سُليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا
يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروى عن قتادة انه كان اذا سمع الحديث اخذه
العويلُ والزويلُ ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال
الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء
وكان عبد الرحمن بن مهدي اذا قرا حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويتاول انه يجب له من الانصات عند قراءة حديثه
ما يجب له عند سماع قوله فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسنته حدثنا الحسين بن محمد الحافظ نا ابو الفضل ابن خيرون
نا ابو بكر البرقاني وغيره نا ابو الحسن الدارقطني نا علي بن مُبَشّر نا احمد بن سنان القطان
نا يزيد بن هرون نا المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن
مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث
يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رايت العرق
يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله او فوق ذا او ما دون ذا او ما قرب من ذا وفي رواية
فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه وقال ابرهيم بن عبد الله بن
قُريم الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال اني
لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان اخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا قائم وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فساله عن حديث وهو مضطجع فجلس
وحدثه فقال له الرجل وددت انك لم تتعن فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع وروى عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر
عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن انس
لا يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له وحكى مالك
ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا حدث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسُئل
عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مُطرِّف كان اذا اتى
الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث او
المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب
ولبس ثيابا جُددا ولبس ساجة وتعمم ووضع على راسه رداءه وتُلقى له منصّة فيخرج
فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ابن ابي اُويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا قال وكان يكره ان
يحدث في الطريق او قائما او مستعجلا وقال احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست
عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له يا ابا عبد الله لقد رايت منكم اليوم
عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مهدي
مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسالته عن حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني

او هو قائم او مستعجل

اجلّ من ان تسال عن حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ونحن نمشى وساله جرير بن عبد
الحميد القاضى عن حديث وهو قائم فامر بحبسه فقيل له انه قاض قال القاضى احق من ادّب
وذكر انّ هشام بن الغازى سال مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا
ثمّ اشفق فحدّثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادنى سياطا ويزيدنى حديثا
قال عبد الله بن صالح كان مالك واللّيث لا يكتبان الحديث الّا وهما طاهران وكان
قتادة يستحب الّا يقرأ احاديث النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم الّا على وضوء ولا يحدّث
الّا على طهارة وكان الاعمش اذا اراد ان يحدّث وهو على غير وضوء تيمّم فصل
ومن توقيره صلّى الله عليه وسلّم وبرّه برّ آله وذرّيّته وامّهات المؤمنين ازواجه كما حضّ
عليه عليه السّلام وسلكه السّلف الصّالح رضى الله عنهم قال الله تعالى اِنَّمَا يُرِيدُ
اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ الْبَيْتِ الاية وقال تعالى وَاَزْوَاجُهُ اُمَّهَاتُهُمْ اخبرنا
الشّيخ ابو محمّد بن احمد العدل من كتابه وكتبت من اصله نا ابو الحسن المقرئ الفرغانىّ
حدّثتنى امّ القاسم بنت الشّيخ ابى بكر الخفاف قالت حدّثنى ابى نا حاتم هو ابن عقيل نا يحيى
هو ابن اسمعيل نا يحيى هو الحمّانىّ نا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيّان
عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انشدكم الله واهل بيتى ثلثا قلنا
ليزيد من اهل بيته قال آل علىّ وآل جعفر وآل عقيل وآل العبّاس وقال عليه السّلام انّى
تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلّوا كتاب الله وعترتى اهل بيتى فانظروا كيف تخلفونى
فيهما وقال عليه السّلام معرفة آل محمّد براءة من النّار وحبّ آل محمّد جواز على
الصّراط والولاية لآل محمّد امان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم هى معرفة
مكانهم من النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقّهم

وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابى سلمة لمّا نزلت اِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ
الْبَيْتِ الاية وذلك فى بيت امّ سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجلّلهم بكساء
وعلىّ خلف ظهره ثمّ قال اللّهمّ هؤلاء اهل بيتى فاذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرا
وعن سعد بن ابى وقّاص لمّا نزلت اية المباهلة دعا النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم عليّا
وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللّهمّ هؤلاء اهلى وقال النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم
فى علىّ من كنت مولاه فعلىّ مولاه اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبّك
الّا مؤمن ولا يبغضك الّا منافق وقال للعبّاس والّذى نفسى بيده لا يدخل قلب
رجل الايمان حتّى يحبّكم لله ولرسوله ومن اذى عمّى فقد اذانى وانّما عمّ الرّجل صنو ابيه
وقال للعبّاس اغد علىّ يا عمّ مع ولدك فجمعهم وجلّلهم بملاءته وقال هذا عمّى وصنو
ابى وهؤلاء اهل بيتى فاسترهم من النّار كسترى ايّاهم فامّنت اسكفّة الباب وحوائط
البيت آمين آمين وكان ياخذ اسامة بن زيد والحسن ويقول اللّهمّ انّى احبّهما فاحبّهما
وقال ابو بكر رضى الله عنه ارقبوا محمّدا فى اهل بيته وقال ايضا والّذى نفسى بيده
لقرابة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم احبّ الىّ ان اصل من قرابتى وقال صلّى الله عليه
وسلّم من احبّ حسنا وحسينا وقال من احبّنى واحبّ هذين واشار الى حسن وحسين
وابا هما وامّهما كان معى فى درجتى يوم القيمة وقال صلّى الله عليه وسلّم من اهان قريشا
اهانه الله وقال قدّموا قريشا ولا تقدّموها وقال عليه السّلام لامّ سلمة لا تؤذينى فى عائشة
وعن عقبة بن الحارث رايت ابا بكر رضى الله عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بابى
شبيه بالنّبىّ ليس شبيها بعلىّ وعلىّ يضحك وروى عن عبد الله بن حسن بن حسن قال
اتيت عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال لى اذا كانت لك حاجة فارسل الىّ او اكتب فانّى

ذرّيّاته

عبد الرحمن له

وحرمتهم

استحي من الله ان يراك الله على بابي وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت
له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال
هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا
وراى ابن عمر محمد بن اسامة فقال ليت هذا عندي فقيل له هو محمد بن اسامة فطاطا ابن
عمر راسه ونقر بيده الارض وقال لو راه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه وقال
الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على
عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل
يدها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها
وما ترك لها حاجة الا قضيها ولما فرض عمر بن الخطاب لابنه عبد الله في ثلثة الاف
ولاسامة بن زيد في ثلثة الاف وخمسمائة قال عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني
الى مشهد فقال له لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك
واسامة احب اليه منك فاثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي وبلغ
معاوية ان كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه
من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه صورة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمن
ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فافاق فقال اشهدكم اني
جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه
وسلم فاستحي منه ان يدخل بعض اله النار بسببي وقيل ان المنصور اقاده من جعفر
فقال له اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته

من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي
لبدات بحاجة علي قبلهما لقرابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان اخر
من السماء الى الارض احب الي من ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس ماتت فلانة
لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال
اليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم اية فاسجدوا واي اية اعظم من
ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة النبي
صلى الله عليه وسلم ويقولان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت
حليمة السعدية على النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما
توفي وفدت على ابي بكر وعمر فصنعا بها مثل ذلك فصل ومن توقيره وبره عليه السلام
توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار
لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار المورخين
وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم وان يلتمس لهم
فيما نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج لهم اصوب
المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمض عليه امر بل تذكر حسناتهم
وفضايلهم وحميد سيرتهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال عليه السلام اذا ذكر
اصحابي فامسكوا قال الله تعالى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ الى اخر السورة وقال وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الاية
وقال لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وقال رِجَالٌ صَدَقُوا
مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ الاية حدثنا القاضي ابو علي نا ابو الحسين وابو الفضل نا ابو يعلى

لقرابته

نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب نا الترمذي نا الحسن بن الصباح نا سفيان بن عيينة
عن زايدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال اصحابي كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي كمثل
الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله الله في اصحابي لا يتخذوهم غرضا بعدي
فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني
فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم
مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال من سب اصحابي فعليه لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابي
فامسكوا وقال في حديث جابر ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين
والمرسلين واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي وفي
اصحابي كلهم خير وقال من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني قال
مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق ونزع باية
الحشر والذين جاؤا من بعدهم الاية وقال من غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى
ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال ايوب السختياني من احب ابا بكر فقد اقام
الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن
احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم فقد بريء من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة و السلف

الصالح واخاف الا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما وفي
حديث خالد بن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر
فاعرفوا له ذلك ايها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وطلحة والزبير وسعيد
وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية
ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة
فانها مظلمة لا توهب في القيمة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن عبد العزيز
من معاوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد معاوية
صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله واتى النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة
رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله وقال عليه السلام في الانصار
اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من
حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن
تخلى الله منه يوشك ان ياخذه وعنه عليه السلام من حفظني في اصحابي كنت له
حافظا يوم القيمة وقال من حفظني في اصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي
لم يرد علي الحوض ولم يرني الا من بعيد قال مالك رحمه الله هذا النبي مؤدب الخلق
الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم
ويستغفر كالمودع لهم وبذلك امره الله وامر النبي بحبهم وموالاتهم ومعاداة من
عاداهم وروي عن كعب ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا له
شفاعة يوم القيمة وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له يوم القيمة قال سهل بن
عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم يعزر اوامره فصل ومن

سعد

اعظامه واكباره اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة
ومعاهده وما لمسه عليه السلام او عرف به وروى عن صفية بنت نجدة قالت
كان لابى محذورة قصة فى مقدم راسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض فقيل
له الا تحلقها فقال لم اكن بالذى احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده وكانت فى قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره عليه السلام فسقطت فى
بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كثرة من
قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره عليه السلام لئلا
اسلب بركتها وتقع فى ايدى المشركين ورئى ابن عمر واضعا يده على مقعد النبى
صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا كان مالك رحمه الله
لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول استحيى من الله ان اطأ تربة فيها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحافر دابة وروى انه وهب للشافعى كراعا كثيرا كان عنده فقال له
الشافعى امسك منها دابة فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمى
عن احمد بن فضلوية الزاهد وكان من الغزاة الرماة انه قال ما مسست القوس بيدى
الا على طهارة منذ بلغنى ان النبى صلى الله عليه وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك
فيمن قال تربة المدينة ردية بضرب ثلثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه
الى ضرب عنقه تربة دفن فيها النبى صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة وفى الصحيح
انه قال عليه السلام فى المدينة من احدث فيها حدثا او اوى محدثا فعليه لعنة
الله والملئكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وحكى ان جهجاها الغفارى
اخذ قضيب النبى صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضى الله عنه وتناوله ليكسره

كانت نه — كثرة نه — ورأى نه

على

على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة فى ركبته فقطعها ومات قبل الحول وقال
عليه السلام من حلف على منبرى كاذبا فليتبوأ مقعده من النار وحدثت ان ابا
الفضل الجوهرى لما ورد المدينة زايرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما راينا رسم من لم يدع لنا	فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة	لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وحكى عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول انشا يقول متمثلا

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر	قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطى بنا بلغن محمدا	فظهورهن على الرحال حرام

قربننا من خير من وطئ الثرى   فلها علينا حرمة وذمام

وحكى عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له فى ذلك فقال له العبد الابق ياتى
الى بيت مولاه راكبا لو قدرت ان امشى على راسى ما مشيت على قدمى قال القاضى وجدير
لمواطن عمرت بالوحى والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملئكة
والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد
البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس ايات ومساجد صلوات
ومشاهد الفضايل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين
ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت
النبوة واين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى
ترابها ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدراتها

يا دار خير المرسلين ومن به   هدى الانام وخص بالايات

لناظري نه — وصلوات نه

عندى لاجلك لوعة وصبابة … وتشوق متوقد الجمرات
وعلى عهد ان ملأت محاجري … من تلكم الجدرات والعرصات
لاعفرن مصون شيبى بينها … من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادى والاعادى زرتها … ابدا ولو سحبا على الوجنات
لكن ساهدى من حفيل تحيتى … لقطين تلك الدار والحجرات
اذكى من المسك المفتق نفحة … تغشاه بالاصال والبكرات
وتخصه بزواكى الصلوات … ونوامى التسليم والبركات

الباب الرابع فى حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته قال الله تعالى
اِنَّ اللهَ وَمَلٰئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ الاية قال ابن عباس ان الله وملئكته يباركون
على النبى وقيل ان الله يترحم على النبى صلى الله عليه وسلم وملئكته يدعون له قال
المبرد واصل الصلوة الترحم فهى من الله رحمة ومن الملئكة رقة واستدعاء للرحمة
من الله وقد ورد فى الحديث صفة صلوة الملئكة على من جلس ينتظر الصلوة اللهم
اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيرى الصلوة من الله تعالى لمن دون
النبى رحمة وللنبى صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العالية
صلوة الله ثناؤه عليه عند الملئكة وصلوة الملئكة الدعاء قال القاضى ابو الفضل
وقد فرق النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة
ولفظ البركة فدل انهما بمعنيين واما التسليم الذى امر الله تعالى به عباده فقال
القاضى ابو بكر بن بكير نزلت هذه الاية على النبى صلى الله عليه وسلم فامر الله اصحابه
ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على النبى صلى الله عليه وسلم

عند

عند حضورهم قبره وعند ذكره ومعنى السلام عليه ثلثة وجوه احدها السلامة
لك ومعك وتكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثانى اى السلام على حفظك
ورعايتك متول له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله الثالث ان السلام بمعنى
المسالمة له والانقياد كما قال تعالى فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ
بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا فصل اعلم ان
الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فرض غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلاة
وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر الطبرى ان
محمل الاية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب
منه الذى يسقط به الحرج وماثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدى
ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضى ابو الحسن
ابن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب فى الجملة على الانسان وفرض عليه
ان ياتى بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضى ابو بكر بن بكير افترض
الله على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم
فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضى ابو محمد بن نصر الصلوة على
النبى صلى الله عليه وسلم واجبة فى الجملة قال القاضى ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب
مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم
فرض بالجملة بعقد الايمان لا يتعين فى الصلوة وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره
سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشافعى الفرض منها الذى امر الله به ورسوله عليه
السلام هو فى الصلوة وقالوا واما فى غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما فى الصلوة

فحكى الامامان ابو جعفر الطبرى والطحاوى وغيرهما اجماع جميع المتقدمين و
المتاخرين من علماء الامة على ان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى التشهد غير
واجبة وشذ الشافعى فى ذلك فقال من لم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم من
بعد التشهد الاخر وقبل السلام فصلاته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم يجزه
ولا سلف له فى هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ فى انكار هذه المسئلة عليه
لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبرى والقشيرى
وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر يستحب ان لا يصلى احد صلاة الا صلى فيها على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك تارك فصلاته مجزئة فى مذهب مالك
واهل المدينة وسفيان الثورى واهل الكوفة من اصحاب الرأى وغيرهم وهو قول جمل
اهل العلم وحكى عن مالك وسفيان انها فى التشهد الاخير مستحبة وان تاركها فى
التشهد مسىء وشذ الشافعى فاوجب على تاركها فى الصلوة الاعادة واوجب اسحق
الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى ابو محمد ابن ابى زيد عن محمد بن المواز ان
الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم فريضة قال ابو محمد يريد ليست من فرايض الصلوة
وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابو يعلى العبدى المالكى عن المذاهب فيها
ثلثة اقوال فى الصلوة الوجوب والسنة والندب وحكى ابن القصار وعبد الوهاب
ان محمد بن المواز يراها فريضة فى الصلوة كقول الشافعى وقد خالف الخطابى من اصحاب
الشافعى وغيره الشافعى فى هذه المسئلة قال الخطابى وليست بواجبة فى الصلوة
وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعى ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست
من فروض الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعى واجماعهم عليه وقد شنع

الناس عليه فى هذه المسئلة جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذى اختاره الشافعى وهو
الذى علمه له النبى صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم
وكذلك كل من روى التشهد عن النبى صلى الله عليه وسلم كابى هريرة وابن عباس و
جابر وابن عمر وابى سعيد الخدرى وابى موسى الاشعرى وعبد الله بن الزبير لم يذكروا
فيه صلوة على النبى صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر كان النبى صلى الله
عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القران ونحوه عن ابى سعيد وقال ابن
عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما يعلمون الصبيان فى الكتاب وعلمه ايضا
على المنبر عمر بن الخطاب وفى الحديث لا صلوة لمن لم يصل على قال ابن القصار
معناه كاملة او لمن لم يصل على مرة فى عمره وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا
الحديث وفى حديث ابى جعفر عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم من صلى
صلاة لم يصل فيها على وعلى اهل بيتى لم تقبل منه قال الدارقطنى الصواب انه قول
ابى جعفر محمد بن على بن الحسين لو صليت صلوة لم اصل فيها على النبى صلى الله عليه
وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا يتم فصل فى المواطن التى يستحب فيها الصلوة
والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك فى تشهد الصلوة كما
قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضى ابو على رحمه الله بقراءتى
عليه قال نا الامام ابو القاسم البلخى قال نا الفارسى عن ابى القاسم الخزاعى عن الهيثم
ابن كليب عن ابى عيسى الحافظ قال نا محمود بن غيلان نا عبد الله بن يزيد المقرئ
نا حيوة بن شريح حدثنى ابو هانئ الخولانى ان عمرو بن مالك الجنبى اخبره انه سمع فضالة
ابن عبيد يقول سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلوته فلم يصل على النبى

صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له
ولغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله
عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء ويروى من غير هذا السند بتحميد الله وهو اصح
وعن عمر بن الخطاب قال الدعاء والصلاة معلق بين السماء والارض ولا يصعد
الى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي عن النبي صلى الله
عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد وروى ان الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على
النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود اذا اراد احدكم ان يسئل الله شيئا فليبدأ
بمدحه والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليسئل

يسئل به

فانه اجدر ان ينجح وعن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح
الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شربه
او الوضوء توضأ والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه وآخره وقال
ابن عطاء للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه قوي وان وافق
اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور
القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الاسباب واجنحته
الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلوة على محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديث
الدعاء بين الصلوتين لا يرد وفي حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت
الصلوة على صعد الدعاء وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في آخره
واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فتقول اللهم اني اسئلك
ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت على احد من خلقك

اجمعين

اجمعين آمين ومن مواطن الصلوة عليه عند ذكره وسماع اسمه او كتابه او عند الاذان
وقد قال عليه السلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلوة عليه عند التعجب
وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب قال اصبغ عن ابن
القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما بعد ذكر الله
محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم تكن تسمية له مع الله
وقاله اشهب قال لا ينبغي ان يجعل الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا
وروى النسائي عن اوس بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلوة
عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلوة والسلام دخول المسجد قال ابو اسحق ابن شعبان
وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه
وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك وقال
عمرو بن دينار في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت
احد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد
وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام على رسول الله واذا لم يكن في البيت احد
فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة اذا دخلت المسجد اقول السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملئكته على محمد ونحوه عن كعب اذا
دخل المسجد واذا خرج ولم يذكر الصلوة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل
المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث
اخر القسم والاختلاف في الفاظه ومن مواطن الصلوة عليه ايضا الصلوة على
الجنايز وذكر عن ابي امامة انها من السنة ومن مواطن الصلوة التي مضى عليها عمل
الامة ولم تنكرها الصلوة على النبي واله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن
هذا في الصدر الاول واحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار
الارض ومنهم من يختم به ايضا الكتب وقال عليه السلام من صلى علي في كتاب
لم تزل الملئكة يستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام
على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلوة حدثنا ابو القاسم خلف بن ابرهيم
المقرئ الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثتني كريمة بنت احمد قالت حدثنا ابو
الهيثم نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا ابو نعيم نا الاعمش عن سقيق بن سلمة عن
عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل
التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء
والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد وقد روى مالك
عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك
في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن عايشة
وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي

قالوا

الانسان حين سلامه كل عبد صالح في السماء والارض من الملئكة وبني ادم والجن قال
مالك في المجموعة واحب للماموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم فصل في كيفية الصلوة
عليه والتسليم حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه بقرائتي عليه نا القاضي ابو
الاصبغ نا ابو عبد الله محمد بن عتاب نا ابو بكر بن واقد وغيره نا ابو عيسى نا عبيد الله نا يحيى
نا مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد
الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد
وازواجه وذريته كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على
ال ابرهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك عن ابي مسعود الانصاري قال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى اله كما صليت على ال ابرهيم وبارك على محمد كما باركت على ال ابرهيم في
العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل
على محمد وال محمد كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وال محمد كما باركت على ابرهيم
انك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى
ال محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر
معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي
بقرائتي عليه قالا حدثنا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه قال نا ابو بكر المطوعي قال نا ابو
عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن
عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه الحسين
عن ابيه علي بن ابي طالب قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن

فى يدى جبريل وقال هكذا نزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما
صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما
باركت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى ال محمد كما
ترحمت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى ال محمد كما
تحننت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى ال محمد كما
سلمت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه
وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على
محمد النبى وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابرهيم انك
حميد مجيد وفى رواية زيد بن خارجة الانصارى سالت النبى صلى الله عليه وسلم
كيف نصلى عليك قال صلوا واجتهدوا فى الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى ال
محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وعن سلامة الكندى كان على يعلمنا الصلاة
على النبى صلى الله عليه وسلم اللهم داحى المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرايف
صلواتك ونوامى بركاتك ورافة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق
والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك
بطاعتك مستوفزا فى مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ
امرك حتى اورى قبسا لقابس الاء الله تصل باهله اسبابه به هديت القلوب بعد
خوضات الفتن والاثم موضحات الاعلام ونايرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو
امينك المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك
بالحق رحمة اللهم افسح له فى عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنأت له غير

مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطايك المعلول اللهم اعل على بناء الناس بناءه
واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضى
المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم وعنه ايضا فى الصلوة على النبى
صلى الله عليه وسلم ان الله وملئكته يصلون على النبى الاية لبيك اللهم وسعديك
صلوات الله البر الرحيم والملئكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء و
الصالحين وما سبح لك من شىء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين و
سيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعى اليك
باذنك السراج المنير وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك
وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك
ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون
والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد وبارك
على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وال ابرهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصرى
يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى
اله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه
وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاوس عن ابن عباس انه كان يقول
اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا واته سؤله فى الاخرة والاولى كما
اتيت ابرهيم وموسى وعن وهيب بن الورد انه كان يقول فى دعائه اللهم اعط محمدا
افضل ما سالك لنفسه واعط محمدا افضل ما سالك له احد من خلقك واعط محمدا
افضل ما انت مسؤول له الى يوم القيمة وعن ابن مسعود انه كان يقول اذا صليتم على النبى

عليه السلام فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم
اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين
محمد عبدك ورسولك امام الخير وقايد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا
يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ال ابرهيم
انك حميد مجيد وما يؤثر فى تطويل الصلاة وتكثير الثناء عن اهل البيت وغيرهم
كثير وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما علمتم فى التشهد من قوله السلام عليك ايها
النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفى تشهد على السلام
على نبى الله السلام على انبياء الله ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد
ابن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد اللهم
اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لى ولوالدى وما ولد و
ارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبى ورحمة الله
وبركاته جاء فى هذا الحديث عن على الدعاء للنبى بالغفران وفى حديث الصلاة ايضا
قبل الدعاء له بالرحمة ولم يات فى غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة وقد ذهب ابو
عمر بن عبد البر وغيره الى انه لا يدعى للنبى بالرحمة وانما يدعى له بالصلاة والبركة التى
تختص به ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة وقد ذكر ابو محمد بن ابى زيد فى الصلاة على النبى
اللهم ارحم محمدا وال محمد كما ترحمت على ابرهيم وال ابرهيم ولم يات هذا فى حديث
صحيح وحجته قوله فى السلام السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته فصل
فى فضيلة الصلاة على النبى والتسليم عليه والدعاء له حدثنا احمد بن محمد الشيخ
الصالح من كتابه نا القاضى يونس بن مغيث نا ابو بكر بن معاوية حدثنا النسائى انا سويد بن

علمتم به

نصر

نصر انا عبد الله عن حيوة بن شريح قال اخبرنى كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير
مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا على فانه من صلى على مرة صلى الله عليه
عشرا ثم سلوا لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وارجوا
ان اكون انا هو فمن سال لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروى انس بن مالك ان
النبى صلى الله عليه وسلم قال من صلى على صلوة صلى الله عليه عشر صلوات
وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفى رواية وكتب له عشر
حسنات وعن انس عنه عليه السلام ان جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلوة
صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه
عليه السلام لقيت جبريل فقال انى ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت
عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية ابى هريرة ومالك بن اوس بن
الحدثان وعبيد الله بن ابى طلحة وعن زيد بن الحباب قال سمعت النبى صلى الله عليه
وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة
وجبت له شفاعتى وعن ابن مسعود اولى الناس بى يوم القيمة اكثرهم على صلوة وعن ابى
هريرة عنه عليه السلام من صلى على فى كتاب لم تزل الملئكة تستغفر له ما بقى اسمى
فى ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من صلى
على صلوة صلت عليه الملئكة ما صلى على فليقلل من ذلك عبد او ليكثر وعن ابى
ابن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها
الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه وقال ابى بن كعب

عمر به

فقال لى ابشر ان الله به

يارسول الله انى اكثر الصّلوة عليك فكم اجعل لك من صلاتى قال ماشئت قال الرّبع
قال ماشئت وان زدت فهو خير قال النّصف قال ماشئت وان زدت فهو خير قال
الثّلثين قال ماشئت وان زدت فهو خير قال يارسول الله فاجعل صلاتى كلّها لك
قال اذا تكفى ويغفر ذنبك وعن ابى طلحة دخلت على النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم فرايت
من بشره وطلاقته مالم اره قطّ فسالته فقال ومايمنعنى وقد خرج جبريل انفا فاتانى
ببشارة من ربّى انّ الله تعالى بعثنى اليك ابشّرك انه ليس احد من امّتك يصلّى عليك
الّا صلّى الله عليه وملئكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله قال قال النّبىّ صلّى الله عليه
وسلّم من قال حين يسمع النّداء اللّهمّ ربّ هذه الدّعوة التّامّة والصّلوة القائمة
ات محمّدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الّذى وعدته حلّت له الشّفاعة
يوم القيمة وعن سعد بن ابى وقّاص من قال حين يسمع المؤذّن وانا اشهد ان لا اله الّا
الله وحده لا شريك له وانّ محمّدا عبده ورسوله رضيت بالله ربّا وبمحمّد رسولا
وبالاسلام دينا غفر له وروى ابن وهب انّ النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال من سلّم علىّ
عشرا فكانّما اعتق رقبة وفى بعض الاثار ليردنّ علىّ اقوام ما اعرفهم الّا بكثرة صلاتهم
علىّ وفى اخر انّ انجيكم يوم القيمة من اهوالها ومواطنها اكثركم علىّ صلاة وعن ابى بكر
الصّدّيق الصّلاة على النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم امحق للذّنوب من الماء البارد للنّار والسّلام
عليه افضل من عتق الرّقاب فصل فى ذمّ من لم يصلّ على النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم واثمه
حدّثنا القاضى الشّهيد ابو علىّ رحمه الله حدّثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين
الصّيرفىّ قالا نا ابو يعلى نا السّنجىّ نا محمّد بن محبوب نا ابو عيسى نا احمد بن ابرهيم الدّورقى
نا ربعى بن ابرهيم عن عبد الرّحمن بن اسحق عن سعيد بن ابى سعيد عن ابى هريرة قال قال

صلى به

رسول

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصلّ علىّ ورغم انف
رجل دخل رمضان ثمّ انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر
فلم يدخلاه الجنّة قال عبد الرّحمن واظنّه قال او احدهما وفى حديث اخر انّ النّبىّ صلّى
الله عليه وسلّم صعد المنبر فقال امين ثمّ صعد فقال امين ثمّ صعد فقال امين
فساله معاذ عن ذلك فقال انّ جبريل صلّى الله عليه وسلّم اتانى فقال يا محمّد من سمّيت
بين يديه فلم يصلّ عليك فمات فدخل النّار فابعده الله قل امين فقلت امين وقال فيمن
ادرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرّهما
فمات مثله وعن علىّ بن ابى طالب عنه عليه السّلام انّه قال البخيل الّذى ذكرت عنده
فلم يصلّ علىّ اخطئ به طريق الجنّة وعن علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه انّ رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم قال انّ البخيل كلّ البخيل من ذكرت عنده فلم يصلّ علىّ وعن ابى هريرة
قال ابو القاسم صلّى الله عليه وسلّم ايّما قوم جلسوا مجلسا ثمّ تفرّقوا قبل ان يذكروا الله و
يصلّوا على النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذّبهم وان شاء
غفر لهم وعن ابى هريرة من نسى الصّلوة علىّ نسى طريق الجنّة وعن قتادة عنه عليه السّلام
من الجفاء ان اذكر عند الرّجل فلا يصلّى علىّ وعن جابر عنه عليه السّلام ما جلس قوم مجلسا
ثمّ تفرّقوا على غير صلوة على النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم الّا تفرّقوا عن انتن من ريح الجيفة
وعن ابى سعيد عن النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلّون فيه على
النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم الّا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنّة لما يرون من الثّواب
وحكى ابو عيسى التّرمذىّ عن بعض اهل العلم قال اذا صلّى الرّجل على النّبىّ صلّى الله عليه
وسلّم مرّة فى المجلس اجزأ عنه ما كان فى ذلك المجلس فصل فى تخصيصه عليه السّلام

كل البخيل من به

بتبليغ صلوة من صلى عليه او سلم من الانام حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي نا الحسين
ابن محمد نا ابو عمر الحافظ نا ابن عبد المؤمن نا ابن داسة نا ابو داود نا ابن عوف نا المقرئ
نا حيوة عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه
السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن ابي مسعود ان لله ملئكة
سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر اكثروا من
السلام على نبيكم كل جمعة فانه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فان احدا لا يصلي
علي الا عرضت صلوته علي حين يفرغ منها وعن الحسن عنه عليه السلام حيث ما كنتم
فصلوا علي فان صلوتكم تبلغني وعن ابن عباس ليس احد من امة محمد يسلم عليه ويصلي
عليه الا بلغه وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه
اسمه وعن الحسن بن علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي فان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان
صلوتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة فان صلوتكم
معروضة علي وعن سليمن بن سحيم رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول
الله هؤلاء الذين ياتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن
شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من الصلوة علي في الليلة
الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبياء وما من
مسلم يصلي علي الا حملها ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا

وكذا فصل في الاختلاف في الصلوة على غير النبي وسائر الانبياء عليهم السلام قال
القاضي وفقه الله عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلوة على غير النبي صلى الله
عليه وسلم وروى عنه لا تنبغي الصلوة على احد الا النبيين وقال سفيان يكره ان
يصلى الا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى
على احد من الانبياء سوى محمد عليه السلام وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال
مالك في المبسوطة ليحيى بن اسحق اكره الصلوة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى
ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست اخذ بقوله ولا باس بالصلوة على الانبياء كلهم وعلى
غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم وفيه
وعلى ازواجه وعلى اله وقد وجدت معلقا عن ابي عمران الفاسي روى عن ابن عباس كراهة
الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه نقول ولم يكن يستعمل فيما مضى
وقد روى عبد الرزاق عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على
انبياء الله عز وجل ورسله فان الله بعثهم كما بعثني قالوا والاسانيد عن ابن عباس لينة
والصلوة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه
حديث صحيح او اجماع وقد قال تعالى هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلٰئِكَتُهُ الاية وقال خُذْ
مِنْ اَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ صلوات من ربهم ورحمة وقال
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على ال ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال
اللهم صل على ال فلان وفي حديث الصلوة اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته
وفي اخر وعلى ال محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل الاتباع والرهط والعشيرة وقيل ال بيته
وقيل ال الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية انس

سُئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي ويجيء على مذهب الحسن ان
المراد بآل محمد محمد نفسه فانه كان يقول في صلوته على النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل احمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض
ويأتي بالنفل لان الفرض الذي امر الله به هو الصلوة على محمد نفسه وهذا مثل قوله
عليه السلام لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير داود وفي حديث
ابي حميد الساعدي في الصلوة اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وفي حديث ابن
عمر انه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطأ
من رواية يحيى الاندلسي وروى ابن وهب عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب
فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل ويصومون
بالنهار قال القاضي والذي ذهب اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك و
سفيان رحمهما الله وروي عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين
انه لا يصلي على غير الانبياء عند ذكرهم بل هو شيء يختص به الانبياء توقيرا لهم و
تعزيرا كما يخص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره
كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلوة والتسليم
ولا يشارك فيه سواهم كما امر الله بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم
من الائمة وغيرهم بالغفران والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان وقال تعالى والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم وايضا فهو
امر لم يكن معروفا في الصدر الاول كما قال ابو عمران وانما احدثته الرافضة والمتشيعة
في بعض الائمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلوة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم

في ذلك وايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك
وذكر الصلوة على الآل والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والاضافة
اليه لا على التخصيص قالوا وصلوة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها
مجرى الدعاء والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال تعالى
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعاء
له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار الامام ابي المظفر الاسفرائني
من شيوخنا فصل في حكم زيارة قبره عليه السلام وفضيلة من زاره وسلم عليه
وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه السلام سنة من سنن المسلمين مجمع عليها و

يجمع

فضيلة مرغب فيها روي عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري
وجبت له شفاعتي وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني

حدثنا القاضي ابو علي قال نا ابو الفضل ابن خيرون نا الحسين بن جعفر نا ابو الحسن علي بن عمر الدارقطني نا القاضي المحاملي نا محمد بن عبد الرزاق نا موسى ابن هلال عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر فذكره صح

في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيمة وفي حديث آخر من
زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي وقد
اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله عليه السلام لعن الله زوارات
القبور وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وقوله من زار قبري فقد
اطلق اسم الزيارة وقيل لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور وهذا ايضا ليس بشيء
اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم
ولم يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك له لاضافته
الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وانه لو قال زرنا النبي لم يكره لقوله عليه السلام
اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم

مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا للذريعة وحسما
للباب والله اعلم قال اسحق بن ابرهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة
والقصد الى الصلوة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته
ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطى قدميه والعمود الذى كان يستند اليه
وينزل جبريل بالوحى فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار
بذلك كله وقال ابن ابى فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف
عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الاية إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى
ٱلنَّبِىِّ ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناديه ملك صلى الله
عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن ابى سعيد المهرى قدمت على عمر
ابن عبد العزيز فلما ودعته قال لى اليك حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبى
صلى الله عليه وسلم فاقرئه منى السلام قال غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام
قال بعضهم رايت انس بن مالك اتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه
حتى ظننت انه افتتح الصلوة فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم انصرف قال
مالك فى رواية ابن وهب اذا سلم على النبى صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه
الى القبر لا الى القبله ويدنوا ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال فى المبسوط لا ارى ان يقف
عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم يدعوا ولكن يسلم ويمضى قال ابن ابى مليكة من
احب ان يقوم وجاه النبى صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذى فى القبلة عند
القبر على راسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رايته مائة مرة واكثر يجئ الى القبر
فيقول السلام على النبى صلى الله عليه وسلم السلام على ابى بكر السلام على ابى ثم

وقف

ينصرف وربما وضع يده على مقعد النبى من المنبر ثم وضعها على وجهه وعن ابن
قسيط والقعنبى كان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم اذا خلا المسجد جسوا برمانة
المنبر التى تلى القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون وفى الموطا من رواية يحيى
ابن يحيى الليثى انه كان يقف على قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيصلى على النبى وعلى
ابى بكر وعمر قال مالك فى رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك ايها النبى ورحمة
الله وبركاته قال فى المبسوط ويسلم على ابى بكر وعمر قال القاضى ابو الوليد الباجى و
عندى انه يدعو للنبى بلفظ الصلوة ولابى بكر وعمر كما فى حديث ابن عمر من الخلاف
وقال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد الرسول بسم الله وسلام على رسول الله عليه السلام
السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح
لى ابواب رحمتك وجنتك واحفظنى من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة
وهى ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيها وتسئله
تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك فى غير الروضة اجزتاك وفى
الروضة افضل وقد قال عليه السلام ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة
ومنبرى على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلى عليه وتثنى
بما يحضرك وتسلم على ابى بكر وعمر وتدعو لهما واكثر من الصلوة فى مسجد النبى صلى
الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تاتى مسجد قباء وقبور الشهداء قال مالك
فى كتاب محمد ويسلم على النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج يعنى فى المدينة وفيما
بين ذلك قال محمد واذا خرج جعل اخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا
وروى ابن وهب عن فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم

قال اذا دخلت المسجد فصل على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وقل اللهمّ اغفر لي ذنوبي و
افتح لي ابواب رحمتك واذا خرجت فصل على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وقل اللهمّ اغفر
لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك وفي رواية اخرى فليسلّم مكان فليصلّ فيه ويقول اذا
خرج اللهمّ انّي اسئلك من فضلك وفي اخرى اللهمّ احفظني من الشيطان وعن محمّد
ابن سيرين كان النّاس يقولون اذا دخلوا المسجد على الله وملئكته على محمّد السّلام عليك
ايّها النّبيّ ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكّلنا
وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة ايضا كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم
اذا دخل المسجد قال صلّى الله على محمّد وسلّم ثمّ ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية
حمد الله وسمّى وصلّى الله عليه وسلّم وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسّلام على
رسول الله وعن غيرها كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اذا دخل المسجد قال اللهمّ
افتح لي ابواب رحمتك ويسّر لي رزقك وعن ابي هريرة اذا دخل احدكم المسجد فليصلّ
على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وليقل اللهمّ افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس
يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانّما ذلك للغرباء
وقال فيه ايضا لا بأس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف على قبر النّبيّ صلّى الله
عليه وسلّم فيصلّى عليه ويدعو اله ولابي بكر وعمر فقيل له فانّ ناسا من اهل المدينة
لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرّة او اكثر وربّما وقفوا في الجمعة
او في الايّام المرّة والمرّتين او اكثر عند القبر فيسلّمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا
عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الامّة الّا ما اصلح اوّلها
ولم يبلغني عن اوّل هذه الامّة وصدرها انّهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الّا لمن جاء من

سفرا او ارادة قال ابن القاسم ورايت اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر
فسلّموا وذلك رأيي قال الباجيّ ففرّق بين اهل المدينة والغرباء لانّ الغرباء قصدوا
لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اجل القبر والتّسليم وقال عليه
السّلام اللهمّ لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتدّ غضب الله على قوم اتّخذوا قبور انبيائهم
مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهنديّ فيمن وقف
بالقبر ولا يلصق به ولا يمسّه ولا يقف عنده طويلا وفي العتبيّة يبدأ بالرّكوع قبل
السّلام في مسجد النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم واحبّ مواضع التّنفّل فيه مصلّى النّبيّ
صلّى الله عليه وسلّم حيث العمود المخلّق وامّا في الفريضة فالتّقدّم الى الصّفوف
والتّنفّل فيه للغرباء احبّ اليّ من التّنفّل في البيوت فصل فيما يلزم من دخل مسجد النّبيّ
صلّى الله عليه وسلّم من الادب سوى ما قدّمناه وفضله وفضل الصّلوة فيه وفي
مسجد مكّة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكّة قال الله تعالى لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ
عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ روى انّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم سُئِلَ
ايّ مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول ابن المسيّب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك
ابن انس وغيرهم وعن ابن عبّاس انّه مسجد قباء حدّثنا هشام بن احمد الفقيه بقرائتي
عليه قال نا الحسين بن محمّد الحافظ نا ابو عمر النّمريّ نا ابو محمّد بن عبد المؤمن نا ابو بكر بن
داسة نا ابو داود نا مسدّد نا سفيان عن الزّهريّ عن سعيد بن المسيّب عن ابي هريرة
عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال لا تُشَدُّ الرّحال الّا الى ثلثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي
هذا والمسجد الاقصى وقد تقدّمت الآثار في الصّلوة والسّلام على النّبيّ صلّى الله عليه
وسلّم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص انّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم

كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من
الشيطان الرجيم وقال مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في
المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت فقال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين
ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد
برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان ينزه عما يكره قال القاضي حكى ذلك كله القاضي
اسمعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء متفقون
ان حكم سائر المساجد هذا الحكم قال القاضي اسمعيل وقال محمد يعني ابن مسلمة ويكره في
مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلوتهم وليس
مما يخص به المساجد رفع الصوت قد كره رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات
الا المسجد الحرام ومسجدنا وقال ابو هريرة عنه عليه السلام صلاة في مسجدي هذا
خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضي اختلف الناس في معنى هذا
الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك في رواية اشهب
عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلوة في مسجد
الرسول افضل من الصلوة في سائر المساجد بالف صلوة الا المسجد الحرام فان الصلوة في
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الصلوة فيه بدون الالف واحتجوا بما روى
عن عمر بن الخطاب صلوة في مسجد الحرام خير من مائة صلوة فيما سواه فتاتي فضيلة
مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم عليه بتسعمائة وعلى غيره بالف وهذا مبني على
تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب ومالك واكثر المدنيين
وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب

من اصحاب مالك وحكاه الساجي عن الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم
على ظاهره وان الصلوة في المسجد الحرام افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن
النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة وفيه وصلوة في المسجد الحرام افضل
من الصلوة في مسجدي هذا بمائة صلوة وروى قتادة مثله فياتي فضل الصلوة في المسجد
الحرام على هذا على الصلوة في سائر المساجد بمائة الف ولا خلاف ان موضع قبره
افضل بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم
مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي الى ان هذا
التفضيل انما هو في صلوة الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك في النافلة
ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في
تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري
روضة من رياض الجنة ومثله عن ابي هريرة وابي سعيد وزادا ومنبري على حوضي
وفي حديث اخر منبري على ترعة من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان احدهما ان
المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه روى ما بينه بين حجرتي ومنبري
والثاني ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم في هذا الحديث كما روى بين قبري
ومنبري قال الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها
خلاف لان قبره في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري على حوضي قيل يحتمل انه منبره بعينه
الذي كان في الدنيا وهو اظهر والثاني ان يكون له هناك منبر والثالث ان قصد منبره
والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله
الباجي وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما موجب لذلك وان

يتعدى
عليه السلام
منهم

الدّعاء والصّلوة فيه يستحقّ ذلك من الثّواب كما قيل الجنّة تحت ظلال السّيوف و
الثّانى انّ تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون فى الجنّة بعينها قاله الدّاودىّ وروى ابن
عمر وجماعة من الصّحابة انّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال فى المدينة لا يصبر على لأوائها و
شدّتها احد الّا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة وقال فيمن تحمّل عن المدينة والمدينة
خير لهم لو كانوا يعلمون وقال انّما المدينة كالكير تنفى خبثها وينصع طيبها وقال لا يخرج احد
من المدينة رغبة عنها الّا ابدلها الله خيرا منه وروى عنه عليه السّلام من مات
فى احد الحرمين حاجّا او معتمرا بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب وفى طريق
آخر بُعِثَ من الآمنين يوم القيمة وعن ابن عمر من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها
فانّى اشفع لمن يموت بها وقال تعالى اِنَّ اَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبارَكًا الى
قوله اٰمِنًا قال بعض المفسّرين امنا من النّار وقيل كان يامن من الطّلب من احدث حدثا
ولجاء اليه فى الجاهليّة وهذا مثل قوله وَاِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثابَةً لِلنّاسِ وَاَمْنًا على قول
بعضهم وحكى انّ قوما اتوا سعدون الخولانىّ بالمنستير فاعلموه انّ كُتامة قتلوا رجلا واضرموا
عليه النّار طول اللّيل فلم تعمل فيه وبقى ابيض البدن فقال لعلّه حجّ ثلاث حجج قالوا نعم
قال حدّثت انّ من حجّ حجّة ادّى فرضه ومن حجّ ثانية داين ربّه ومن حجّ ثلاث حجج حرّم الله
شعره وبشره على النّار ولمّا نظر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الى الكعبة قال مرحبا
بك من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك وفى الحديث عنه عليه السّلام ما من احد
يدعو الله عند الرّكن الاسود الّا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه عليه
السّلام من صلّى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر وحشر يوم القيمة
من الآمنين قرأت على القاضى الحافظ ابى علىّ رحمه الله حدّثنا ابو العبّاس العذرىّ قال نا

من هو خير منه صح

قال القاضى عياض رحمه الله صح

ابو اسامة محمّد بن احمد بن محمّد الهروىّ نا الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسن محمّد
ابن الحسن بن راشد سمعت ابا بكر محمّد بن ادريس سمعت الحميدىّ قال سمعت سفيان
ابن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عبّاس يقول سمعت رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم يقول ما دعا احد بشىء فى هذا الملتزم الّا استجيب له قال
ابن عبّاس وانا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم الّا استجيب لى وقال عمرو بن دينار وانا فما دعوت الله بشىء
فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عبّاس الّا استجيب لى قال الحميدىّ وانا فما
دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الّا استجيب لى وقال
محمّد بن ادريس وانا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدى
الّا استجيب لى وقال ابو الحسن محمّد بن الحسن وانا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من محمّد بن ادريس الّا استجيب لى قال ابو اسامة وما اذكر الحسن
ابن رشيق قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من الحسن بن رشيق الّا استجيب لى من امر الدّنيا وانا ارجو ان يستجاب لى من امر
الآخرة قال العذرىّ وانا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابى
اسامة الّا استجيب لى قال ابو علىّ وانا فقد دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لى
بعضها وانا ارجو من سعة فضله ان يستجيب لى بقيّتها قال القاضى ابو الفضل ذكرنا
نُبَذًا من هذه النّكت فى هذا الفصل وان لم تكن من هذا الباب لتعلّقها بالفصل الّذى
قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفّق للصّواب برحمته القسم الثّالث فيما يجب
للنّبىّ صلّى الله عليه وسلّم وما يستحيل او يجوز عليه وما يمتنع او يصحّ من الاحوال البشريّة

ان يضاف اليه قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان
مات او قتل الاية وقال ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه
صديقة كانا ياكلان الطعام وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون
الطعام ويمشون في الاسواق وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الاية فمحمد صلى الله
عليه وسلم وسائر الانبياء من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم
والقبول ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لما كان الا في
صورة البشر الذي يمكنكم مخالطتهم اذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته
اذا كان على صورته وقال قل لو كان في الارض ملئكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم
من السماء ملكا رسولا اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او
من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء والرسل فالانبياء والرسل
وسايط بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم
بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسادهم
وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ عليها ما يطرا على البشر من الاعراض والاسقام
والموت والفناء ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى من اوصاف
البشر متعلقة بالملأ الاعلى متشبهة بصفات الملئكة سليمة من التغير والافات لا
يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية
كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملئكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه
غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملئكة وبخلاف صفات
البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا

التغيير صح

من جهة

من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح والبواطن مع الملئكة كما قال
عليه السلام لو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام
لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم
اني اظل يطعمني ربي ويسقين فبواطنهم منزهة عن الافات مطهرة من النقايص والاعتلالات
وهذه جملة لن تكتفي بمضمونها كل همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ما ياتي به
بعد هذا في البابين بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل الباب الاول فيما يختص بالامور
الدينية والكلام في عصمة نبينا وسائر الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه اعلم ان الطوارئ من التغيرات والافات على احاد البشر لا تخلو
ان تطرأ على جسمه او على حواسه بغير قصد واختيار كالامراض والاسقام او تطرأ
بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله الى
ثلثة انواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم
الافات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه
وسلم وان كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين
القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الافات التي تقع على
الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه ان شاء الله فيما ياتي به من التفاصيل فصل
في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته اعلم منحنا الله واياك توفيقه
ان ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والايمان به وبما اوحي اليه فعلى
غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك او الشك او
الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع اجماع المسلمين

التغييرات صح

التغييرات صح

عليه ولا يصحّ بالبراهين الواضحة ان يكون في عقود الانبياء سواه ولا يعترض على هذا
بقول ابرهيم عليه السّلام قال بلى ولكن ليطمئنّ قلبى اذ لم يشكّ ابرهيم فى اخبار الله
تعالى باحياء الموتى ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الاحياء
فحصل له العلم الاوّل بوقوعه واراد العلم الثّانى بكيفيّته ومشاهدته الوجه الثّانى انّ
ابرهيم عليه السّلام انّما اراد اختبار منزلته عند ربّه وعلم اجابته دعوته بسؤال ذلك
من ربّه ويكون قوله اولم تؤمن اى لم تصدّق بمنزلتك منّى وخلّتك واصطفائك
الوجه الثّالث انّه سال زيادة يقين وقوّة طمانينة وان لم يكن فى الاوّل شكّ اذ العلوم
الضّروريّة والنّظريّة قد تتفاضل فى قوّتها وطريان الشّكوك على الضّروريات ممتنع و
مجوّز فى النّظريات فاراد الانتقال من النّظر او الخبر الى المشاهدة والترقّى من علم
اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سال كشف غطاء
العيان ليزداد بنور اليقين تمكّنا فى حاله الوجه الرّابع انّه لمّا احتجّ على المشركين بانّ ربّه
يحيى ويميت طلب ذلك من ربّه ليصحّ احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم
هو سؤال على طريق الادب المراد اقدرنى على احياء الموتى وقوله ليطمئنّ قلبى عن هذه
الامنيّة الوجه السّادس انّه ارى من نفسه الشّكّ وما شكّ لكن ليجاوب فيزداد قربة
وقول نبيّنا عليه السّلام نحن احقّ بالشّكّ من ابرهيم نفى لان يكون ابرهيم شكّ وابعاد
للخواطر الضّعيفة ان تظنّ هذا بابرهيم اى نحن موقنون بالبعث واحياء الله الموتى فلو
شكّ ابرهيم لكنّا اولى بالشّكّ منه امّا على طريق الادب او ان يريد امّته الّذين يجوز
عليهم الشّكّ او على طريق التّواضع والاشفاق ان حملت قصّة ابرهيم على اختبار حاله
او زيادة يقينه فان قلت فما معنى قوله فَإِنْ كُنْتَ فِى شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ

يَقْرَؤُنَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ الآيتين فاحذر ثبّت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره
بعض المفسّرين عن ابن عبّاس او غيره من اثبات شكّ للنّبىّ صلّى الله عليه وسلّم فيما
اوحى اليه وانّه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عبّاس لم يشكّ
النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم ولم يسئل ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة انّ
النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال ما اشكّ ولا اسئل وعامّة المفسّرين على هذا و
اختلفوا فى معنى الآية فقيل المراد قل يا محمّد للشّاكّ ان كنت فى شكّ الآية قالوا وفى السّورة
نفسها ما دلّ على هذا التّاويل قوله قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِى شَكٍّ مِنْ دِينِى الآية وقيل
المراد بالخطاب العرب وغير النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم كما قال لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ
عَمَلُكَ الآية الخطاب له والمراد غيره ومثله فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ ونظيره
كثير قال بكر بن العلاء الا تراه يقول وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وهو عليه السّلام
كان المكذَّب فيما يدعو اليه فكيف يكون ممّن كذّب به فهذا كلّه يدلّ على انّ المراد
بالخطاب غيره ومثل هذه الآية قول الرّحمن فَسْئَلْ بِهِ خَبِيرًا المامور ههنا غير النّبىّ
صلّى الله عليه وسلّم ليسئل النّبىّ والنّبىّ صلّى الله عليه وسلّم هو الخبير المسؤل
لا المستخبر السّائل وقال انّ هذا الشّكّ الّذى امر غير النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم بسؤال
الّذين يقرؤن الكتاب انّما هو فيما قصّه من اخبار الامم لا فيما دعى اليه من التّوحيد
والشّريعة ومثل هذا قوله تعالى وَاسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا الآية المراد به
المشركون والخطاب مواجهة للنّبىّ صلّى الله عليه وسلّم قاله القتبىّ وقيل معناه سلنا
عن من ارسلنا من قبلك من رسلنا فحذف الخافض وتمّ الكلام ثمّ ابتدأ أَجَعَلْنَا مِنْ
دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ على طريق الانكار اى ما جعلنا حكاه مكّىّ وقيل امر

قلبى و
٦ الله
القتيبى
العتبى

النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ان يسئل الانبياء ليلة الاسراء عن ذلك فكان اشدّ
يقينا من ان يحتاج الى السؤال فروى انّه قال لا اسئل قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل
امم من ارسلنا هل جاؤهم بغير التّوحيد وهو معنى قول مجاهد والسّدّيّ والضّحّاك
وقتادة والمراد بهذا والّذى قبله اعلامه بما بعثت به الرّسل وانّه تعالى لم يأذن في
عبادة غيره لاحد ردّا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم انّما نعبدهم ليقرّبونا الى
الله زلفى وكذلك قوله تعالى وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ اى في علمهم بانّك رسول الله وان لم يقرّوا بذلك وليس المراد
به شكّه فيما ذكر في اوّل الآية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدّم اى قل لمن امترى يا محمّد
في ذلك لا تكوننّ من الممترين بدليل قوله اوّل الآية أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا الآية وانّ
النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يخاطب بذلك غيره قيل هو تقرير كقوله ءَأَنْتَ قُلْتَ
لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وقد علم انّه لم يقل وقيل معناه ما كنت في
شكّ فسئل تزدد طمانينة وعلما الى علمك ويقينك وقيل ان كنت تشكّ فيما شرّفناك
وفضّلناك به فسئلهم عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك وحكى عن ابي عبيدة
انّ المراد ان كنت في شكّ من غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ
الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا على قراءة التّخفيف قلنا المعنى في ذلك ما قالته عايشة
معاذ الله ان تظنّ ذلك الرّسل بربّها وانّما معنى ذلك انّ الرّسل لمّا استيأسوا وظنّوا
انّ من وعدهم النّصر من اتباعهم كذّبوهم وعلى هذا اكثر المفسّرين وقيل انّ الضّمير في ظنّوا
عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرّسل وهو قول ابن عبّاس والنّخعيّ وابن جبير
وجماعة من العلماء وبهذا المعنى قرأ مجاهد كذّبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذّ التّفسير

فسئل له

بسواه

بسواه ممّا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء وكذلك ما ورد في حديث السّيرة و
مبتدأ الوحي من قوله لخديجة لقد خشيت على نفسى ليس معناه الشّكّ فيما اتاه الله بعد
رؤية الملك ولكن لعلّه خشي ان لا تطيق قوّته مقاومة الملك واعباء الوحي لينخلع
قلبه او تزهق نفسه هذا ما ورد في الصّحيح انّه قاله بعد لقائه الملك او يكون ذلك قبل
لقائه الملك واعلام الله تعالى له بالنّبوّة لاوّل ما عرضت عليه من العجايب وسلّم
عليه الحجر والشّجر وبدأته المنامات والتّباشير كما روى في بعض طرق هذا الحديث انّ
ذلك كان اوّلا في المنام ثمّ ارى في اليقظة مثل ذلك تانيسا له عليه السّلام لئلّا يفجأه
الامر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاوّل حالة بنية البشريّة وفي الصّحيح عن عايشة اوّل
ما بدئ به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الوحي الرّؤيا الصّادقة قالت ثمّ حبّب اليه
الخلاء وقالت الى ان جاءه الحقّ وهو في غار حراء الحديث وعن ابن عبّاس مكث النّبيّ صلّى
الله عليه وسلّم بمكّة خمس عشرة سنة يسمع الصّوت ويرى الضّوء سبع سنين
ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحق عن بعضهم انّ النّبيّ صلّى الله
عليه وسلّم قال وذكر جوارم بغار حراء قال فجاءني وانا نائم فقال اقرأ فقلت ما اقرأ وذكر
نحو حديث عايشة في غطّه له واقرأه اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ السّورة قال فانصرف عنّي وهببت
من نومي كانّما صوّرت في قلبي ولم اكن ابغض الىّ من شاعر او مجنون قلت لا تحدّث عنّي قريش
بهذا ابدا لاعمدنّ الى حالق من الجبل فلاطرحنّ نفسى منه فلاقتلها فبينا انا عامد لذلك
اذ سمعت مناديا ينادى في السّماء يا محمّد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت راسى
فاذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث فقد بيّن في هذا انّ قوله لما قال وقصده
ما قصد انّما كان قبل لقاء جبريل عليهما السّلام وقبل اعلام الله له بالنّبوّة واظهار

يتحدث
تحدث

اصطفائه له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل انه عليه السلام قال لخديجة
انى اذا خلوت وحدى سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون هذا الامر ومن رواية
حماد بن سلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لخديجة انى لاسمع صوتا وارى ضوءا واخشى
ان يكون بى جنون وعلى هذا يتاول لو صح قوله فى بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر
او مجنون والفاظا يفهم منها معانى الشك فى تصحيح مارواه وانه كان كله فى ابتداء امره
وقبل لقاء الملك له واعلام الله انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا تصح طرقها
واما بعد اعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك
فيما القى اليه وقد روى ابن اسحق عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يرقى بمكة من العين قبل ان ينزل عليه القرآن فلما نزل عليه القران اصابه نحو ما كان
يصيبه فقالت له خديجة اوجه اليك من يرقيك قال اما الان فلا وحديث خديجة
واختبارها امر جبريل بكشف راسها الحديث انما ذلك فى حق خديجة لتتحقق صحة نبوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذى ياتيه ملك ويزول الشك عنها لا انها فعلت
ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم وليختبر هو حاله بذلك بل قد ورد فى حديث عبد الله
ابن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عائشة ان ورقة امر خديجة ان تخبر
الامر بذلك وفى حديث اسمعيل ابن ابى حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرنى بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما جاء جبريل اخبرها فقالت
له اجلس الى شقى وذكر الحديث الى اخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك
يا ابن عم فاثبت وابشر وامنت به فهذا يدل انها مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة
لايمانها لا للنبى صلى الله عليه وسلم وقول معمر فى فترة الوحى فحزن النبى صلى الله عليه وسلم

تختبر به

٦ على به

فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كى يتردى من رؤس شواهق الجبال لا يقدح فى هذا الاصل
لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا ان النبى صلى
الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة النبى صلى الله عليه وسلم مع انه
قد يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه او انه فعل ذلك لما اخرجه من تكذيب من بلغه
كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ويصحح
معنى هذا التاويل حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله
ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور فى شان النبى صلى الله عليه وسلم واتفق
رايهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل فى ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبريل
فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر او خاف ان الفترة لامر او سبب منه فخشى ان يكون
عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهى عن ذلك فيعترض به ونحو
هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب وقول
الله فى يونس فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه قال مكى طمع فى رحمة الله
وان لا يضيق عليه مسلكه فى خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضى عليه
العقوبة وقيل نقدر عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد وقيل نواخذه
بغضبه وذهابه وقال ابن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق
ان يظن بنبى ان يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح
مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله
معاداة له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء وقيل مستحييا من قومه
ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد فى الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به

من التوجّه الى ما امره الله به على لسان نبيّ اخر فقال له يونس غيري اقوى عليه منّى فعزم
عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روى عن ابن عبّاس انّ ارسال يونس ونبوّته انّما كان
بعد ان نبذه الحوت واستدلّ من الاية فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَاَنْبَتْنَا عَلَيْهِ
شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ وَاَرْسَلْنَاهُ ويستدلّ عليه ايضا بقوله وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ
وذكر القصّة ثمّ قال فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ فتكون هذه القصّة اذا قبل نبوّته
فان قيل فما معنى قوله عليه السلام انّه ليغان على قلبي فاستغفر الله كلّ يوم مائة مرّة
وفي طريق في اليوم اكثر من سبعين مرّة فاحذر ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين وسوسة
او ريبا وقع في قلبه عليه السلام بل اصل الغين في هذا ما يتغشّى القلب ويغطّيه
قاله ابو عبيد واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره والغين شئ يغشّى
القلب ولا يغطّيه كلّ التغطية كالغيم الرّقيق الّذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشّمس
وكذلك لا يفهم من الحديث انّه يغان على قلبه مائة مرّة او اكثر من سبعين في اليوم
اذ ليس يقتضيه لفظه الّذي ذكرناه وهو اكثر الرّوايات وانّما هذا عدد للاستغفار لا
للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة
الذّكر ومشاهدة الحقّ بما كان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم دفع اليه من مقاسات البشر
وسياسة الامّة ومعاناة الاهل ومقاومة الوليّ والعدوّ ومصلحة النّفس وكلّفه من
اعباء اداء الرّسالة وحمل الامانة وهو في كلّ هذا في طاعة ربّه وعبادة خالقه ولكن لمّا
كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمّهم به
معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلوّ همّه وتفرّده بربّه واقباله بكلّيته عليه
ومقامه هناك ارفع حاليه راى عليه السّلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضّا من

على حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا اولى وجوه هذا
الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه مال كثير من النّاس وحام حوله فقارب ولم
يرد وقد قرّبنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبنيّ على جواز الفترات
والغفلات والسّهو في غير طريق البلاغ على ما سياتى وذهبت طائفة من ارباب
القلوب ومشيخة المتصوّفة ممّن قال بتنزيه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن هذا جملة
واجلّه ان يجوز عليه في حال سهوا وفترة الى انّ معنى الحديث ما يهمّ خاطره ويغمّ فكره
من امر امّته عليه السّلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد
يكون الغين هنا على قلبه السّكينة الّتي تتغشّاه لقوله تعالى فَاَنْزَلَ اللّٰهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ
ويكون استغفاره عليه السّلام عندها اظهارا للعبوديّة والافتقار وقال ابن عطاء
استغفاره وفعله هذا تعريف للامّة يحملهم على الاستغفار قال غيره ويستشعرون
الحذر ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل ان يكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام
تغشّى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديّته كما قال في ملازمة
العبادة افلا اكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روى في بعض طرق
هذه الحديث عنه عليه السّلام انّه ليغان على قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرّة
فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمّد عليه السّلام وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ لَجَمَعَهُمْ
عَلَى الْهُدٰى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ وقوله لنوح عليه السّلام فَلَا تَسْئَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ
بِهِ عِلْمٌ اِنِّي اَعِظُكَ اَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ فاعلم انّه لا يلتفت في ذلك الى قول من قال
في اية نبيّنا عليه السّلام لا تكوننّ ممّن يجهل انّ الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفي اية
نوح لا تكوننّ ممّن يجهل انّ وعد الله حقّ لقوله وانّ وعدك الحقّ اذ فيه اثبات الجهل

مشيخة ه
ويستغفرون ه
تغشى ه

بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم الا يتشبهوا في
امورهم بسيمات الجاهلين كما قال اني اعظك وليس في اية منها دليل على كونهم على تلك
الصفة التي نهيهم عن الكون عليها فكيف واية نوح قبلها فلا تسئلن ما ليس لك به
علم فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد يجوز اباحة
السؤال فيه ابتداء فنهيه الله ان يسئله عما طوى عنه علمه واكنه من غيبه من السبب
الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ
إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ حكى معناه مكي كذلك أُمِرَ نَبِيُّنَا في الاية الاخرى بالتزام الصبر
على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر
ابن فورك وقيل معنى الخطاب لامة محمد اى فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكي
وقال مثله في القران كثير فبهذا الفصل وجب القول بعصمة الانبياء منه بعد النبوة
فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى اذا وعيد
الله لنبينا عليه السلام على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ
الاية وقوله وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ الاية وقوله إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ
الْحَيَاةِ الاية وقوله لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ وقوله وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ وقوله فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وقوله وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَاتِهِ
وقوله يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ فاعلم وفقنا الله واياك انه عليه
السلام لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان لا يخالف امر ربه وان لا يشرك ولا يتقول
على الله ما لا يجب او يفتري عليه او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن يسر امره
بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكانه ما بلغ

لكن الله

وطيب

وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ كما قال لموسى وهرون لَا تَخَافَا
إِنَّنِي مَعَكُمَا لتشتد بصايرهم في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو
المضعف للنفس واما قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف
الحيوة وضعف الممات فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو
لا يفعله وكذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك فالمراد غيره كما قال إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ
كَفَرُوا الاية وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد
غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق
الله ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والله ينهيه عما يشاء ويامره بما يشاء كما قال
وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ الاية وما كان طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين

فصل واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب انهم معصومون
قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار
والاثار عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد
والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب
الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبيء واصطفى
ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم
بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا بكل ما افترته
وعير كفار الامم انبيائها بكل ما امكنها واختلقته مما نص الله عليه او نقلته الينا
الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك
ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده

محجتين ولو كان توبيخهم له بنهيهم عمّا كان يعبد قبل افظع واقطع فى الحجّة من توبيخهم
بنهيهم عن تركهم الهتهم كان يعبد اباؤهم من قبل ففى اطباقهم على الاعراض عنه دليل
على انّهم لم يجدوا اسبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل
القبلة وقالوا ما وليهم عن قبلتهم التى كانوا عليها كما حكاه الله عنهم وقد استدلّ القاضى
القشيرىّ على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى وَاِذْ اَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ الاية
وبقوله وَاِذْ اَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ الى قوله لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قال فطهّره الله فى الميثاق
وبعيد ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثمّ ياخذ ميثاق النبيّين بالايمان به ونصره قبل
مولده بدهور ويجوز عليه الشّرك او غيره من الذّنوب هذا ما لا يجوّزه الّا ملحد هذا معنى
كلامه وكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل وشقّ قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال
هذا حظّ الشّيطان منك ثمّ غسله وملأه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار المبدأ
ولا يشتبّه عليك بقول ابرهيم فى الكوكب والقمر والشّمس هذا ربّى فانّه قد قيل كان هذا
فى سنّ الطّفوليّة وابتداء النّظر والاستدلال وقبل لزوم التّكليف وذهب معظم
الحذّاق من العلماء والمفسّرين الى انّه انّما قال ذلك مبكّتا لقومه ومستدلّا عليهم وقيل
معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد فهذا ربّى قال الزّجّاج قوله هذا ربّى اى
على قولكم كما قال اين شركائى اى عندكم ويدلّ على انّه لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك قطّ
بالله طرفة عين قول الله تعالى عزّ وجلّ عنه اِذْ قَالَ لِاَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ثمّ قال اَفَرَاَيْتُمْ
مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ اَنْتُمْ وَاٰبَاؤُكُمُ الْاَقْدَمُونَ فَاِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِى اِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ وقال اِذْ جَاءَ
رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ اى من الشّرك وقوله وَاجْنُبْنِى وَبَنِىَّ اَنْ نَعْبُدَ الْاَصْنَامَ فان قلت فما معنى
قوله لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَاَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ قيل انّه ان لم يؤيّدنى بمعونته اكن مثلكم

فى ضلالكم وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والّا فهو معصوم فى الازل من الضّلال
فان قلت فما معنى قوله وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ اَرْضِنَا اَوْ لَتَعُودُنَّ فِى
مِلَّتِنَا ثمّ قال بعد عن الرّسل قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا اِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُمْ بَعْدَ اِذْ نَجَّانَا اللّٰهُ
مِنْهَا فلا تشكل عليك لفظة العود وانّها تقتضى انّهم انّما يعودون الى ما كانوا فيه من
ملّتهم فقد تاتى هذه اللّفظة فى كلام العرب ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء فى
حديث الجهنّميّين عادوا حمما ولم يكونوا قبل ذلك ومثله قول الشّاعر فعادا بعد ابوالا
وما كان قبل كذلك فان قلت فما معنى قوله وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى فليس هو من الضّلال
الّذى هو الكفر قيل ضالّا عن النّبوّة فهديك اليها قاله الطّبرىّ وقيل وجدك بين اهل
الضّلال فعصمك من ذلك فهديك للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السّدّىّ وغير واحد
وقيل ضالّا عن شريعتك اى لا تعرفها فهديك اليها والضّلال هنا التحيّر ولهذا كان
عليه السّلام يخلو بغار حراء فى طلب ما يتوجّه به الى ربّه ويتشرّع به حتّى هديه الله
الى الاسلام قال معناه القشيرىّ وقيل لا تعرف الحقّ فهديك اليه وهذا مثل قوله
وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ قاله علىّ بن عيسى قال ابن عبّاس لم تكن له ضلالة معصية وقيل
هدى اى بيّن امرك بالبراهين وقيل وجدك ضالّا بين مكّة والمدينة فهديك الى المدينة
وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالّا وعن جعفر بن محمّد ووجدك ضالّا عن محبّتى لك
فى الازل اى لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتى وقرأ الحسن بن علىّ ووجدك ضالّ فهدى
اى اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالّا اى محبّا لمعرفتى والضّالّ المحبّ كما قال
اِنَّكَ لَفِى ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ اى محبّتك القديمة ولم يريدوا ههنا فى الدّين اذ لو قالوا ذلك فى
نبىّ الله لكفروا ومثله عند هذا قوله اِنَّا لَنَرٰيهَا فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ اى محبّة بيّنة وقال

الجنيد ووجدك متحيّرا في بيان ما أُنزِلَ اليك فهديك لبيان قوله وأنزلنا اليك الذكر الآية
وقيل ووجدك لم يعرفك احد بالنبوّة حتّى اظهرك فهدى بك السّعداء ولا اعلم احدا من
المفسّرين فيها ضالّا عن الايمان وكذلك فى قصّة موسى عليه السّلام قوله فعلتها اذا وانا
من الضّالّين اى من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الازهرى معناه
من النّاسين وقد قيل ذلك فى قوله ووجدك ضالّا فهدى اى ناسيا كما قال تعالى أن تضلّ
احديهما فان قلت فما معنى قوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان فالجواب انّ السّمرقندى
قال معناه ما كنت تدرى قبل الوحى ان تقرأ القران ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال
بكر القاضى نحوه ولا الايمان الّذى هو الفرايض والاحكام قال فكان قبل مؤمنا بتوحيده
ثمّ نزلت الفرايض الّتى لم يكن يدريها قبل فزاد بالتّكليف ايمانا وهو احسن وجوهه فان
قلت فما معنى قوله وان كنت من قبله لمن الغافلين فاعلم انّه ليس بمعنى قوله والّذين هم
عن آياتنا غافلون بل حكى ابو عبيد الهروى انّ معناه لمن الغافلين عن قصّة يوسف اذ لم
تعلمها الّا بوحينا وكذلك الحديث الّذى يرويه عثمان بن ابى شيبة بسنده عن جابر انّ
النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما
يقول لصاحبه اذهب حتّى تقوم خلفه فقال الآخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام
الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدّا وقال هذا حديث
موضوع او شبيه بالموضوع وقال الدّارقطنى يقال انّ عثمان وهم فى اسناده والحديث
بالجملة منكر غير متّفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النّبىّ صلّى الله عليه
وسلّم خلافه عند اهل العلم من قوله بغّضت الىّ الاصنام وقوله فى الحديث الآخر الّذى
روته امّ ايمن حين كلّمه عمّه وآله فى حضور بعض اعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهته

انزل ح

سند الحديث رواه عثمان
ابن ابى شيبة عن جابر عن
سفيان الثورىّ عن عبد الله
ابن محمد بن عقيل عن جابر
فذكره ح

لذلك

لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلّما دنوت منها من صنم تمثّل لى شخص ابيض طويل
يصيح بى وراءك لا تمسّه فما شهد بعد لهم عيدا وقوله فى قصّة بحيرا حين استحلف
النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم باللّات والعزّى اذ لقيه بالشّام فى سفرته مع عمّه ابى طالب وهو
صبىّ ورأى فيه علامات النبوّة فاختبره بذلك فقال له النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم لا
تسئلنى بهما فوالله ما ابغضت شيئا قطّ بغضهما فقال له بحيرا فبالله الّا ما اخبرتنى
عمّا اسئلك عنه فقال سل عمّا بدا لك وكذلك المعروف من سيرته عليه السّلام وتوفيق
الله له انّه كان قبل نبوّته يخالف المشركين فى وقوفهم بمزدلفة فى الحجّ فكان يقف هو بعرفة
لانّه كان موقف ابرهيم عليه السّلام فصل قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه قد بان
بما قدّمناه عقود الانبياء فى التّوحيد والايمان والوحى وعصمتهم فى ذلك على ما بيّنّاه
فامّا ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها انّه مملوءة علما ويقينا على الجملة
وانّها قد احتوت من المعرفة والعلم بامور الدّين والدّنيا ما لا شئ فوقه ومن طالع الاخبار
واعتنا بالحديث وتامّل ما قلناه وجده وقد قدّمنا منه فى حقّ نبيّنا فى الباب الرّابع
اوّل قسم من هذا الكتاب ما ينبّه على ما وراءه الّا انّ احوالهم فى هذا المعارف تختلف
فامّا ما تعلّق منها بامر الدّنيا فلا يشترط فى حقّ الانبياء العصمة من عدم معرفة الانبياء
ببعضها او اعتقادها على خلاف ما هى عليه ولا وصم عليهم فيه اذ هممهم متعلّقة بالآخرة
وانبائها وامر الشّريعة وقوانينها وامور الدّنيا تضادّها بخلاف غيرهم من اهل الدّنيا الّذين
يعلمون ظاهرا من الحيوة الدّنيا وهم عن الآخرة هم غافلون كما سنبيّن هذا فى الباب الثّانى
ان شاء الله ولكنّه لا يقال انّهم لا يعلمون شيئا من امر الدّنيا فانّ ذلك يؤدّى الى الغفلة
والبله وهم المنزّهون عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدّنيا وقلّدوا سياستهم وهدايتهم

والنّظر فى مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدّنيا بالكلّيّة واحوال
الانبياء وسيرهم فى هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كلّه مشهورة واما ان كان
هذا العقد ممّا يتعلّق بالدّين فلا يصحّ من النّبىّ الّا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة
لانّه لا يخلوا ان يكون حصل عنده ذلك عن وحى من الله فهو ما لا يصحّ الشّكّ منه فيه
على ما قدّمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم
يُنزَل عليه فيه شىء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه فى ذلك على قول المحقّقين وعلى
مقتضى حديث امّ سلمة انّى انّما اقضى بينكم برأى فيما لم يُنزَل علىّ فيه خرّجه الثّقات وكقصّة
اسرى بدر والاذن للمتخلّفين على رأى بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده ممّا يُثمِر اجتهاده
الّا حقّا وصحيحا هذا هو الحقّ الّذى لا يُلتفَت الى خلاف من خالف فيه لا على القول بتصويب
المجتهدين الّذين هو الحقّ والصّواب عندنا وعلى القول الآخر بانّ الحقّ فى طرف واحد
لعصمة النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم من الخطاء فى الاجتهاد فى الشّرعيّات ولانّ القول
فى تخطئة المجتهدين انّما هو بعد استقرار الشّرع ونظر النّبىّ واجتهاده انّما هو فيما لم ينزل
عليه فيه شىء ولم يشرع له قبل هذا فيما عُقِدَ عليه صلّى الله عليه وسلّم قلبه فامّا ما
لم يعقد عليه قلبه من امر النّوازل الشّريعة فقد كان لا يعلم منها اوّلا الّا ما علّمه الله شيئا
شيئا حتّى استقرّ علم جملتها عنده امّا بوحى من الله او اذن ان يشرع فى ذلك ويحكم بما اراه
الله وقد كان ينتظر الوحى فى كثير منها ولكنّه لم يمت حتّى استفرغ علم جميعها عنده
عليه السّلام وتقرّرت معارفها لديه على التّحقيق ورفع الشّكّ والرّيب وانتفاء الجهل
وبالجملة فلا يصحّ منه الجهل بشىء من تفاصيل الشّرع الّذى اُمِر بالدّعوة اليه اذ لا يصحّ
دعوته الى ما يعلمه وامّا ما تعلّق بعقده فى ملكوت السّموات والارض وخلق الله

وتعيين اسمائه الحسنى واياته الكبرى وامور الآخرة واشراط السّاعة واحوال السّعداء
والاشقياء وعلم ما كان ويكون ممّا لم يعلمه الّا بوحى فعلى ما تقدّم من انّه معصوم فيه لا يأخذ
فيما اُعلِمَ منه شكّ ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنّه لا يشترط له العلم بجميع
تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله انّى لا اعلم الّا ما
علّمنى ربّى ولقوله ولا خطر على قلب بشر فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرّة اعين وقول
موسى لخضر هل اتّبعك على ان تعلّمنى ممّا علّمت رشدا وقوله صلّى الله عليه وسلّم اسئلك
باسمائك الحسنى ما عَلِمتُ منها وما لم اعلم وقوله اسئلك بكلّ اسم سمّيت به نفسك
او استاثرت به فى علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى وَفَوقَ كُلِّ ذِى عِلمٍ عَلِيمٌ قال
زيد بن اسلم وغيره حتّى ينتهى العلم الى الله وهذا ما لا خفاء به اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها
ولا منتهى لها هذا حكم عقد قلب النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى التّوحيد والشّرع والمعارف
والامور الدّينيّة فصل واعلم انّ الامّة مجمعة على عصمة النّبىّ من الشّيطان وكفايته
منه لا فى جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره بالوساوس وقد اخبرنا القاضى الحافظ ابو علىّ
رحمه الله قال نا ابو الفضل ابن خيرون العدل نا ابو بكر البَرقانىّ وغيره نا ابو الحسن الدّارقطنىّ
نا اسمعيل الصّفّار نا عبّاس التَّرقُفىّ نا محمّد بن يوسف نا سفيان عن منصور عن سالم بن ابى
الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما منكم
من احد الّا وُكِّلَ به قرينه من الجنّ وقرينه من الملئكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياى
ولكنّ الله تعالى اعاننى عليه فاسلم زاد غيره عن منصور فلا يامرنى الّا بخير وعن عايشة
بمعناه روى فاسلم بضمّ الميم اى فاسلم انا منه وصحّح بعضهم هذه الرّواية ورجّحها ورُوِى
فاسلم يعنى القرين انّه انتقل عن حال كفره الى الاسلام فصار لا يامر الّا بخير كالملك وهو

ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال ابو الفضل رضى الله عنه فاذا كان هذا حكم
شيطانه وقرينه المسلّط على بنى ادم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على
الدنوّ منه وقد جاءت الاثار بتصدّى الشياطين له فى غير موطن رغبة فى اطفاء نوره
واماتة نفسه وادخال شغل عليه اذ يئسوا من اغوايه فانقلبوا خاسرين كتعرّضه له فى
صلاته فاخذه النبىّ صلّى الله عليه وسلّم واسره ففى الصّحاح قال ابو هريرة عنه عليه السّلام
انّ الشّيطان عرض لى قال عبد الرّزاق فى صورة هرّ فشدّ علىّ يقطع علىّ الصّلاة فامكننى
الله منه فذعتّه ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتّى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول
اخى سليمن ربِّ اغفر لى وهب لى ملكا الاية فردّه الله خاسئا وفى حديث ابى الدّرداء
عنه عليه السّلام انّ عدوّ الله ابليس جاءنى بشهاب من نار ليجعله فى وجهى والنبىّ صلّى
الله عليه وسلّم فى الصّلاة وذكر تعوّذه بالله منه ولعنه له ثمّ اردت اخذه وذكر نحوه
وقال لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك فى حديثه فى الاسراء وطلب
عفريت له بشعلة نار فعلّمه جبريل ما يتعوّذ به منه ذكره فى الموطاء ولمّا لم يقدر على اذاه
بمباشرته تسبّب بالتوسّط الى عداه كقضيّته مع قريش فى الايتمار بقتل النبىّ صلّى الله
عليه وسلّم وتصوّره فى صورة الشّيخ النّجدىّ ومرّة اخرى فى غزوة يوم بدر فى صورة سراقة
ابن مالك وهو قوله تعالى واذ زيّن لهم الشّيطان اعمالهم الاية ومرّة ينذر بشأنه عند
بيعة العقبة وكلّ هذا فقد كفاه الله امره وعصمه ضرّه وشرّه وقد قال عليه السّلام انّ
عيسى عليه السّلام كفى من لمسه فجاء ليطعن بيده فى خاصرته حين ولد فطعن الحجاب وقال
عليه السّلام حين لدّ فى مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك ذات الجنب فقال انها من
الشّيطان ولم يكن الله ليسلّطه علىّ فان قيل فما معنى قوله تعالى واما ينزغنّك من الشّيطان

نزغ فاستعذ بالله الاية فقد قال بعض المفسّرين انّها راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين
ثمّ قال واما ينزغنّك اى يستخفنّك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم فاستعذ
بالله وقيل النّزغ هنا الفساد كما قال من بعد ان نزغ الشّيطان بينى وبين اخوتى وقيل
ينزغنّك يغرينّك ويحرّكنّك والنّزغ ادنى الوسوسة فامره الله تعالى انّه متى تحرّك عليه
غضب على عدوّه او رام الشّيطان من اغوائه به وخواطر ادانى وساوسه ما لم يجعل
له سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلّط
عليه باكثر من التّعرّض له ولم تجعل له قدرة عليه وقد قيل فى هذه الاية غير هذا و
كذلك لا يصحّ ان يتصوّر له الشّيطان فى صورة الملك ويلبس عليه لا فى اوّل الرّسالة
ولا بعدها والاعتماد فى ذلك دليل المعجزة بل لا يشكّ النبىّ انّ ما ياتيه من الله الملك
ورسوله حقيقة امّا بعلم ضرورىّ يخلقه الله له او ببرهان يظهر لديه لتتمّ كلمة ربّكم
صدقا وعدلا لا مبدّل لكلماته فان قيل فما معنى قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا
نبىّ الّا اذا تمنّى القى الشّيطان فى امنيّته الاية فاعلم انّ للنّاس فى معنى هذه الاية اقاويل منها
السّهل والوعث والسّمين والغثّ واولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسّرين انّ
التمنّى ههنا التّلاوة والقاء الشّيطان فيها اشغاله بخواطر واذكار من امور الدّنيا للتّالى
حتّى يدخل عليه الوهم والنّسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السّامعين من التّحريف
وسوء التّاويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم اياته وسياتى الكلام على هذه
الاية بعد باشبع من هذا ان شاء الله وقد حكى السّمرقندىّ انكار قول من قال بتسلّط الشّيطان
على ملك سليمن وغلبته عليه وانّ مثل هذا لا يصحّ وقد ذكرنا قصّة سليمن مبيّنة بعد
هذا ومن قال انّ الجسد هو الولد الّذى ولد له وقال ابو محمّد مكّىّ فى قصّة ايّوب وقوله

اغوائه
شغله
فيها

انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب انه لا يجوز لاحد ان يتاول ان الشيطان هو الذى
امرضه والقى الضر فى بدنه ولا يكون ذلك الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثبتهم
قال مكى وقيل ان الذى اصابه الشيطان ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله
تعالى عن يوشع وما انسانيه الا الشيطان وقوله عن يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه
وقول نبينا عليه السلام حين نام عن الصلاة يوم الوادى ان هذا واد به شيطان وقول
موسى عليه السلام فى وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد فى
جميع هذا مورد مستمر كلام العرب فى وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله
كما قال تعالى كانه رؤس الشياطين وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو شيطان
وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم تثبت له فى ذلك الوقت نبوة مع موسى
عليه السلام قال الله تعالى واذ قال موسى لفتيه والمروى انما نبى بعد موت موسى وقيل
قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القران وقصة يوسف قد ذكر انها كانت قبل
نبوته وقد قال المفسرون فى قوله فانساه الشيطان ذكر ربه قولين احدهما ان الذى
انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبى السجن وربه الملك اى انساه ان يذكر للملك
شان يوسف عليه السلام وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على
يوسف ويوشع بوساوس ونزغ وانما هو بشغل خواطرهما باموراخر وتذكيرهما من امورهما
ما ينسيهما ما نسيا واما قوله عليه السلام ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر
تسلطه عليه ولا وسوسة له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان
بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهدئه كما يهدئ الصبى حتى نام فاعلم ان تسلط
الشيطان فى ذلك الوادى انما كان على بلال المؤكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله

ويشبهم ح
ويثبتهم ن

ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على
سبب الرحيل عن الوادى وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مساق زيد بن اسلم فلا
اعتراض به فى هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله فصل واما اقواله عليه السلام فقامت
الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه
معصوم فيه من الاخبار عن شئ منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا
او غلطا اما تعمد الخلف فى ذلك فمنتف بدليل المعجزة القايمة مقام قول الله صدق عبدى
فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط فى ذلك فبهذه
السبيل عند الاستاذ ابى اسحق الاسفرائنى ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط
وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبى صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة
نفسها عند القاضى ابى بكر الباقلانى ومن وافقه لاختلاف بينهم فى مقتضى دليل المعجزة
لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز
عليه خلف فى القول فى ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر عن ربه وما اوحيه اليه من
وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا فى حال الرضى والسخط والصحة والمرض وفى
حديث عبد الله بن عمرو قال قلت يا رسول الله اكتب كل ما اسمع منك قال نعم قلت فى
الرضى والغضب قال نعم فانى لا اقول فى ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه من دليل
المعجزة عليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن
الله الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول الله له فيما تذكره عنى وهو يقول انى رسول الله
اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان
هو الا وحى يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم

وقد ورد الشرع ح

عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه فى هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اى وجه كان فلو
جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا ختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على
تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله
واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحق فصل وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين
سؤالات منها ما روى من ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم وقال أَفَرَأَيْتُمُ
اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها الترتجى
ويروى ترتضى وفى رواية ان شفاعتها الترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفى اخرى والغرانقة
العلى تلك للشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه
اثنى على الهتهم وما وقع فى بعض الروايات ان الشيطان القيها على لسانه وان النبى صلى
الله عليه وسلم كان تمنى ان لو نزل عليه شئ يقارب بينه وبين قومه وفى رواية اخرى ان
لا ينزل عليه شئ تنفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل عليه السلام جاءه فعرض
عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبى صلى الله عليه
وسلم فانزل الله تسلية له وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ
فِي أُمْنِيَّتِهِ وقوله وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ الآية فاعلم اكرمك الله ان لنا فى الكلام على مشكل
هذا الحديث ماخذين احدهما فى توهين اصله والثانى على تسليمه اما المأخذ الاول
فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل
وانما اولع به وبمثله المفسرون والمورخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل
صحيح وسقيم وصدق القاضى بكر بن العلاء المالكى حيث قال لقد بلى الناس ببعض اهل
الاهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته

وانقطاع

وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل يقول انه فى الصلاة واخر يقول قالها فى نادى
قومه حين انزلت عليه السورة واخر يقول قالها وقد اصابته سنة واخر يقول بل حدث
نفسه فسهى واخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه وان النبى صلى الله عليه وسلم
لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقرأتك واخر يقول بل علمهم الشيطان ان النبى صلى
الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبى ذلك قال والله ما هكذا انزلت الى غير ذلك
من اختلاف الرواة ومن حكيت هذه الحكاية عند المفسرين والتابعين لم يسندها احد
منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه
حديث شعبة عن ابى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما احسب الشك فى
الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة قال ابو بكر البزار هذا
الحديث لا نعلمه يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم باسناد متصل تجوز ذكره الا هذا
ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد وانما يعرف عن الكلبى
عن ابى صالح عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر رحمه الله انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره
سوى هذه وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذى لا
يوثق به ولا حقيقه معه واما حديث الكلبى فمما لا يجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه
وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله والذى منه فى الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم
قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس هذا توهينه من طريق
النقل فاما من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه
وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح الهة
غير الله وهو كفر او ان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القران حتى يجعل فيه ما ليس

منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم ان من القران ما ليس منه حتى ينبهه عليه جبريل
عليهما الصلوة والسلام وذلك كله ممتنع في حقه عليه السلام او يقول ذلك النبي من
قبل نفسه عمدا وذلك كفر او سهوا وهو صلى الله عليه وسلم معصوم من هذا كله وقد
قررنا بالبرهان والاجماع عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه او لسانه لا عمدا
ولا سهوا او ان يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان او يكون للشيطان عليه
سبيل او ان يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول علينا
بعض الاقاويل الاية وقال اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات الاية ووجه ثان
وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد
الالتيام متناقض الاقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التاليف والنظم ولما كان النبي
صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك
وهذا لا يخفى على ادنى متامل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح
الكلام علمه ووجه ثالث انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة
القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله
عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشمات بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في
قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد في هذه القصة شيئا سوى
هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة
ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في الاسراء حتى كانت في ذلك لبعض
الضعفاء ردة وكذلك ما روى في قصة القضية ولا فتنة اعظم من هذه البلية لو
وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت فما روى عن معاند

يشتبه

فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في
ادخال بعض شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به
على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية ان فيها نزلت وَإِنْ كَادُوا
لَيَفْتِنُونَكَ الايتين وهاتان الايتان تردان الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا
يفتنونه حتى يفترى وانه لولا ان ثبته لكاد يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه
من ان يفترى وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية
انه زاد على الركون والافتراء بمدح الهتهم وانه قال عليه السلام افتريت على الله وقلت
ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الاية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له
وهذا مثل قوله في الاية الاخرى وَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ
أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وقد روى عن ابن عباس كل
ما في القران كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ولم
يذهب واكاد اخفيها ولم يفعل قال القشيري القاضي ولقد طالبه قريش وثقيف
اذ مر بالهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه الايمان به ان فعل فما فعل ولا كان ليفعل
قال ابن الانباري ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى الاية تفاسير اخر
ما ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله يرد سفسافها فلم يبق في الاية الا ان الله امتن
على رسوله بعصمته وتثبيته مما كاده به الكفار وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك
تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الاية واما الماخذ الثاني فهو مبني
على تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على ذلك من حال فقد اجاب
على ذلك ائمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى قتادة ومقاتل

ان النبى صلى الله عليه وسلم اصابته سنة عند قرائته هذه السورة فجرى هذا الكلام
على لسانه بحكم النوم وهذا لا يجوز على النبى مثله فى حالة من احواله ولا يخلقه الله على
لسانه ولا يستولى الشيطان عليه فى نوم ولا يقظة لعصمته فى هذا الباب من
جميع العمد والسهو وفى قول الكلبى ان النبى صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك
الشيطان على لسانه وفى رواية ابن شهاب عن ابى بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما اخبر
بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح ان يقوله عليه السلام لا سهوا ولا
قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل النبى صلى الله عليه وسلم قاله اثناء تلاوته
على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول ابرهيم هذا ربى على احد التاويلات وكقوله بل
فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته وهذا
ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره القاضى
ابو بكر ولا يعترض على هذا بما روى انه كان فى الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها غير
ممنوع والذى يظهر ويترجح فى تاويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه ان
النبى صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القران ترتيلا ويفصل الاى تفصيلا فى
قرائته كما رواه الثقاة عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما
اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبى صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه
من الكفار فظنوها من قول النبى صلى الله عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند
المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما انزلها الله وتحققهم من حال النبى فى ذم الاوثان
وعيبها ما عرف منه وقد حكى موسى بن عقبة فى مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم

٦ محمد بح

يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك فى اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روى من حزن

النبى صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال
الله تعالى وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ الاية فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى
لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ اى تلاوة وقوله فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ اى يذهبه ويزيل
اللبس به ويحكم اياته وقيل معنى الاية هو ما يقع للنبى صلى الله عليه وسلم من السهو اذا قرأ
فيتنبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبى فى الاية حدث نفسه وقال اذا تمنى حدث

فيتنبه بح

نفسه وفى رواية ابى بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو فى القراءة انما يصح فيما ليس طريقه
تغيير المعانى وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القران بل السهو عن اسقاط اية منه او كلمة
ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره فى حكم ما يجوز عليه
من السهو وما لا يجوز ومما لا يظهر فى تاويله ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة
العلى فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان قرانا والمراد بالغرانقة العلى وان
شفاعتهن لترتجى الملئكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبى الغرانقة انها الملئكة وذلك
ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان والملئكة بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم فى
هذه السورة بقوله أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى فانكر الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من
الملئكة صحيح فلما تاوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر الهتهم ولبس عليهم الشيطان
ذلك وزينه فى قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى الشيطان واحكم اياته ورفع تلاوة
تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للالباس كما نسخ كثير من القران

لها سبيلا للتلبيس بح

ورفعت تلاوته وكان فى انزال الله تعالى لذلك حكمة وفى نسخه حكمة ليضل به من يشاء
ويهدى من يشاء وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ وَلِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ

من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الاية وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ
هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان يأتي بشيء من
ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم و

ليخلطوا به

يشغبوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب
هذا الفعل الى الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه
وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا من قبلك
الاية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن واحكم اياته ودفع ما لبس به العدو
كما ضمنه تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن ذلك ما روى من قصة
يونس عليه السلام انه وعد قومه العذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال

بالعذاب به

لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله ان ليس في خبر من الاخبار
الواردة في هذا الباب ان يونس قال لهم ان الله مهلككم وانما فيه دعا عليهم بالهلاك
والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا
وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا قوم
يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الاية وروى في الاخبار انهم راوا دلائل
العذاب ومخايله قاله ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشيهم العذاب كما يغشى الثوب
القبر فان قلت فما معنى ما روى من ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث اريد كان
يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث اخر فيقول له
النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول

له اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت وفي الصحيح
عن انس ان نصرانيا يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما اسلم ثم ارتد وكان يقول ما
يدري محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه
الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي
حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله
على الله ورسله ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية
سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم يرد على احد
من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله وانما يفتري
الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك هم الكاذبون وما وقع من ذكرها في حديث
انس وظاهر حكايته لها فليس فيه ما يدل انه شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد علل البزار
حديثه ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد عن انس قال واظن حميدا
انما سمعه من ثابت قال القاضي رضي الله عنه ولهذا والله اعلم لم يخرج اهل الصحيح حديث
ثابت ولا حميد والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع عن انس الذي خرجه نفسه الامن
حكايته عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهين للنبي صلى الله عليه

ولا توهين به

وسلم فيما اوحى اليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم
القرآن وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على
الرسول قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها
بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف

اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتداء الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك
فى جملة الكلام كما لا يتفق ذلك فى اية ولا فى سورة وكذلك قوله عليه السلام ان صح كلٌ
صَوَابٌ فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الاى وجهان وقرائتان انزلتا جميعا على
النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فاملى احديهما وتوصّل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى
الكلام الى الاخرى فذكرها للنبىّ عليه السلام قبل ذكر النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ثمّ احكم
الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وُجِدَ ذلك فى بعض مقاطع الاى مثل قوله إِنْ
تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وهذه قراءة الجمهور
وقد قرأ جماعة فانّك انت الغفور الرّحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت
على وجهين فى غير المقاطع قرأبهما معا الجمهور وثبتتا فى المصحف مثل وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ
كَيْفَ نُنْشِرُهَا وَنُنْشِزُهَا وَيَقْضِ الْحَقَّ وَيَقُصُّ الْحَقَّ وكلّ هذا لا يوجب ريبا ولا يسبّب للنبىّ
صلّى الله عليه وسلّم غلطا ولا وهما وقد قيل انّ هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبىّ صلّى
الله عليه وسلّم الى النّاس غير القرآن فيصف الله ويسمّيه فى ذلك كيف شاء فصل
هذا القول فيما طريقه البلاغ وامّا ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار الّتى لا مستند لها
الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحى بل فى امور الدّنيا واحوال نفسه فالّذى
يجب اعتقاده تنزيه النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم عن ان يقع خبره فى شىء من ذلك بخلاف
مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانّه معصوم من ذلك فى حال رضاه وفى حال سخطه وجدّه
ومَزْحِهِ وصحّته ومرضه ودليل ذلك اتّفاق السّلف واجماعهم عليه وذلك انّا نعلم من
دين الصّحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع احواله والثّقة بجميع اخباره فى اىّ باب
كانت وعن اىّ شىء وقعت وانّه لم يكن لهم توقّف ولا تردّد فى شىء منها ولا استثبات عن حاله

عند

عند ذلك هل وقع فيه سهو ام لا ولمّا احتجّ ابن ابى الحقيق اليهودىّ على عمر حين اجلاهم
من خيبر باقرار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لهم واحتجّ عليه عمر بقوله صلّى الله عليه
وسلّم كيف بك اذا اُخْرِجْتَ من خيبر فقال اليهودىّ هُزَيْلَةً من ابى القاسم فقال عمر كذبت
يا عدوّ الله وايضا فانّ آثاره واخباره وسيره وشمايله معتنىً بها مستقصى تفاصيلها ولم
يرد فى شىء منها استدراكه عليه السلام لغلط فى قول قاله او اعترافه بوهم فى شىء
اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصّته عليه السّلام رجوعه عليه السّلام عمّا
اشار به على الانصار فى تلقيح النّخل وكان ذلك رأيا لا خبرا وغير ذلك من الامور الّتى ليست
من هذا الباب كقوله والله لا احلف على يمين فارى خيرا منها الّا فعلت الّذى حلفت
عليه وكفّرت عن يمينى وقوله انّكم تختصمون الىّ الحديث وقوله اسق يا زبير حتّى يبلغ الماء
الجَدْرَ كما سنبيّن كلّما فى هذا من مشكل فى هذا الباب والّذى بعده ان شاء الله مع اشباهها
وايضا فانّ الكَذِبَ متى عُرِفَ من احد فى شىء من الاخبار بخلاف ما هو على اىّ وجه كان
استريب خبره واتُّهِمَ فى حديثه ولم يقع قوله فى النّفوس موقعا ولهذا ما ترك المحدّثون
والعلماء الحديث عمّن عُرِفَ بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضا
فانّ تعمّد الكذب فى امور الدّنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط للمروءة وكلّ
هذا ممّا ينزّه عنه منصب النّبوّة والمرّة الواحدة منه فيما يُسْتَشْنَعُ ويُشَيَّعُ ممّا يُخِلُّ بصاحبها
وَتُزْرِي بقايلها لاحقه بذلك وامّا فيما لا يقع هذا الموقع فان عددناها من الصّغاير فهل
تجرى على حكمها فى الخلاف فيها مختلف فيه والصّواب تنزيه النّبوّة عن قليله وكثيره سهوه
وعمده اذ عمدة النّبوّة البلاغ والاعلام والتّبيين وتصديق ما جاء به النّبىّ وتجويز شىء
من هذا قادح فى ذلك ومشكّك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بانّه لا يجوز على

يتسامح

الانبياء خلف في القول في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا انتسامح مع من
سامح في تجويز ذلك عليهم فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانّه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوّة
ولا الاتّسام به في امورهم واحوال دنياهم لانّ ذلك كان يزرى ويريب بهم وينفّر القلوب
عن تصديقهم بعد وانظر احوال اهل عصر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من قريش وغيرها من الامم
وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به ممّا عُرِفَ واتّفق النّقل
على عصمة نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الاثار فيه في الباب
الثّاني اوّل الكتاب ما يبيّن لك صحّة ما اشرنا اليه فصل فان قلت فما معنى قوله عليه
السّلام في حديث السّهو الّذي حدّثنا به الفقيه ابو اسحق ابرهيم بن جعفر قال نا القاضى
ابو الاصبغ بن سهل قال نا حاتم بن محمّد نا ابو عبد الله بن الفخّار نا ابو عيسى نا عبيد الله نا يحيى
عن مالك عن داود بن الحصين عن ابى سفيان مولى ابن ابى احمد انّه قال سمعت ابا هريرة يقول
صلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صلاة العصر فسلّم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال
يا رسول الله اقصرت الصّلاة ام نسيت فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كلّ ذلك
لم يكن وفي الرّواية الاخرى ما قصرت الصّلاة وما نسيت الحديث بقصّته فاخبر بنفى
الحالتين وانّها لم تكن وقد كان احد ذلك كما قال له ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول
الله فاعلم وفّقنا الله وايّاك انّ للعلماء في ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها
ما هو بنيّة التّعسّف والاعتساف وها انا اقول امّا على القول بتجويز الوهم والغلط فيما
ليس طريقه من القول البلاغ وهو الّذى زيّفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث
وشبهه وامّا على مذهب من يمنع السّهو والنّسيان في افعاله جملة ويرى انّه في مثل هذا
عامد لصورة النّسيان ليسنّ فهو صادق في خبره لانّه لم ينس ولا قصرت ولكنّه على هذا

القول تعمّد هذا الفعل في هذه الصّورة ليسنّه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه
نذكره في موضعه وامّا على احالة السّهو عليه في الاقوال وتجويز السّهو عليه فيما ليس طريقه
القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها انّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم اخبر عن اعتقاده
وضميره امّا انكار القصر فحقّ وصدق باطنا وظاهرا وامّا النّسيان فاخبر صلّى الله عليه
وسلّم عن اعتقاده وانّه لم ينس في ظنّه فكانّه قصد الخبر بهذا عن ظنّه وان لم ينطق به وهذا
صدق ايضا ووجه ثان انّ قوله ولم انس راجع الى السّلام اى انّى سلّمت قصدا وسهوت عن
العدد اى لم اسه في نفس السّلام وهذا محتمل وفيه بُعْدٌ ووجه ثالث وهو ابعدها ما
ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللّفظ من قوله كلّ ذلك لم يكن اى لم يجتمع القصر والنّسيان
بل كان احدهما ومفهوم اللّفظ خلافه مع الرّواية الاخرى الصّحيحة وهو قوله ما قصرت
الصّلاة وما نسيت هذا ما رايت فيه لائمّتنا وكلّ من هذه الوجوه محتمل للّفظ على
بعد بعضها وتعسّف الاخر منها قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه والّذى اقول
ويظهر لى انّه اقرب من هذه الوجوه كلّها انّ قوله لم انس انكار للّفظ الّذى نفاه عن نفسه
وانكره على غيره بقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا وكذا ولكنّه نُسِّيَ وبقوله في
بعض روايات الحديث الاخر لست انسى ولكن أُنسّى فلمّا قال له السّائل اقصرت الصّلاة
ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قِبَل نفسه وانّه ان كان جرى شئ من ذلك
فقد نُسِّيَ حتّى سال غيره فتحقّق انّه نسّى واجرى عليه ذلك ليسنّ فقوله على هذا لم انس
ولم تقصر وكلّ ذلك لم يكن صدق وحقّ ولم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنّه نُسِّيَ ووجه آخر
استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك انّه قال انّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان يسهو
ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النّسيان قال لانّ النّسيان غفلة وآفة والسّهو انّما هو

شغل قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن
حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن
في قوله ما قصرت ولا نسيت خلف في قول واما قصة كلمات ابرهيم عليه السلام المذكورة
في الحديث انها كذباته الثلاث المنصوصة في القرآن منها اثنتان قوله اني سقيم وبل فعله
كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختي فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة
عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن
الكذب اما قوله اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه ساسقم اي ان كل مخلوق معرض
لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدر على من
الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تاخذه عند
طلوع نجم معلوم فلما راه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق
وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا
يشتغلون بها وانه اثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض
حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم
نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى الهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليه
بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله وقد قدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا
الآية فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه
وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه واما قوله اختي فقد بين في الحديث وقال فانك اختي
في الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ فان قلت فهذا النبي صلى الله عليه
وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابرهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة

وعندي ان قوله ما قصرت وما نسيت
بمعنى الترك الذي لحد وجهي النسيان
اراد والله اعلم اني لم اسلم من ركعتين
تاركا لاكمال الصلاة ولكني نسيت
والدليل على ذلك قوله صلى الله عليه
وسلم في الحديث الصحيح اني لا انسى او
انسى لاسن ولم يكن ذلك من تلقاء
نفسي ولكني نسيته

ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن الا
هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابرهيم عليه السلام بمواخذته
بها واما الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف
في القول انما هو ستر مقصده لئلا ياخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن
موضع اخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا
الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت
فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه
ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر
قد انبا الله انه ليس كذلك فاعلم انه وقع في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس
هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق ولا خلف فيه ولا شبهة
وعلى الطريق الاخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لان حاله في النبوة والاصطفاء تقتضي
ذلك فيكون اخباره بذلك عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا
اعلم بما تقتضيه وظايف النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون
الخضر اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله من علوم غيبه كالقصص المذكورة
في خبرهما فكان موسى اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله
تعالى ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ وعتب الله ذلك عليه فيما قاله العلماء انكار هذا القول عليه لانه
لم يرد العلم اليه كما قالت الملئكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك والله
اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما
تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وان نزه

عن هذه الرذايل الانبياء فغيرهم بعد درجة سبيلها ودركها الا من عصمه الله فالتحفظ منها
اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال عليه السلام تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد
ولد ادم ولا فخر وهذا الحديث احدى حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى
ولا يكون الولى اعلم من النبى واما الانبياء فيتفاضلون فى المعارف وبقوله وما فعلته عن امرى
فدل انه بوحى ومن قال انه ليس بنبى قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبى اخر وهذا يضعف لانه ما
علمنا انه كان فى زمن موسى نبى غيره الا اخاه هرون وما نقل احد من اهل الاخبار فى ذلك شيئا
يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص وفى قضايا معينة لم
يحتج الى اثبات نبوة خضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله و
الخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال اخر انما الجىء موسى الى الخضر للتاديب لا للتعليم
فصل واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا
الخبر الذى وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه
المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش والكباير الموبقات ومستند
الجمهور فى ذلك الاجماع الذى ذكرناه وهو مذهب القاضى ابى بكر ومنعها غيره بدليل
العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك لا خلاف انهم
معصومون من كتمان الرسالة والتقصير فى التبليغ لان كل ذلك يقتضى العصمة منه
المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة والجمهور قايل بانهما معصومون من ذلك
من قبل الله تعالى معتصمون باختيارهم وكسبهم الا حسينا النجار فانه قال لا قدرة لهم
على المعاصى اصلا واما الصغاير فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء وهو
مذهب ابى جعفر الطبرى وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا

ما احتجوا به وذهبت طائفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم
يأت فى الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طائفة اخرى من المحققين من الفقهاء و
المتكلمين الى عصمتهم من الصغاير كعصمتهم من الكباير قالوا لاختلاف الناس فى الصغاير
وتعيينها من الكباير واشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره ان كل ما عصى الله به فهو كبيرة
وانه انما سمى منها الصغير بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة البارئ فى اى امر كان يوجب
كونه كبيرة قال القاضى ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال فى معاصى الله صغير الا على معنى
انها تغتفر باجتناب الكباير ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكباير اذا لم يتب منها
فلا يحبطها شىء والمشيئة فى العفو عنها الى الله وهو قول القاضى ابى بكر وجماعة ائمة
الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء وقال بعض ائمتنا ولا يجب على القولين ان يختلفا انهم
معصومون عن تكرار الصغاير وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكباير ولا فى صغيرة ادت الى
ازالة الحشمة واسقطت المروة واوجبت الازراء والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه
الانبياء اجماعا لان مثل هذا يحط منصبه المتسم به ويزرى بصاحبه وينفر القلوب عنه و
الانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى
اليه عن اسم المباح اليه الى الحظر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من موافقة المكروه قصدا
وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغاير بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع
اثارهم وسيرتهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك والشافعى وابى حنيفة
من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا فى حكم ذلك وحكى ابن خويز منداذ
وابو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهرى وابن القصار واكثر اصحابنا وقول
اكثر اهل العراق وابن سريج والاصطخرى وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية على

منصب المتسم به

خويز
حويز

انّ ذلك ندبٌ وذهبت طائفة الى الاباحة وقيّد بعضهم الاتّباع فيما كان من الامور الدّينيّة
وعُلِمَ به مقصد القربة ومن قال بالاباحة فى افعاله لم يقيّد قال فلو جوّزنا عليهم الصّغاير لم
يمكن الاقتداء بهم فى افعالهم اذ ليس كلّ فعل من افعاله يتميّز مقصده به من القربة او الاباحة
او الخطر او المعصية ولا يصحّ ان يؤمر المرء بامتثال امر لعلّه معصية لاسيّما على من يرى
تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليّين ونزيد هذا حجّة بان نقول من جوّز الصّغاير
ومن نفاها عن نبيّنا عليه السّلام مجمعون على انّه لا يقرّ على منكر من قول او فعل وانّه متى
راى شيئا فسكت عنه صلّى الله عليه وسلّم دلّ على جوازه فكيف يكون هذا حاله فى
حقّ غيره ثمّ نجوّز وقوعه منه فى نفسه وعلى هذا المآخذ تجب عصمتهم من موافقة
المكروه كما قيل واذ الخطر او النّدب على الاقتداء بفعله ينافى الزّجر والنّهى عن فعل المكروه
وايضا فقد عُلِمَ من دين الصّحابة قطعا الاقتداء بافعال النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم كيف
توجّهت وفى كلّ فنّ كالاقتداء باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم
حين خلع واحتجاجهم برؤية ابن عمر ايّاه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس
واحتجّ غير واحد منهم فى غير شىء ممّا بابه العبادة او العادة بقوله رايت رسول الله صلّى
الله عليه وسلّم يفعله وقال صلّى الله عليه وسلّم هلّا اخبرتيها انّى اقبّل وانا صائم وقالت
عايشة محتجّة كنت افعله انا ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم وغضب رسول الله صلّى
الله عليه وسلّم على الّذى اُخْبِرَ بمثل هذا عنه فقال يحلّ الله لرسوله ما يشاء وقال انّى لاخشاكم
لله واعلمكم بحدوده والآثار فى هذا اعظم من ان نحيط عليها لكنّه يُعْلَمُ من مجموعها على
القطع اتّباعهم افعاله واقتداؤهم بها ولو جوّزوا عليه المخالفة فى شىء منها لما اتّسق هذا
ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر عليه السّلام على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه

واما

واما المباحات فجايز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدحٌ بل هى ماذون فيها وايديهم كايدى
غيرهم مسلّطة عليها الّا انّهم بما خُصّوا به من رفيع المنزلة وشُرِحَتْ له صدورهم
من انوار المعرفة واصطُفُوا به من تعلّق هممهم بالله والدّار الآخرة لا ياخذون من المباحات
الّا الضّرورات ممّا يتقوّوْن به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما
اُخِذَ على هذه السّبيل التُحِقَ طاعة وصار قربة كما بيّنّا منه اوّل الكتاب طرفا فى خصال
نبيّنا عليه السّلام فبان لك عظيم فضل الله على نبيّنا وعلى سائر انبيائه عليهم السّلام
بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية فصل
وقد اختُلِفَ فى عصمتهم من المعاصى قبل النّبوّة فمنعها قوم وجوّزها آخرون والصّحيح
ان شاء الله تنزيههم من كلّ عيب وعصمتهم من كلّ ما يوجب الرّيب فكيف والمسئلة
تصوّرها كالممتنع فانّ المعاصى والنّواهى انّما تكون بعد تقرّر الشّرع وقد اختلف النّاس فى
حال نبيّنا عليه السّلام قبل ان يوحى اليه هل كان متّبعا لشرع قبله ام لا فقال جماعة لم
يكن متّبعا لشىء وهذا قول الجمهور فالمعاصى على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة فى
حقّه حينئذ اذ الاحكام الشّرعيّة انّما تتعلّق بالاوامر والنّواهى وتقرّر الشّريعة ثمّ اختلفت
حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف السّنّة ومقتدى فرق الامّة القاضى
ابو بكر الى انّ طريق العلم بذلك النّقل وموارد الخبر من طريق السّمع وحجّته انّه لو كان ذلك
لنقل ولما امكن كتمه وستره فى العادة اذ كان من مهمّ امره واولى ما اهْتُبِلَ به من سيرته
ولَفَخَرَ به اهل تلك الشّريعة ولاحتجّوا به عليه ولم يؤثر شىء من ذلك جملة وذهبت طائفة
الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانّه يَبْعُدُ ان يكون متبوعا مَنْ عُرِفَ تابعا وبنوا هذا على التّحسين
والتّقبيح وهى طريقة غير سديدة واستناد ذلك الى النّقل كما تقدّم للقاضى ابى بكر اولى واظهر

وقالت فرقة اخرى بالوقف فى امره عليه السّلام وترك قطع الحكم عليه بشئ فى ذلك اذ لم
يحل الوجهين منها العقل ولا استبان عندها فى احدهما طريق النّقل وهو مذهب ابى المعالى
وقالت فرقة ثالثة انّه كان عاملا بشرع من قبله ثمّ اختلفوا هل يتعيّن ذلك الشّرع ام لا
فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التّعيين وصمّم ثمّ اختلفت هذه
المعيّنة فيمن كان يتّبع فقيل نوح وقيل ابرهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم فهذه
جملة المذاهب فى هذه المسئلة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضى ابو بكر وابعدها
مذاهب المعيّنين اذ لو كان شئ من ذلك لنقل كما قدّمناه ولم يخف جملة ولا حجّة لهم ان
عيسى اخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصّحيح
انّه لم تكن لنبىّ دعوة عامّة الّا لنبيّنا عليه السّلام ولا حجّة ايضا للاخر فى قوله تعالى
ان اتّبع ملّة ابرهيم حنيفا وللاخرين فى قوله شرع لكم من الدّين ما وصّى به نوحا فحمل هذه
الاية على اتباعهم فى التّوحيد كقوله اولئك الّذين هدى الله فبهديهم اقتده وقد سمّى الله
تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن شريعة تخصّه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انّه ليس
برسول وقد سمّى الله تعالى جماعة منهم فى هذه الاية شرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينهما
فدلّ انّ المراد ما اجتمعوا عليه من التّوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال
بمنع الاتباع هذا القول فى سائر الانبياء غير نبيّنا او يخالفون بينهم امّا من منع الاتّباع عقلا
فيطّرد اصله فى كلّ رسول بلا مرية وامّا من مال الى النّقل فاينما تصوّر له وتقرّر اتّبعه ومن
قال بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتّباع لمن قبله يلتزمه بمساق حجّته فى كلّ نبىّ فصل
هذا حكم ما تكون المخالفة من الاعمال عن قصد وهو ما يسمّى معصية ويدخل تحت التّكليف
وامّا ما يكون بغير قصد وتعمّد كالسّهو والنّسيان فى الوظايف الشّرعيّة ممّا تقرّر الشّرع

فحمل فحمل

يلزمه

بعدم

بعدم تعلّق الخطاب به وترك المواخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سواء ثمّ ذلك
على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشّرع وتعلّق الاحكام وتعليم الامّة بالفعل واخذهم
باتّباعه فيه وما هو خارج عن هذا ممّا يختصّ بنفسه امّا الاوّل فحكمه عند جماعة من العلماء
حكم السّهو فى القول فى هذا الباب وقد ذكرنا الاتّفاق على امتناع ذلك فى حقّ النّبىّ عليه السّلام
وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا فكذلك قالوا الافعال فى هذا الباب لا يجوز طرد
المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانّها بمعنى القول من جهة التّبليغ والاداء وطروء هذه
العوارض عليها يوجب التّشكيك ويسبّب للطّاعن واعتذروا عن احاديث السّهو بتوجيهات
نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلّمين الى انّ
المخالفة فى الافعال البلاغيّة والاحكام الشّرعيّة سهوا او عن غير قصد منه جائز عليه
كما تقرّر من احاديث السّهو فى الصّلاة وفرّقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغيّة لقيام
المعجزة على الصّدق فى القول ومخالفة ذلك تناقضها وامّا السّهو فى الافعال فغير مناقض
لها ولا قادح فى النّبوّة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال عليه
السّلام انّما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكّرونى نعم بل حالة النّسيان هنا والسّهو هنا فى
حقّه صلّى الله عليه وسلّم سبب افادة علم وتقرير شرع كما قال صلّى الله عليه وسلّم انّى لانسى
او انسّى لاسنّ بل قد روى لست انسى ولكن انسّى لاسنّ وهذه الحالة زيادة له فى التّبليغ وتمام
عليه فى النّعمة بعيدة عن سمات النّقص واغراض الطّعن فانّ القائلين بتجويز ذلك يشترطون
انّ الرّسل لا تقرّ على السّهو والغلط بل ينبّهون عليه ويعرّفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو
الصّحيح وقبل انقراضهم على قول الاخرين وامّا ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله
عليه السّلام وما يختصّ به من امور دينه واذكار قلبه ممّا لم يفعله ليتّبع فيه فالاكثر

من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات
بقلبه وذلك مما كلفه من مقاسات الخلق وسياسات الامة ومعاناة الاهل وملاحظة
الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال عليه
السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض معجزته
وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه عليه السلام
جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في هذه
الاحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا ان شاء الله فصل في الكلام على الاحاديث المذكورة
فيها السهو منه عليه السلام قد قدمناه في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو عليه
السلام وما يمتنع واحلناه في الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه في
الافعال الدينية على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه
الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه عليه السلام في الصلاة ثلاثة احاديث اولها حديث
ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم
صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله
فيه ليستن به اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه انه لا يقر
على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وان
النسيان والسهو في الفعل في حقه عليه السلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق
وقد قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال رحم الله
فلانا لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن وقال عليه السلام اني لانسى
او انسى لاسن قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي اني لا انسى ولكن انسى لاسن

وذهب

وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار انه ليس بشك وان معناه التقسيم اي انسى انا او ينسيني الله
قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل ما قالاه ان يريد اني انسى في اليقظة وانسى في النوم او انسى
على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو او انسى مع اقبالي عليه وتفرغي له فاضاف
احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الآخر عن نفسه اذ هو فيه
كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب المعاني والكلام على الحديث الى ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة وآفة قال والنبي صلى
الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان عليه السلام يسهو في صلاته ويشغله
عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية الاخرى
اني لا انسى وذهبت طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه السلام كان عمدا
وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لانه كيف
يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم انه امر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله
اني لانسى او انسى وقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال انما انا بشر
مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين من أئمتنا وهو ابو المظفر
الاسفرائني ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لها بين الطائفتين في قوله اني
لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله
بئسما لاحدكم ان يقول نسيت كذا ولكنه نسي او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلاة
عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى خرج
وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق
اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلاة

في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم
صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما تقول في نومه عليه السلام عن الصلاة
يوم الوادي وقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء عن ذلك اجوبة منها
ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الاوقات وقد يندر منه غير
ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته ويصحح هذا التاويل قوله عليه السلام في الحديث
نفسه ان الله قبض ارواحنا وقول بلال فيه ما القيت على نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما
يكون منه لامر يريده الله من اثبات حكم وتاسيس سنة واظهار شرع وكما قال في الحديث
الاخر لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان يكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم
حتى يكون منه الحدث فيه لما روي انه كان محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه
ثم يصلي ولا يتوضأ وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه
مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوءه بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او لحدث
اخر فكيف وفي اخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلاة فصلى
ولم يتوضأ وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم
عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال عليه السلام ان الله قبض
ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما
قال لبلال اكلا لنا الصبح فقيل في الجواب انه كان من شانه عليه السلام التغليس بالصبح
ومراعاة اول الفجر لا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا
بمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته فان قيل فما معنى نهيه
عليه السلام عن القول نسيت وقد قال عليه السلام اني انسى كما تنسون فاذا نسيت

عن قوله

فذكروني

فذكروني وقال لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض
في هذه الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا فمحمول على ما نسخ فعله من القران
اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره اليها يمحو ما يشاء ويثبت وما كان
من سهو وغفلة من قبله تذكرها صلح ان يقال فيه انسي وقد قيل ان هذا منه صلى الله
عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه والاخر على طريق الجواز
لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه السلام لما اسقط من هذه الايات جايز عليه
بعد بلاغ ما امر بلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها من امته او من قبل نفسه الا ما
قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه
وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسيه منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط

سبيله

حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه
وتكليفه بلاغه فصل في الرد على من اجاز عليهم الصغاير والكلام على ما احتجوا به في
ذلك اعلم ان المجوزين للصغاير على الانبياء من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك
من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القران والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم
الى تجويز الكباير وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف
المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف
بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما
وقامت الدلالة على خطاء قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح وها نحن ناخذ
في النظر فيها ان شاء الله فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لِيَغْفِرَ لَكَ
اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وقوله وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم
وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقوله عبس وتولى ان
جاءه الاعمى الاية وما قص من قصص غيره من الانبياء كقوله وعصى ادم ربه فغوى
وقوله فلما اتيهما صالحا جعلا له شركاء الاية وقوله عنه ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقوله
عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وما ذكر من قصته وقصة داود وقوله وظن
داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الى قوله ماب وقوله ولقد همت به
وهم بها وما قص من قصته مع اخوته وقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل
الشيطان وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اغفر لي ما قدمت واخرت واسررت
واعلنت ونحوه من ادعيته عليه السلام وذكر الانبياء في الموقف ذنوبهم في حديث
الشفاعة وقوله انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وفي حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله
واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي الاية وقد كان
قال الله له ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقال عن ابرهيم والذي اطمع ان يغفر لي
خطيئتي يوم الدين وقوله عن موسى تبت اليك وقوله ولقد فتنا سليمن الى ما اشبه هذه
الظواهر فاما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهذا قد اختلف
فيه المفسرون فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما
لم يقع اعلمه انه مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة والمتاخر عصمتك بعدها حكاه احمد بن
نصر وقيل المراد بذلك امته عليه السلام وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتاويل حكاه
الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من ذنوب امتك حكاه
السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي قبله يتاول قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين

والمؤمنات قال مكي مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم هٰهنا هي مخاطبة لامته وقيل ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار
فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الاية وبمال المؤمنين في الاية
الاخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصد الاية انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان
قال بعضهم المغفرة هٰهنا تبرئة من العيوب واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض
ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة
وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره حكى معناه
السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي
والسلمي وقيل اراد خططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك
وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري وقيل معناه
خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاد
ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم
بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق
منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره او يكون من ثقل
الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله تعالى له بحفظ ما
استحفظه من وحيه واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي صلى الله
عليه وسلم فيه من الله نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى عليه معصية بل لم يعده اهل
العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا
في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله له

فائذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم
لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه
للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا
الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي انها كانت تكرمه قال مكي هو استفتاح كلام
مثل اصلحك الله واعزك الله وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله واما قوله في اسارى
بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى الآيتين فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم
بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال
عليه السلام احلت لي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا
الآية قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار
منها وليس المراد بهذا النبي عليه السلام ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها
نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجميع الغنايم عن القتال
حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق فاختلف المفسرون
في معنى الآية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم
فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقران وهو الكتاب السابق
فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنايم ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا انما
كنتم مؤمنين بالقران وكنتم ممن احلت لهم الغنايم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا
انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان
من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه

السلام قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام
الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاؤا القتل
وان شاؤا الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا
دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف
الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف
اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري
وقوله عليه السلام في هذه القصة لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه الا عمر اشارة الى
هذا من تصويب رأيه ورأي من اخذ بمأخذه في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه
وان هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشار
بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق وقال الداودي
والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه
ولا دليل من نص ولا جعل الامر فيه اليه وقد نزهه الله عن ذلك وقال القاضي بكر بن العلاء
اخبر الله نبيه في هذه الآية ان تاويله وافق ما كتبه له من احلال الغنايم والفداء وقد كان
قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه
فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل
النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم
ينكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته
وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب
وانكار وتذنيب هذا معنى كلامه واما قوله عبس وتولى الآيات فليس فيه اثبات ذنب

ومعناه
[illegible]
هذه
وتصويبه

السلام

له عليه السلام بل اعلام الله ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى
كان لو كشف لك حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل النبى صلى الله عليه وسلم لما فعل
وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له
لا معصية ومخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر
الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى وقيل اراد بعبس وتولى
الكافر الذى كان مع النبى صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام واما قصة ادم عليه السلام
وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ وقوله الم
انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية لقوله وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ اى
جهل وقيل اخطأ فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ
وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا قال ابن زيد نسى عداوة ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله إِنَّ
هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ الاية قيل نسى ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما سمى الانسان
انسانا لانه عهد اليه فنسى وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف
ابليس لهما انى لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روى عذر ادم
بمثل هذا فى بعض الاثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل
نسى ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اى قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على
ان العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عند اكله سكران وهذا فيه ضعف لان الله
وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم يكن معصية وكذلك ان كان ملبسا عليه
غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسى والساهى عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك
وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ثُمَّ اجْتَبَاهُ

رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل اكلها
متأولا وهو لا يعلم انها الشجرة التى نهى عنها لانه تأول نهى الله عن شجرة مخصوصة لا على
الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول ان الله لم ينهه
عنها نهى تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى ادم ربه وقال فتاب عليه
وقوله فى حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وانى نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسيأتى
الجواب عنه وعن اشباهه مجملا اخر الفصل إن شاء الله واما قصة يونس فقد مضى
الكلام على بعضها انفا وليس فى قصة يونس نص على ذنب وانما فيه أَبَقَ وذهب مغاضبا وقد
تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل لما
وعدهم العذاب ثم عفى الله عنهم قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا
يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام
انه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله أَبَقَ إِلَى
الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ قال المفسرون تباعد واما قوله إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فالظلم وضع الشئ فى
غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير
اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ
وقال الواسطى فى معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل
هذا قول ادم وحوا ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب فى وضعهما غير الموضع الذى انزلا
فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة داود عليه السلام فلا يجب
ان يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض
المفسرين ولم ينص الله على شئ من ذلك ولا ورد فى حديث صحيح والذى نص الله عليه قوله

وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ الى قوله وَحُسْنَ مَآبٍ وقوله فيه أَوَّابٌ فمعنى فتناه اى اختبرناه واوّاب

قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى قال ابن عبّاس وابن مسعود ما زاد داود على ان قال

للرّجل انزل لى عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبّهه عليه وانكر عليه شغله

بالدنيا وهذا الّذى ينبغى ان يعوّل عليه من امره وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل احبّ

بقلبه ان يستشهد وحكى السّمرقندى انّ ذنبه الّذى استغفر منه قوله لاحد الخصمين

لقد ظلمك فظلّمه بقول خصمه والى نفى ما اضيف فى الاخبار الى داود من ذلك ذهب احمد

ابن نصر وابو تمّام وغيرهما من المحقّقين قال الدّاودى ليس فى قصّة داود واوريا خبر يثبت

ولا يُظنّ بنبى محبّة قتل مسلم وقيل انّ الخصمين الّذين اختصما اليه رجلان فى نتاج غنم على ظاهر

الاية وامّا قصّة يوسف واخوته فليس على يوسف منها تعقّب وامّا اخوته فلم تثبت نبوّتهم

فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدّهم فى القران عند ذكر الانبياء قال

المفسّرون يريد من نبىّ من ابناء الاسباط وقد قيل انّهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوا

صغار الاسنان ولهذا لم يميّزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسل معنا اخانا

نرتع ونلعب وان ثبتت لهم نبوّة فبعد هذا والله اعلم وامّا قول الله تعالى فيه وَلَقَدْ هَمَّتْ

بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ فعلى طريق كثير من الفقهاء والمحدّثين انّ همّ النفس لا يؤاخذ

به وليست سيّئة لقوله عليه السّلام عن ربّه اذا همّ عبدى بسيّئة فلم يعملها كتبت

له حسنة فلا معصية فى همّه اذا وامّا على مذهب المحقّقين من الفقهاء والمتكلّمين

فانّ الهمّ اذا وُطّنت عليه النفس سيّئة وامّا ما لم توطّن عليه النّفس من همومها

وخواطرها فهو المعفوّ عنه وهذا هو الحقّ فيكون ان شاء الله همّ يوسف من هذا

ويكون قوله وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي الاية اى ما ابرّئها من هذا الهمّ او يكون ذلك منه على طريق

التواضع

التّواضع والاعتراف بمخالفة النّفس لما زُكّى قبل وبرّئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابى عبيدة

انّ يوسف لم يهمّ وانّ الكلام فيه تقديم وتأخير اى ولقد همّت به ولولا ان راى برهان

ربّه لهمّ بها وقد قال الله تبارك وتعالى عن المرأة وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ

وقال تعالى كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ وقال تعالى وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ

لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ الاية قيل فى ربّى الله وقيل الملك وقيل همّ بها اى

بزجرها ووعظها وقيل همّ بها اى غمّها امتناعه عنها وقيل همّ بها نظر اليها وقيل همّ بضربها

ودفعها وقيل هذا كلّه كان قبل نبوّته وقد ذكر بعضهم ما زال النّساء يملن الى يوسف ميل

شهوة حتّى نبّأه الله فالقى عليه هيبة النّبوّة فشغلت هيبته كلّ من راه عن حسنه وامّا خبر

موسى مع قتيله الّذى وكزه فقد نصّ الله تعالى انّه من عدوّه قال كان من القبط الّذين على

دين فرعون ودليل السّورة فى هذا كلّه انّه قبل نبوّة موسى وقال قتادة وكزه بالعصا ولم

يتعمّد قتله فعلى هذا لا معصية فى ذلك وقوله هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ وقوله ظَلَمْتُ

نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انّه لا ينبغى لنبىّ ان يقتل حتّى يؤمر وقال

النّقّاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانّما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل

انّ هذا كان قبل النّبوّة وهو مقتضى التّلاوة وقوله تعالى فى قصّته وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا اى

ابتليناك البلاء بعد ابتلاء قيل فى هذه القصّة وما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه

فى التّابوت واليمّ وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد

من قولهم فتنت الفضّة فى النّار اذا خلّصتها واصل الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن

الّا انّه استُعمل فى عرف الشّرع فى اختبار ادّى الى ما يكره وكذلك ما روى فى الخبر الصّحيح

من انّ ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه

السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى
دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له في صورة ادمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه
ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له
فيها الملك امتحانا من الله لهما فلما جاءه بعد واعلمه الله انه رسوله اليه استسلم وللمتقدمين
والمتاخرين على هذا الحديث اجوبة هذا اسدها عندي وهو تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله
المازري وقد تاوله قديما ابن عايشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين حجته وهو
كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف واما قصة سليمن وما حكى فيها اهل
التفسير من ذنبه وقوله وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمٰنَ فمعناه ابتلينا وابتلاؤه ما حكى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع وتسعين كلهن ياتين بفارس يجاهد
في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت
بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا
في سبيل الله قال اصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي أُلقِيَ على كرسيه حين عُرِضَ عليه
وهو عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك
وتمنيه وقيل لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته
اَنْ سُلِبَ ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لِأَخْتَانِهِ على خصمهم وقيل وُوخِذَ
بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه
على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد
عُصِمَ الانبياء من مثله وان سئل لم لم يقل سليمن في القصة المذكورة ان شاء الله فعنه
اجوبة اسدها ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى

والثاني انه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي لم يفعل
هذا سليمن غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون ان لا
يسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال
ذلك وقيل اراد ان تكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من انبياء
الله ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه و
احياء الموتى لعيسى واختصاص محمد بالشفاعة ونحو هذا واما قصة نوح عليه السلام
فظاهر العذر وانه اخذ فيها بالتاويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ فطلب
مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوى عليه من ذلك لا انه شك في وعد الله فبين الله عليه
انه ليس من اهله الذين وعده الله بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه انه مغرق
الذين ظلموا ونهيه عن مخاطبته فيهم فووخذ بهذا التاويل وعتب عليه واشفق هو من
اقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه وكان نوح فيما حكاه النقاش لا يعلم
بكفر ابنه وقيل في الاية غير هذا وكل هذا لا يقتضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من
تاويله واقدامه بالسؤال فيمن لم يؤذن له فيه ولا نُهِيَ عنه وما روي في الصحيح من ان نبيا
قرصته نملة فحرق قرية النمل فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم تسبح
فليس في هذا الحديث ان هذا الذي اتى معصية بل فعل ما راه مصلحة وصوابا بقتل من يؤذي
جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله الا ترى ان هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما اذته
النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله اليه ما يوجب عليه
معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ
اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها اذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة

يتوقعها من بقية التمل هناك ولم ثابت فى كل هذا امر انهى عنه فيعصى به ولا نص فيما
اوحى الله اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله اعلم فان قيل فما معنى قوله
عليه السلام ما من احد الا الم بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا او كما قال عليه السلام فالجواب
عنه كما تقدم من ذنوب الانبياء التى وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة فصل
فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصى بما ذكرته من اختلاف
المفسرين وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى وما تكرر فى القران
والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما
سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شىء فاعلم وفقنا الله واياك
ان درجة الانبياء فى الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته فى عباده وعظم سلطانه وقوة
بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم
فى تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم ووخذوا عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من
المؤاخذة بها واتوها على وجه التاويل او السهو او تزيد من امور الدنيا المباحة خايفون وجلون
وهى ذنوب بالاضافة الى على منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم
ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ من الشىء الدنى الرذل ومنه ذنب كل شىء اى اخره واذناب
الناس رذالهم فكان هذا ادنى افعالهم واسوء ما يجرى من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم و
عمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفى والخشية لله
واعظامه فى السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكباير والقبائح والفواحش ما يكون بالاضافة
اليه هذه الهنات فى حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين اى يرونها
بالاضافة الى على احوالهم كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة

وعظيم

كيف ما كانت من سهو او تاويل فهى مخالفة وترك وقوله غوى اى جهل ان تلك الشجرة هى التى
نهى عنها والغى الجهل وقيل اخطأ ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته وهذا يوسف
عليه السلام قد ووخذ بقوله لاحد صاحبى السجن اذكرنى عند ربك فانساه الشيطان
ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين قيل انسى يوسف ذكر الله وقيل انسى صاحبه ان يذكره
لسيده الملك قال النبى صلى الله عليه وسلم ولولا كلمة يوسف ما لبث فى السجن ما لبث
قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دونى وكيلا لاطيلن حبسك فقال
يا رب انسى قلبى كثرة البلوى وقال بعضهم يؤاخذ الانبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده وتجاوز
عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم فى اضعاف ما اتوا به من سوء الادب وقد قال المحتج للفرقة
الاولى على سياق ما قلناه اذا كان الانبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من
السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذا فى هذا اسوء حالا من غيرهم فاعلم اكرمك
الله انا لا نثبت لك المؤاخذة فى هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول انهم يؤاخذون بذلك فى
الدنيا ليكون ذلك زيادة فى درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة
رتبهم كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك الاية وقال
بعد قول موسى تبت اليك انى اصطفيتك على الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمن وانابته فسخرنا
له الريح الى وحسن ماب قال بعض المتكلمين زلات الانبياء فى الظاهر زلات وفى الحقيقة
كرامات وزلف واشار الى نحو مما قدمناه وايضا فلينبه غيرهم من البشر منهم او ممن ليس فى
درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم
ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم
ولهذا قال صالح المرى ذكر داود بسطة للتوابين قال ابن عطاء لم يكن ما نص الله من قصة

فلينتبه

صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة من نبينا عليه السلام وايضا فيقال لهم فانكم ومن
وافقكم تقولون بغفران الصغاير باجتناب الكباير ولا خلاف بعصمة الانبياء من الكباير
فما جوزتم من وقوع الصغاير عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها اذا عندكم
وخوف الانبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة
بافعال السهو والتاويل وقد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره
من الانبياء على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكراً لله على نعمه كما قال
عليه السلام وقد أمن من المؤاخذة بما تقدم وما تاخر افلا اكون عبدا شكورا وقال اني اخشاكم
لله واعلمكم بما اتقي قال الحارث بن اسد خوف الملئكة والانبياء خوف اعظام وتعبد لله
لانهم أمنوا وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم وليستن بهم اممهم كما قال عليه السلام لو تعلمون ما
اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا فان في التوبة والاستغفار معنى اخر لطيفا اشار اليه
بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله قال الله تعالى إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ
فاحداث الرسل والانبياء الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة في كل حين استدعاء لمحبة
الله والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه بعد ان غفر الله له ما تقدم
وما تاخر من ذنبه لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ الاية وقال فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا فصل قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته
عليه السلام عن الجهل بالله وصفاته اوكونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة
بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء مما قررناه من امور الشرع واداه عن
ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول مذ نبأه الله
وارسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه

عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكباير اجماعا وعن الصغاير تحقيقا وعن استدامة السهو
والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من
رضى وغضب وجد ومزح فيجب عليك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر
هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فايدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي او يجوز
او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يامن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا
ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل
من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط
عليه السلام على الرجلين اللذين راياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما انها
صفية ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما
شيئا فتهلكا هذه اكرمك الله احدى فوايد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلا
لا يعلم بجهله اذا سمع شيئا منها يرى ان الكلام جملة من فضول العلم وان السكوت اولى
وقد استبان لك انه متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر اليها في اصول الفقه
وتبنى عليها مسائل من الفقه لا تنعد وتتخلص بها من تشغيب مختلفي الفقهاء في عدة منها
وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من اصول
الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته
من المخالفة في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغاير وقع خلاف في امتثال
الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي
فيمن اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الامور ووصفه بها فمن لم يعرف ما
يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين

يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما ان يجتري سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا ويضيع
حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم ولسبيل هذا ما قد اختلف ارباب الاصول وائمة العلماء و
المحققين في عصمة الملئكة فصل في القول في عصمة الملئكة اجمع المسلمون ان الملئكة
مؤمنون فضلاء واتفق ائمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما
ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم واختلفوا في
غير المرسلين منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لَا يَعْصُونَ
اللّٰهَ مَا اَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ وبقوله وَمَا مِنَّا اِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَاِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ
وَاِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ وبقوله وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ وبقوله اِنَّ
الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ الآية وقوله كِرَامٍ بَرَرَةٍ وَلَا يَمَسُّهُ اِلَّا الْمُطَهَّرُونَ و
نحوه من السمعيات وذهبت طائفة الى ان هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا
باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله بعد ونبين الوجه فيها ان
شاء الله والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم و
منزلتهم عن جليل مقدارهم ورايت بعض شيوخنا اشار الى الاحاجة بالفقيه الى الكلام
في عصمتهم وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبياء من الفوائد التي
ذكرناها سوى فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة ههنا فمما احتج به من لم يوجب
عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقلة المفسرين وما
روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو
منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئا يؤخذ بقياس و
الذي منه في القران اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما

سنذكره

سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله اول الايات من افترائهم
بذلك على سليمن وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نحبر في ذلك
ما يكشف غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله فاختلف اولا في هاروت وماروت هل
هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة مَلَكَيْنِ او مَلِكَيْنِ وهل
ما في قوله وَمَا اُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ اَحَدٍ نافية او موجبة فاكثر المفسرين الى ان الله
امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه امن قال الله
تعالى اِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ وتعليمهما الناس له تعليم انذار اي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه
لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتحيلوا بكذا فانه سحر فلا تكفروا ففعل هذا فعل
الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن
خالد ابن ابي عمران انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان الناس السحر فقال نحن
ننزههما عن هذا فقرأ بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد
على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما ماذون لهما في تعليمه
بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله وابتلاء فكيف لا ننزههما عن كباير المعاصي
والكفر المذكورة في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس قال
مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمن يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في
ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكي قيل هما جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجيء به
كما ادعوا على سليمن فاكذبهم الله في ذلك بقوله وَلٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ببابل
هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان من اهل بابل
وقرأ وما انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن

تحيلوا به

ابن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمن وتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل
كانا ملكين من بنى اسرائيل فمسخهما الله حكاه السمرقندى والقراءة بكسر اللام شاذة فحمل
الاية على تقدير ابى محمد مكى حسن ينزه الملئكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا
وقد وصفهم الله بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه قصة
ابليس وانه كان من الملئكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه وانه استثناه
من الملئكة بقوله فَسَجَدُوا اِلَّا اِبْلِيسَ وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو
الجن كما ادم ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن
الذين طردتهم الملئكة فى الارض حين افسدوا والاستثناء من غير الجنس شايع فى كلام العرب
سايغ وقد قال الله تعالى مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ اِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ومما رووه فى الاخبار ان خلقا من
الملئكة عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا لادم فابوا فحرقوا ثم اخرون كذلك حتى سجد له من
ذكر الله الا ابليس فى اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا يشتغل بها الباب
الثانى فيما يخصهم فى الامور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية قد قدمنا انه
عليه السلام وسائر الانبياء والرسل من البشر وان جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه
من الافات والتغييرات والالام والاسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله
ليس بنقيصة فيه لان الشئ انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب
الله على اهل هذه الدار فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ وخلق جميع البشر بمدرجة
الغير فقد مرض عليه السلام واشتكى واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش ولحقه
الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه و
شجه الكفار وكسروا رباعيته وسقى السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه

مجرًا

التنشر

فتوفى صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه
سمات البشر التى لا محيص عنها واصاف غيره من الانبياء ما هو اعظم من هذا فقتلوا قتلا
ورموا فى النار ووشروا بالمياشير ومنهم من وقاه الله ذلك فى بعض الاوقات ومنهم
من عصمه كما عصم بعد نبينا من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمئة يوم احد ولا حجبه
عن عيون عداه عند دعوته اهل الطائف فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى جبل
ثور وامسك عنه سيف غورث وحجر ابى جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر الاعصم
فلقد وقاه ما هو اعظم منه من سم اليهودية وهكذا سائر انبيائه مبتلى ومعافا وذلك من
تمام حكمته ليظهر شرفهم فى هذه المقامات ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم
بشريتهم ويرتفع الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجايب على
ايديهم ضلال النصارى بعيسى بن مريم وليكون فى محنهم تسلية لاممهم ووفور لاجورهم
عند ربهم تماما على الذى احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغييرات
المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بنى ادم
لمشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملاء
الاعلى والملئكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحى منهم قال وقد قال عليه السلام ان عينى
تنامان ولا ينام قلبى وقال انى لست كهيئتكم انى ابيت يطعمنى ربى ويسقين وقال لست
انسى ولكن انسى ليستن بى فاخبر ان سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان الافات
التى تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شئ باطنه بخلاف غيره من
البشر فى حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام فى
نومه حاضر القلب كما هو فى يقظته حتى قد جاء فى بعض الاثار انه كان محروسا من الحدث

محنهم

في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره اذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت
قوته فبطلت بالكلية جملته وهو عليه السلام قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم
بقوله لست كهيئتكم انى ابيت يطعمنى ربى ويسقين وكذلك اقول انه فى هذه الاحوال كلها
من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه
ما لا يليق به كما يعترى غيره من البشر مما تاخذ بعد فى بيانه **فصل** فان قلت فقد جاءت
الاخبار الصحيحة انه عليه السلام سُحِر كما حدثنا الشيخ ابو محمد العتابى بقراءتى عليه قال
حدثنا حاتم بن محمد نا ابو الحسن على بن خلف نا محمد بن احمد نا محمد بن يوسف نا البخارى نا
عبيد بن اسمعيل قال نا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة قالت سُحِر رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشئ وما فعله وفى رواية اخرى
حتى كان يخيل اليه انه كان ياتى النساء ولا ياتيهن الحديث واذا كان هذا من التباس الامر
على المسحور فكيف حال النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم
فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت
به لسُخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك فى الشرع وقد نزه الله الشرع والنبى عما
يُدخِل فى امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه كانواع الامراض
مما لا يُنكَر ولا يقدح فى نبوته واما ما ورد انه كان يخيل اليه انه فعل الشئ ولا يفعله فليس
فى هذا ما يُدخِل عليه داخلة فى شئ من تبليغه او شريعته او يقدح فى صدقه لقيام الدليل
والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز طروءه عليه فى امر دنياه التى لم يُبعَث
بسببها ولا فضّل من اجلها وهو فيها عُرضَة للافات كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل اليه
من امورها ما لا حقيقة له ثم ينجلى عنه كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الاخر

من قوله

من قوله حتى يخيل اليه انه ياتى اهله ولا ياتيهن وقد قال سفيان وهذا اشد ما يكون من
السحر ولم يات فى خبر منها انه نُقِل عنه فى ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله
وانما كانت خواطر وتخيلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يتخيل الشئ انه فعله
وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد واقواله على
الصحة هذا ما وقفت عليه لائمتنا من الاجوبة عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى
كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لى فى الحديث
تاويل اجلى وابعد من مطاعن ذوى الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو ان عبد
الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر
يهود بنى زُرَيقٍ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه فى بئر حتى كاد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر ورُوِىَ نحوه عن
الواقدى وعن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم وذكر عن عطاء الخراسانى عن يحيى بن يَعمَر
حُبِسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عايشة سنة فبينا هو نائم اتاه ملكان فقعد
احدهما عند راسه والاخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن عايشة خاصة سنة حتى انكر بصره وروى محمد بن سعد عن ابن عباس مرض
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان
وذكر القصة فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره
وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانه انما اثر فى بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه
واضعف جسمه وامرضه ويكون معنى قوله يخيل اليه انه ياتى اهله ولا ياتيهن اى يظهر له من
نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا دنا منهن اصابته اُخذَةُ السحر فلم يقدر

وروى نحوه الواقدى عن عبد الرحمن بن كعب ح

على اتيانهن كما يعترى من اخذ واعترض ولعله لمثل هذا اشار سفيان بقوله وهذا اشد ما
يكون من السحر ويكون قول عايشة فى الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشئ وما فعله
من باب ما اختل من بصره كما ذكر فى الحديث فيظن انه راى شخصا من بعض ازواجه او شاهد
فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه فى بصره وضعف نظره لا لشئ طرأ عليه فى
ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له وتاثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به
الملحد المعترض انسا فصل هذه حالة فى جسمه فاما احواله فى امور الدنيا فنحن نسبرها على
اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل اما العقد منها فقد يعتقد فى امور الدنيا الشئ
على وجه ويظهر خلافه او يكون منه على شك او ظن بخلاف امور الشرع كما حدثنا ابو بحر
سفيان بن العاص وغير واحد سماعا وقراءة قالوا انا ابو العباس احمد بن عمر قال حدثنا ابو العباس
الرازى نا ابو احمد بن عمرويه نا ابن سفيان نا مسلم نا عبد الله بن الرومى وعباس العنبرى واحمد
المعقرى قالوا انا النضر بن محمد قال حدثنى عكرمة حدثنا ابو النجاشى قال حدثنا رافع بن خديج
قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يابرون النخل فقال ما تصنعون قالوا
كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنفضت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر
اذا امرتكم بشئ من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشئ من راى فانما انا بشر وفى رواية انس انتم
اعلم بامر دنياكم وفى حديث اخر انما ظننت ظنا فلا تؤاخذونى بالظن وفى حديث ابن عباس
فى قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو
حق وما قلت فيه من قبل نفسى فانما انا بشر اخطئ واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من
قبل نفسه فى امور الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده فى شرع شرعه
وسنة سنها وكما حكى ابن اسحق انه عليه السلام لما نزل بادنى مياه بدر قال له الحباب بن

المنذر

المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ام هو الراى والحرب والمكيدة قال لا
بل هو الراى والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض حتى ناتى ادنى ماء من القوم فننزله
ثم نعور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال اشرت بالراى وفعل ما قاله وقد قال
له الله وشاورهم فى الامر واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار
الانصار فلما اخبروه برايهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التى لا مدخل فيها
العلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرنا اذ ليس فى هذا كله نقيصة و
لا محطة وانما هى امور اعتقادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبى
مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة
الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون فى بعض الامور ويجوز فى النادر وفيما سبيله التدقيق
فى حراسة الدنيا واستثمارها لا فى كثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه
السلام من المعرفة بامور الدنيا ودقايق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو معجز فى
البشر مما قد نبهنا عليه فى باب معجزاته من هذا الكتاب فصل واما ما يعتقد فى امور
احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فهذه
السبيل لقوله عليه السلام انما انا بشر وانكم تختصمون الى ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته
من بعض فاقضى له على نحو مما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه بشئ فلا ياخذ منه شيئا
فانما اقطع له قطعة من النار حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله نا الحسين بن محمد الحافظ
نا ابو عمر نا ابو محمد نا ابو بكر نا ابو داود نا محمد بن كثير انا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه
عن زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث
وفى رواية الزهرى عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق فاقضى

له وتجري احكامه عليه السلام على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد و
يمين الحالف ومراعاة الاشبة ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في
ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه على سراير عباده ومخبآت ضماير امته فتولى الحكم بينهم
بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله امته
باتباعه والاقتداء به في افعاله واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه
ويؤثره الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية
من قضاياه لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو اذا
في ذلك بالمكنون من اعلام الله له بما اطلعه عليه من سرايرهم وهذا ما لا تعلمه الامة
فاجرى الله تعالى احكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء
امته به في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على علم ويقين من سنته
اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتاويل المتاول وكان حكمه على
الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام
وليقتدي بذلك كله حكام امته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي
ذلك عنه من علم الغيب الذي استاثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستاثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة
من عصمته فصل واما اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله
او فعله فقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى اي وجه من عمد وسهو او
صحة او مرض او رضى او غضب وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه
الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها

فجايز

ويستوثق

فجايز ورودها منه في الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه
لئلا ياخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب
المؤمنين من صحابته وتاكيدا في تحبيبهم ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة و
قوله للمراة التي سالته عن زوجها اهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن
ناقة وكل انسان بعينه بياض وقد قال عليه السلام اني لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله
فيما بابه الخبر فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا
يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان يامر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو يبطن خلافه و
قد قال عليه السلام ما كان لنبي ان تكون له خاينة الاعين فكيف ان تكون له خاينة قلب
فان قلت فما معنى اذا قوله تعالى في قصة زيد وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ
أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ الاية فاعلم اكرمك ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن الظاهر وان يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين
واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله تعالى كان اعلم نبيه ان زينب
ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى
منه في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج
وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن فايد عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه و
سلم يعلمه ان الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا قول
المفسرين في قوله بعد هذا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا اي لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا
ان الله لم يبد من امره معها غير زواجه لها فدل انه الذي اخفاه عليه السلام مما كان
اعلمه به تعالى في القصة مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ الاية فدل

انه لم يكن عليه حرج في الامر قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه في ما احل مثال فعله لمن قبله
من الرسل قال الله سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ اى من النبيين فيما احل لهم ولو كان على
ماروى في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند ما اعجبته و
محبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مدّ عينيه لما نهى عنه من
زهرة الحيوة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذى لا يرضاه ولا يتسم به الاتقياء فكيف
سيد الانبياء قال القشيري وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله
عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت
ولا كان النساء يحتجبن منه عليه السلام وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها
وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال ما كان
مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وقال لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ ونحوه لابن
فورك وقال ابو الليث السمرقندي فما الفائدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها
فهو ان الله اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها اذ لم تكن
بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امراة ابنه
فامره الله بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في
ازواج ادعيائهم وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذا
اذا جوزنا عليه انه رآها فجاءة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن
ادم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاءة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا
بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه عن علي بن
حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضي القشيري

وعليه

وعليه عول ابو بكر بن فورك وقال انه معنى ذلك عند المحققين من اهل التفسير قال
والنبي عليه السلام منزه عن استعمال النفاق في ذلك واظهار خلاف ما في نفسه و
قد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قال ومن ظن
ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد اخطأ وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه
الاستحياء اى تستحيي منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشيته عليه السلام من الناس
كانت من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد
نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم
فيما احله لهم كما عتبه على مراعات رضا ازواجه في سورة التحريم بقوله لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ
ٱللَّهُ لَكَ الاية كذلك قوله له ههنا وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ وقد روى عن الحسن
وعايشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الاية لما فيها من عتبه و
ابداء ما اخفاه فصل فان قلت قد تقررت عصمته عليه السلام في جميع احواله وانه
لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح
ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته عليه السلام الذى حدثنا به
القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال نا القاضي ابو الوليد قال نا ابو ذر نا ابو محمد وابو الهيثم
وابو اسحق قالوا نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل قال نا علي بن عبد الله عن ابن عباس لما
حُضِر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ايتوني اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا
فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال دعوني فان الذى انا فيه خير وفي بعض طرقه ان النبي

أهجراء أهجراء أهجره

صلى الله عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى أهجر وفيه فقال عمر ان النبي قد اشتد
به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف
اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال أئمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم غير
معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه
معصوم ان يكون منه من القول اثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدي الى فساد في شريعته من
هذيان او اختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر اذ معناه
هذى يقال هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى
أهجر على طريق الانكار على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية
جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا اضبطه
الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه عن مسلم في سفيان وعن غيره
وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف الف الاستفهام والتقدير اهجر او ان يحمل
قول القائل هجر او أهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله
عليه وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والامر الذي هم بالكتاب فيه
حتى لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا انه اعتقد انه يجوز عليه
الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته والله يقول ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ونحو هذا واما
على رواية اهجرا وهي رواية ابي اسحق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من
رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم
من بعضهم اي جئتم باختلافكم على رسول الله وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم

أو أهجره

الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد امره
لهم عليه السلام ان يأتوه بالكتاب فقال بعضهم أوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم
ايجابها من ندبها من اباحتها بقراين فلعل قد ظهر من قراين قوله عليه السلام لبعضهم
ما فهموا انه لم تكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال
استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم تكن عزمة ولما راوه من صواب رأي عمر ثم
هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر اما اشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في
تلك الحال املاء الكتاب وان تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي اشتد به
الوجع وقيل خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة وراى ان
الارفق بالامة في تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون
المصيب والمخطئ ماجورا وقد علم عمر تقرر الشرع وتاسيس الملة وان الله قال ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ
لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وقوله عليه السلام اوصيكم بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله
رد على من نازعه لا على امر النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين
ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل
كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك وقيل انه كان من النبي صلى الله عليه وسلم لهم
على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك ام يختلفون فلما اختلفوا تركه وقالت
طائفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب
منه لا انه ابتدأ بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم
للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي انطلق بنا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر فينا علمناه وكراهة علي هذا وقوله والله لا افعل

الحديث واستدل بقوله دعوني فان الذي انا فيه خير اي الذي انا فيه خير من ارسال الامر
وترككم وكتاب الله وان تدعوني مما طلبتم وذكر ان الذي طلب كتابة امر الخلافة بعده
وتعيين ذلك فصل فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذي حدثناه الفقيه ابو محمد الخشني
بقراءتي عليه نا ابو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي نا ابو احمد الجلودي قال نا ابرهيم بن سفيان
نا مسلم بن الحجاج نا قتيبة نا ليث عن سعيد بن ابي سعيد عن سالم مولى النصريين قال سمعت
ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انما انا محمد بشر يغضب كما
يغضب البشر واني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مؤمن اذيته او سببته او
جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وفي رواية فايما احد دعوت
عليه دعوة وفي رواية ليس لها باهل وفي رواية فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته او
جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم
من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد او يفعل مثل
ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك ان قوله اولا ليس
لها باهل اي عندك يا رب في باطن امره فان حكمه عليه السلام على الظاهر كما قال وللحكمة
التي ذكرناها فحكم عليه السلام بجلده او ادبه بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره
ثم دعا عليه السلام لشفقته على امته ورافته ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله بها
وحذره ان يتقبل فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل دعاءه ولعنه له رحمة فهو معنى قوله ليس لها
باهل لا انه عليه السلام يحمله الغضب ويستفزه الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه
من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر ان الغضب حمله على
معاقبته بلعنته او سبه وانه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير بين المعاقبة فيه

طلب كتابة امر الخلافة

او العفو عنه وقد يحمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر من تعدي
حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد في غير موطن على
غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس المراد بها الاجابة كقوله تربت
يمينك ولا اشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد في صفته في
غير حديث انه عليه السلام لم يكن فحاشا وقال انس لم يكن سبابا ولا فاحشا ولا لعانا
وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ماله ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم
اشفق عليه السلام من موافقة امثالها اجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث ان يجعل
ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتانيسا له
لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه
ما يحمله على الناس والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده او سبه على حق
وبوجه صحيح ان يجعل ذلك له كفارة لما اصاب وتمحية لما اجترم وان تكون عقوبته له
في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الاخر ومن اصاب من ذلك شيئا
فعوقب فهو له كفارة فان قلت فما معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم له
حين تخاصمه مع الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري
ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق
يا زبير ثم احبس الماء حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه
ان يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة امر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب
الزبير اولا الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الاخر
ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري

او العفو

على هذا الحديث باب اذا اشار الامام بالصّلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر فى اخر الحديث
فاستوعى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حينئذ حقّه للزّبير وقد جعل المسلمون هذا
الحديث اصلا فى قضيّته وفيه الاقتداء به صلّى الله عليه وسلّم فى كلّ ما فعله فى حال
غضبه ورضاه وانّه وان نهى ان يقضى القاضى وهو غضبان فانّه فى حكمه فى حال الغضب
والرّضى سواء لكونه فيهما معصوما وغضب النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى هذا انّما كان لله
تعالى لا لنفسه كما جاء فى الحديث الصّحيح وكذلك الحديث فى اقادته عُكّاشَةَ من نفسه
لم يكن لتعمّد حمله الغضب عليه بل وقع فى الحديث نفسه انّ عكّاشة قال له وضربتنى
بالقضيب فلا ادرى اعمدا ام اردت ضرب النّاقة فقال النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم
اعيذك يا عكّاشة ان يتعمّدك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكذلك فى حديثه الآخر
مع الاعرابىّ حين طلب عليه السّلام الاقتصاص منه فقال الاعرابىّ قد عفوت عنك
وكان النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم قد ضربه بالسّوط لتعلّقه بزمام ناقته مرّة بعد اخرى
والنّبىّ صلّى الله عليه وسلّم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يأتى فضربه بعد ثلاث
مرّات وهذا منه عليه السّلام لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع ادب لكنّه عليه
السّلام اشفق اذ كان حقّ نفسه من الامر حتّى عفا عنه واما حديث سواد بن عمرو اتيت النّبىّ
صلّى الله عليه وسلّم وانا متخلّق فقال وَرْسٌ وَرْسٌ حُطّ حُطّ وغشينى بقضيب فى يده فى
بطنى فاوجعنى قلت القصاص يا رسول الله فكشف لى عن بطنه انّما ضربه عليه السّلام
لمنكر رآه به ولعلّه لم يرد بضربه بالقضيب الّا تنبيهه فلمّا كان منه ايجاع لم يقصده
طلب التحلّل منه على ما قدّمناه. فصل واما افعاله عليه السّلام الدّنيويّة فحكمه فيها من
توقّى المعاصى والمكروهات ما قدّمناه ومن جواز السّهو والغلط فى بعضها ما ذكرناه وكلّه

غير قادح

غير قادح فى النبوّة بل انّ هذا فيها على النّدور اذ عامّة افعاله على السّداد والصّواب بل
اكثرها او كلّها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيّنّا اذ كان عليه السّلام لا يأخذ
منها لنفسه الّا ضرورته وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته الّتى بها يعبد ربّه ويقيم
شريعته ويسوس امّته وما كان فيما بينه وبين النّاس من ذلك فبين معروف يصنعه
او برّ يوسعه او كلامٍ حسنٍ يقوله او يَسْمَعُهُ او تألّف شاردا او قهر معاندا او مداراة حاسد
وكلّ هذا لاحق بصالح اعماله منتظم فى زاكى وظايف عباداته وقد كان يخالف فى افعاله
الدّنيويّة بحسب اختلاف الاحوال ويُعِدُّ للامور اشباهها فيركب فى تصرّفه لما قرب
الحمار وفى اسفاره الرّاحلة ويركب البغلة فى معارك الحرب دليلا على الثّبات ويركب الخيل
ويعدّها ليوم الفزع واجابة الصّارخ وكذلك فى لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار مصالحه
ومصالح امّته وكذلك يفعل الفعل من امور الدّنيا مساعدة لامّته وسياسة وكراهية
لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه
وقد يفعل هذا فى امور الدّينيّة ممّا له الخيرة فى احد وجهيه كخروجه من المدينه لاحد
وكان مذهبه التحصّن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم موالفة لغيرهم ورعاية
للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لان يقول النّاس انّ محمّدا يقتل اصحابه كما جاء فى الحديث و
تركه بناء الكعبة على قواعد ابرهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من
نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدّم عداوتهم للدّين واهله فقال لعايشة فى الحديث الصّحيح
لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت على قواعد ابرهيم ويفعل الفعل ثمّ يتركه لكون
غيره خيرا منه كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدوّ من قريش وكقوله لو استقبلت
من امرى ما استدبرت ما سقت الهدى ويبسط وجهه للكافر والعدوّ رجاء استيلافه

وكراهته

امورهم

ويصبر للجاهل ويقول انّ من شرار النّاس من اتّقاه النّاس لشرّه ويبذل له الرّغايب ليحبّب اليه
شريعته ودين ربّه ويتولّى في منزله مايتولّى الخادم من مَهْنَتِهِ وَيَتَسَمَّتُ في مُلَاتِهِ حتّى لايبدو
منه شئ من اطرافه وحتّى كانّ على رؤس جلسائه الطّير ويتحدّث مع جلسائه بحديث اوّلهم
ويتعجّب ممّا يتعجّبون منه ويضحك ممّا يضحكون منه قد وسع النّاس بشره وعدله لايستفزّه
الغضب ولايقصّر عن الحقّ ولايبطن على جلسائه يقول ماكان لنبيّ ان تكون له خائنة الاعين
فان قلت فما معنى قوله لعايشة في الدّاخل عليه بئس ابن العشيرة فلمّا دخل الان له القول
وضحك معه فلمّا سالته عن ذلك قال انّ من شرّ النّاس من اتّقاه النّاس لشرّه وكيف جاز
ان يظهر له خلاف مايبطن ويقول في ظهره ماقال فالجواب انّ فعله عليه السّلام كان
استيلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكّن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه ويراه
مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حدّ مداراة الدّنيا
الى السّياسة الدّينيّة وقد كان يستالفهم باموال الله العريضة فكيف بالكلمة اللّيّنة
قال صفوان لقد اعطاني وهو ابغض الخلق الىّ فما زال يعطيني حتّى صار احبّ الخلق الىّ و
قوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله و
يحترز منه ولايوثق بجانبه كلّ الثّقة لاسيّما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان
لضرورة ودفع مضرّة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في بعض الاحيان كعادة المحدّثين
في تجريح الرّواة والمزكّين في الشّهود فان قيل فما معنى المُعْضِلِ الوارد في حديث بريرة من قوله
عليه السّلام لعايشة وقد اخبرته انّ موالي بريرة ابوا بيعها الّا ان يكون لهم الوَلاءُ فقال لها
عليه السّلام اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت ثمّ قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون
شروطا ليست في كتاب الله كلّ شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم

قدامرها

قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من عايشة كما لم يبيعوها
قبل حتّى شرطوا ذلك عليها ثمّ ابطله عليه السّلام وهو قد حرّم الغِشّ والخديعة فاعلم
اكرمك الله انّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم منزّه عمّا يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النّبيّ
عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزّيادة قوله اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث
ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى اُولٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وقال
وَاِنْ اَسَاْتُمْ فَلَهَا فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم
ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان انّ قوله عليه السّلام
اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التّسوية والاعلام بانّ شرطه لهم لاينفعهم
بعد بيان النّبيّ لهم قبل انّ الولاء لمن اعتق فكانّه قال اشترطي او لاتشترطي فانّه شرط غير
نافع والى هذا ذهب الدّاوديّ وغيره وتوبيخ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لهم وتقريعهم
على ذلك يدلّ على علمهم به قبل هذا الوجه الثّالث انّ معنى قوله اشترطي لهم الولاء اي
اظهري لهم حكمه وبيّني عندهم سنّته انّ الولاء انّما هو لمن اعتق ثمّ بعد هذا قام هو صلّى
الله عليه وسلّم مبيّنا ذلك وموبّخا على مخالفة ما تقدّم منه فيه فان قيل فما معنى
فعل يوسف عليه السّلام باخيه اذ جعل السّقاية في رحله واخذه باسم سرقتها وما
جرى على اخوته في ذلك وقوله انّكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك الله انّ الاية تدلّ
على انّ فعل يوسف كان عن امر الله لقوله تعالى كَذٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَاكَانَ لِيَاْخُذَ اَخَاهُ
فِي دِينِ الْمَلِكِ اِلَّا اَنْ يَشَاءَ اللهُ الاية فاذا كان ذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضا
فانّ يوسف كان اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه
ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له وازاحة السّوء والمضرّة عنه بذلك واما قوله ايّتها

العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم عليه جواب لحلّ شبهة ولعلّ قائله ان احسن
له التاويل كائنا من كان ظنّ على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل
بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان نقول الانبياء ما لم يات انّهم قالوه حتّى
يُطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلّات غيرهم فصل فان قيل فما الحكمة
فى اجراء الامراض وشدّتها عليه وعلى غيره من الانبياء على جميعهم السّلام وما الوجه
فى ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايّوب ويعقوب ودانيال ويحيى
وزكريّا وعيسى وابرهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه واحبّاؤه
واصفياؤه فاعلم وفّقنا الله وايّاك انّ افعال الله تعالى كلّها عدل وكلماته جميعها صدق
لا مبدّل لكلماته يبتلى عباده كما قال لهم لينظر كيف تعملون وليبلوكم ايّكم احسن عملا وليعلم
الّذين امنوا ويعلم الصّابرين وحتّى يعلم المجاهدين منكم والصّابرين ويبلوا اخباركم فامتحانه
ايّاهم بضروب المحن زيادة فى مكانتهم ورفعة فى درجاتهم واسباب لاستخراج حالات
الصّبر والرّضى والشّكر والتّسليم والتّوكّل والتّفويض والدّعاء والتّضرّع منهم وتاكيد لبصايرهم
فى رحمة الممتحنين والشّفقة على المبتلين ويتسلّوا فى المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم
فى الصّبر ومحو لهنات فرطت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا الله طيّبين مهذّبين
وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدّثنا القاضى ابو علىّ الحافظ نا ابو الحسين
الصّيرفىّ وابو الفضل ابن خيرون قالا نا ابو يعلى البغدادىّ قال نا ابو علىّ السّنجىّ نا محمّد بن
محبوب نا ابو عيسى التّرمذىّ نا قتيبة نا حمّاد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب
ابن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله اىّ النّاس اشدّ بلاء قال الانبياء ثمّ الامثل فالامثل
يُبتلى الرّجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتّى يتركه يمشى على الارض ما عليه خطيئة

فيجب

يقول

صوابه ولمّا يعلم الله الّذين جاهدوا منكم ويعلم الصّابرين

صوابه حتّى نعلم المجاهدين منكم والصّابرين

٢ وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم ليتأسّوا فى البلاء بهم صح

وكما قال

وكما قال تعالى وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ الايات الثّلاث وعن ابى هريرة ما يزال
البلاء بالمؤمن فى نفسه وولده وماله حتّى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس عنه عليه
السّلام اذا اراد الله بعبده الخير عجّل له العقوبة فى الدّنيا واذا اراد الله بعبده الشّرّ
امسك عنه بذنبه حتّى يوافى به يوم القيمة وفى حديث اخر اذا احبّ الله عبدا ابتلاه
ليسمع تضرّعه وحكى السّمرقندىّ انّ كلّ من كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشدّ كى يتبيّن
فضله ويستوجب الثّواب كما روى عن لقمان انّه قال يا بنىّ الذّهب والفضّة يُختبران
بالنّار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكى انّ ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه التفاته فى
صلاته اليه ويوسف نائم محبّة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل حَمَلٍ
مَشْوِيٍّ وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشمّ ريحه وبكى وبكت جدّة له عجوز لبكائه
وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا على يوسف
الى ان سالت حدقتاه وابيضّت عيناه من الحزن فلمّا علم بذلك كان بقيّة حياته يامر مناديا
ينادى على سطحه الا من كان مفطرا فليتغدّ عند ال يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة الّتى
نصّ الله عليها وروى عن اللّيث انّ سبب بلاء ايّوب انّه دخل مع اهل قريته على ملكهم
فكلّموه فى ظلمه واغلظوا له الّا ايّوب فانّه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه ومحنة
سليمن لما ذكرناه من نيّته فى كون الحقّ فى جنبة اصهاره او للعمل بالمعصية فى داره ولا علم
عنده وهذه فائدة شدّة المرض والوجع بالنّبىّ صلّى الله عليه وسلّم وعن عبد الله قال
رايت النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت انّك لتوعك
وعكا شديدا قال اجل انّى اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك انّ لك الاجر مرّتين قال
اجل ذلك كذلك وفى حديث ابى سعيد انّ رجلا وضع يده على النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم فقال

والله ما اطيق اضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر
الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي ليبتلى
بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم
ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضى ومن سخط
فله السخط وقد قال المفسرون في قوله تعالى مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ان المسلم يجزى بمصائب
الدنيا فتكون له كفارة وروى هذا عن عايشة وابي ومجاهد وقال ابو هريرة عنه عليه السلام
من يرد الله به خيرا يُصِبْ منه وقال في رواية عايشة ما من مصيبة تصيب المسلم الا يكفر
الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية ابي سعيد ما يصيب المؤمن من نَصَبٍ ولا
وَصَبٍ ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي
حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما يُحَتُّ ورق الشجر
وحكمة اخرى اودعها الله في الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند
مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مؤنة النزع و
شدة السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك خلاف موت الفجاة واخذه
كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال عليه
السلام مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية ابي هريرة
من حيث اتتها الريح تكفأها فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يُكَفَّأُ بالبلاء ومثل
الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى يقصمه الله معناه ان المؤمن مُرَزَّأٌ مصاب بالبلاء
والامراض راض بتصريفه بين اقدار الله منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة تسخطه كطاعة
خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما اتتها فاذا ازاح الله

عن المؤمن رياح البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو
رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه
السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتد عليه سكراته ونزعه لعادته
بما تقدمه من الالام ومعرفة ما له فيها من الاجر وتوطينه نفسه على المصايب ورقتها و
ضعفها بتوالي المرض اوشدته والكافر بخلاف هذا معافا في غالب حاله ممتع بصحة جسمه
كالارزة الصماء حتى اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا
رفق فكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما
وعذابا ولعذاب الاخرة اشد كانجعاف الارزة وكما قال تعالى فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ وكذلك عادة الله في اعدائه كما قال تعالى فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ
أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ الاية فجاء جميعهم بالموت على حال عتو
وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا ما كره السلف موت الفجأة ومنه
في حديث ابرهيم كانوا يكرهون اخذةً كاخذة الاسف اي الغضب يريد موت الفجأة وحكمة
ثالثة ان الامراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد
من اصابته وعلم تعاهدها له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الانكاد ويكون
قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل العباد ويؤدي
الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه فيمن يخلفه او امر يعهده وهذا نبينا صلى الله
عليه وسلم المغفور له ما تقدم وما تاخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه
مال او حق في بدن واقاد من نفسه وماله وامكن من القصاص منه على ما ورد في حديث
الفضل وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالانصار عيبته

ودعا الى كتب كتاب لئلا تضل امته بعده اما فى النص على الخلافة او الله اعلم بمراده
ثم راى الامساك عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين واولياء المتقين
وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لاملاء الله لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم من حيث
لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا
يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ولذلك قال عليه السلام فى رجل مات
فجاة سبحان الله كانه على غضب المحروم من حرم وصيته وقال موت الفجاة راحة للمؤمن
واخذة اسف للكافر والفاجر وذلك لان الموت ياتى المؤمن وهو غالبا مستعد له
منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف ما جاء وافضى الى راحته من نصب الدنيا واذاها
كما قال عليه السلام مستريح ومستراح منه وياتى الكافر والفاجر منيته على غير استعداد
ولا اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها
ولا هم ينظرون فكان الموت اشد شيء عليه وفراق الدنيا افظع امر صدمه واكره شيء له
والى هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره
لقاء الله كره الله لقاءه القسم الرابع فى تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه
عليه السلام قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه قد تقدم من الكتاب والسنة و
اجماع ما يجب من الحقوق للنبى صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم
واكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى اذاه فى كتابه واجمعت الامة على قتل متنقصه من
المسلمين وسابه قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة
واعد لهم عذابا مهينا وقال تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال الله
تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان

عند الله

عند الله عظيما وقال تعالى فى تحريم التعريض له يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا
انظرنا واسمعوا الاية وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اى ارعنا سمعك
واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وقطع
الذريعة بنهى المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به
وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما
فيها من قلة الادب وعدم توقير النبى صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها فى لغة الانصار
بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو عليه
السلام واجب الرعاية بكل حال وهذا هو عليه السلام قد نهى عن التكنى بكنيته فقال
تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان صلى الله عليه وسلم
استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكنى
بكنيته لئلا يتاذى باجابة دعوة غيره ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزؤن
ذريعة الى اذاه والازراء به فينادوه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا له
واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى اذاه بكل وجه
فحمل محققوا العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة
وللناس فى هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب
ان شاء الله وان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على
التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله منع من ندائه به لقوله لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبى الله وقد يدعوه
بكنيته ابا القاسم بعضهم فى بعض الاحوال وقد روى انس عنه عليه السلام ما يدل

لمن ع

يدعونه

على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم
وروى ان عمر كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر
الطبري وحكى محمد بن سعد انه نظر الى رجل اسمه محمد ويسبه ويقول له فعل الله بك
يا محمد وصنع فقال عمر لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب الا ارى محمدا عليه السلام
يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن واراد ان يمنع لهذا ان
يسمى احد باسماء الانبياء اكراما لهم بذلك وغير اسماءهم وقال لا تسموا باسماء الانبياء
ثم امسك والصواب جواز هذا كله بعده عليه السلام بدليل اطباق الصحابة على
ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم
اذن في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد اخبر عليه السلام ان ذلك اسم المهدي وكنيته
وقد سمى به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت بن
قيس وغير واحد وقال ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلثة وقد
فصلت الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمناه الباب الاول في بيان ما هو في حقه
عليه السلام سب او نقص من تعريض او نص اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب
النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق به نقصا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة
من خصاله او عرض به او شبهه بشيء على طريق السب له او الازراء عليه او التصغير
لشانه او الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا
نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا
وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق
الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور او عيره

بشئ مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة و
المعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله
عليهم الى هلم جرا قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله
عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي
قال القاضي ابو الفضل وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته
عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم
لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري مثله عن ابي
حنيفة واصحابه فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم او برئ منه او كذبه وقال سحنون فيمن سبه
ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حدا او كفر كما
سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الامصار
وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو
ابو محمد علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه
قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر
والوعيد جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه
كفر واحتج ابرهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن
نويرة لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمن الخطابي لا اعلم احدا من
المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب سحنون والمبسوط
والعتبية وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم
من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القاسم في العتبية او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل

وحكمه عند الائمة القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من
شتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام مخير
في صلبه حيا او قتله ومن رواية ابي المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب
رسول الله صلى الله عليه وسلم او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب و
في كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم او غيره من
النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك او
اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي
صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله عن اشهب
عن مالك وروى ابن وهب عن مالك من قال ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى
زر النبي صلى الله عليه وسلم وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على ان
من دعا على نبي من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن
القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الجمال يتيم ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد
ابن ابي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل
قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا المار في خلقه ولحيته
قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج هذا من قلب سليم الايمان وقال احمد
ابن ابي سليمن صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل وقال في
رجل قيل له لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول
يا عدو الله فقال اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقرب فقال ابن ابي
سليمن للذي ساله اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع

لان ادعاءه التاويل في لفظ صراح لا يقبل لانه امتحان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا موقر له فوجب اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل
اد واشك الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان سالت او جهلت فقد جهل وسال النبي
بالقتل وافتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به
من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن
حيدرة وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه لهذا وافتى
فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل ابرهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من
العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي ابي العباس ابن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور
منكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا عليه السلام فاحضر له القاضي
يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم
انزل واحرق بالنار وحكى بعض المورخين انه لما رفعت خشبته وزالت عنها الايدي
استدارت وحولته عن القبلة فكان اية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال
يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه السلام انه لا يلغ
الكلب في دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو على
بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك واصحابه
ان من قال فيه عليه السلام ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب و
السنة موجبان ان من قصد النبي صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا
وان قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله

لم يختلف في ذلك متقدّمهم ولا متاخّرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه

ونبيّنه بعد ان شاء الله وكذلك اقول حكم من غمصه او عيّره برعاية الغنم او السّهو او

النّسيان او السّحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوّه او شدّة

من زمنه او بالميل الى نسائه فحكم هذا كلّه لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب

العلماء في ذلك وتاتي مايدلّ عليه فصل في الحجّة في ايجاب قتل من سبّه او عابه عليه

السّلام فمن القران لعنه تعالى لموذيه في الدّنيا والاخرة وقرانه تعالى اذاه باذاه ولا خلاف

في قتل من سبّ الله وانّ اللعن انّما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال انّ

الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ الاية وقال في قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنته في

الدنيا القتل قال الله تعالى مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا وقال في المحاربين

وذكر عقوبتهم ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قُتِلَ

الْخَرَّاصُونَ وقَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ اى لعنهم الله ولانّه فرق بين اذاهما واذى المؤمنين

وفي اذى المؤمنين مادون القتل من الضرب والنّكال فكان حكم موذى الله ونبيّه اشدّ من

ذلك وهو القتل وقال الله تعالى فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ الاية

فسلب اسم الايمان عمّن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلّم له ومن تنقّصه فقد

ناقض هذا وقال تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ الى قوله أَنْ

تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ ولا يحبط العمل الّا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا

لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ثمّ قال حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ وقال تعالى وَمِنْهُمُ الَّذِينَ

يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ثمّ قال وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وقال تعالى

وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ الى قوله قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ قال اهل التفسير

كفرتم بقولكم في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم واما الاجماع فقد ذكرناه واما الاثار فحدّثنا

الشّيخ احمد بن محمّد بن غلبون عن الشّيخ ابي ذرّ الهرويّ اجازة قال نا ابو الحسن الدّارقطني

وابو عمر بن حيّويَة نا محمّد بن نوح نا عبد العزيز بن محمّد بن الحسن بن زبالة نا عبد الله بن موسى

ابن جعفر عن علي بن موسى عن ابيه عن جدّه عن محمّد بن علي بن الحسين عن ابيه عن الحسين

ابن علي عن ابيه انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال من سبّ نبيّا فاقتلوه ومن سبّ

اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصّحيح امر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بقتل كعب بن الاشرف

وقوله من لكعب بن الاشرف فانّه يوذي الله ورسوله ووجّه اليه من قتله غيلة دون

دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلّل باذاه له فدلّ انّ قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى

وكذلك قتل ابا رافع قال البراء وكان يوذي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ويعين عليه

وكذلك امر يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللّتين كانتا تغنّيان بسبّه عليه السّلام

وفي حديث اخر انّ رجلا كان يسبّه عليه السّلام فقال من يكفيني عدوّي فقال خالد انا

فبعثه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقتله وكذلك لم يقتل جماعة ممّن كان يوذيه من الكفّار

ويسبّه كالنّضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح

وبعده فقتلوا الّا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزّار عن ابن عبّاس

انّ عقبة بن ابي معيط نادى يا معشر قريش مالي اقتل من بينكم صبرا فقال النّبيّ صلّى الله

عليه وسلّم بكفرك وافترائك على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وذكر عبد الرّزّاق

انّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم سبّه رجل فقال من يكفيني عدوّي فقال الزّبير انا فبارزه فقتله

الزّبير وروى ايضا انّ امراة كانت تسبّه عليه السّلام فقال من يكفيني عدوّتي فخرج اليها

خالد بن الوليد فقتلها وروى انّ رجلا كذب على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فبعث عليا

والزبير اليه ليقتلاه وروى ابن قانع ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله سمعت ابى يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم
وبلغ للمهاجر ابن امية امير اليمن لابى بكر رضى الله عنه ان امراة هناك فى الردة غنت
بسب النبى صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ابا بكر ذلك فقال له
لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس هجت
امراة من خطمة النبى صلى الله عليه وسلم فقال من لى بها فقال رجل من قومها انا يا رسول
الله فنهض فقتلها فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا يتنطح فيها عنزان وعن ابن
عباس ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبى صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما
كانت ذات ليلة جعلت تقع فى النبى صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبى
صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر دمها وفى حديث ابى برزة الاسلمى كنت يوما جالسا
عند ابى بكر الصديق فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضى اسمعيل وغير واحد من الائمة
فى هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه النسائى اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد عليه
فقلت يا خليفة رسول الله دعنى اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قال القاضى ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل الائمة
بهذا الحديث على قتل من اغضب النبى صلى الله عليه وسلم بكل ما اغضبه او اذاه او سبه
ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة وقد استشاره فى قتل رجل سب
عمر رضى الله عنه فكتب عمر اليه انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس الا رجل
سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسال الرشيد مالكا فى
رجل شتم النبى صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب مالك

رجله رجلا

وقال

وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد نبيها من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب
النبى صلى الله عليه وسلم جلد قال القاضى ابو الفضل كذا وقع فى هذه الحكاية رواها
غير واحد من اصحاب مناقب مالك ومؤلفى اخباره وغيرهم ولا ادرى من هؤلاء
الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم
ممن لم يشتهر بعلم او من لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون
الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقله مالك على اصله
والا فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار
ان من سبه او تنقصه عليه السلام فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سوء طويته
وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهى رواية الشاميين عن مالك والاوزاعى
وقول الثورى وابى حنيفة والكوفيين والقول الاخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان
لم يحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر
وقوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك
توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى
يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ قال اهل التفسير
هى قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير وقيل بل قول بعضهم ما مثلنا ومثل
محمد الا قول القائل سمن كلبك ياكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
وقد قيل ان قائل مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه
وقد قال عليه السلام من غير دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبى صلى الله عليه وسلم
فى الحرمة مزية على امته وساب الحر من امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام

القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره فصل فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى
الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل الآخر
الذي قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وقد تاذى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك
وقال قد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يوذونه في اكثر الاحيان
فاعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام يستالف عليه الناس ويميل قلوبهم
اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول لاصحابه انما بعثتم ميسرين
ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس ان
محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي
عليهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفاهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم
بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله تعالى فقال وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا
مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وقال ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وذلك لحاجة الناس للتاليف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه
واشتهر امره كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من
يهود وغيرهم او غلبة ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان
به ممن كان يؤذيه كابن الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك نذر دم جماعة سواهم
ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن اذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن
المنافقين مستترة وحكمه عليه السلام على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها
القائل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون عليها اذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما
قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام

وفقنا الله واياك صح

وتوبتهم فيصبر عليه السلام على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولوا العزم من الرسل حتى فاء
كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما اظهر جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام
منهم للدين وزراء واعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض
ائمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت عنده عليه السلام من اقوالهم ما رفع
وانما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي او عبد او امراة
والدماء لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهود في السلام وانهم لووا السنتهم
ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عايشة ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي
صلى الله عليه وسلم اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك
ليا بالسنتهم وطعنا في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم
فقولوا عليكم وكذلك بعض اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين
بعلمه فيهم ولم ياتِ انه قامت بينة على نفاقهم فلهذا تركهم وايضا فان الامر كان سرا
وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة والعهد والجوار والناس قريب
عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب كون
من يتهم بالنفاق من جملة المومنين وصحابة سيد المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم
فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم
لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله
عليه وسلم والدخول في الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل
انما كان للعداوة وطلب اخذ الترة وقد رايت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه
الله ولهذا قال عليه السلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال اولئك الذين

نهانى الله عن قتلهم وهذا بخلاف اجراء الاحكام على الظاهرة عليهم من حدود الزنى
والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس فى علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون
نفاقهم لقتلهم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وقاله القاضى ابو الحسن ابن قصّار وقال قتادة
فى تفسير قوله تعالى لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِى الْمَدِينَةِ
لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا
سُنَّةَ اللَّهِ الاية قال معناه اذا اظهروا النّفاق وحكى محمّد بن مسلمة فى المبسوط عن زيد بن
اسلم انّ قوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ نسخت ما كان قبلها وقال بعض
مشايخنا لعلّ القائل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبىّ صلّى الله
عليه وسلّم منه الطّعن عليه والتّهمة له وانّما رآها من وجه الغلط فى الرّاى وامور الدّنيا
والاجتهاد فى مصالح اهلها فلم ير ذلك سبّا وراى انّه من الاذى الّذى له العفو عنه
والصّبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال فى اليهود اذ قالوا السّام عليكم ليس فيه
تصريح سبّ ولا دعاء الّا بما لا بدّ منه من الموت الّذى لا بدّ من لحاقه جميع البشر وقيل بل
المراد تسئمون دينكم والسّام والسّآمة الملال وهذا دعاء على سآمة الدّين ليس بصريح سبّ
ولهذا ترجم البخارىّ على هذا الحديث باب اذا عرّض الذّمّىّ او غيره بسبّ النبىّ صلّى الله
عليه وسلّم قال بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسّبّ وانّما هو تعريض بالاذى قال القاضى
ابو الفضل قد قدّمنا انّ الاذى والسّبّ فى حقّه عليه السّلام سواء وقال القاضى ابو محمّد
ابن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدّم ثمّ قال ولم يذكر فى الحديث هل كان هذا
اليهودىّ من اهل العهد والذّمّة او الحرب ولا يترك موجب الادلّة للامر المحتمل والاولى
فى ذلك كلّه والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستيلاف والمداراة على الدّين لعلّهم

وشبهها

نفقها

يؤمنون ولذلك ترجم البخارىّ على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج
للتّألّف ولئلّا ينفر النّاس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك وقرّرناه قبل وقد صبر لهم
عليه السّلام على سحره وسمّه وهو اعظم من سبّه الى ان نصره الله عليهم واذن له فى قتل
من عيّنه منهم وانزلهم من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرّعب وكتب على من شاء منهم
الجلاء واخرجهم من ديارهم وخرّب بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين وكاشفهم بالسّبّ
فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكّم فيهم سيوف المسلمين واجلاهم من جوارهم و
اورثهم ارضهم وديارهم واموالهم فان قلت فقد جاء فى الحديث الصّحيح عن عائشة انّه
عليه السّلام ما انتقم لنفسه فى شىء يؤتى اليه قطّ الّا ان تُنتهَك حرمة لله فينتقم لله
فاعلم انّ هذا لا يقتضى انّه لم ينتقم ممّن سبّه او آذاه وكذّبه فانّ هذا من حرمات الله الّتى
انتقم لها وانّما يكون ما لا ينتقم منه فيما تعلّق بسوء ادب او معاملة من القول والفعل
بالنّفس والمال ممّا لم يقصد فاعله به اذاه لكن ممّا جبلت عليه الاعراب من الجفاء والجهل
او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابىّ بازاره حتّى اثّر فى عنقه وكرفع صوت الآخر
عنده وكجحد الاعرابىّ شراءه منه فرسه الّتى شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجيه
عليه واشباه هذا ممّا يحسن الصّفح عنه او يكون هذا ممّا آذاه به كافر وجاء بعد ذلك
اسلامه كعفوه عن اليهودىّ الّذى سحره وعن الاعرابىّ الّذى اراد قتله وعن اليهوديّة الّتى
سمّته وقد قيل قتلها ومثل هذا ممّا يبلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم
رجاء استيلافهم واستيلاف غيرهم بهم كما قرّرناه قبل وبالله التّوفيق فصل
قال القاضى تقدّم الكلام فى قتل القاصد لسبّه والازراء به وغمصه باىّ وجه كان
من ممكن او محال فهذا وجه بيّن لا اشكال فيه الوجه الثّانى لاحق به فى البيان والجلاء و

من السفه ازاره بردائه

ان يكون القائل لما قال في جهته عليه السلام غير قاصد للسب والازراء ولا معتقد له
ولكنه تكلم في جهته عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة
ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه السلام نقيصة مثل ان يُنسب
اليه اتيان كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او في حكم بين الناس او يغض من مرتبته
او شرف نسبه او وفور علمه او زهده او يكذب بما اشتهر من امور اخبر بها عليه السلام
وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره او ياتي بسفه من القول او قبيح من الكلام ونوع من
السب في جهته وان ظهر بدليل حاله انه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته
على ما قاله او لضجرٍ او سكرٍ اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفةٍ وتهور في
كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل دون تلعثم اذ لا يُعذر احد في الكفر
بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه اذ كان عقله في فطرته سليما الا
من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه وقال محمد بن سحنون في الماسور يَسُبُّ النبي
صلى الله عليه وسلم في ايدي العدو يُقتَلُ الا ان يُعلَمَ تَنَصُّرُه او اكراهه وعن ابي محمد ابن
ابي زيد لا يُعذَر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي
صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لانه يُظَنُّ به انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا
فانه حد لا يُسقِطُه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله على نفسه لان من
شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه
وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة
وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم

او نقص صح

به صح

انه

انه ثمِل فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها اثم وكان حكم ما
يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المامون فصل الوجه
الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله واتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به
انتقل بقوله ذلك الى دين اخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم يُنظَر فان كان
مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول
الاخر لا تُسقِطُ القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما
قاله من كذبٍ او غيره وان كان مستترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة
عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد او كذب به فهو مرتد حلال
الدم الا ان يرجع وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه
قران وانما هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره من
المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه انه كالمرتد يستتاب وكذلك قال
فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون قال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ
وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع الفِريَة على الله وقال اشهب في يهودي تنبأ او زعم
انه اُرسِلَ الى الناس او قال بعد نبيكم نبي انه يُستَتَابُ ان كان معلنا بذلك فان تاب والا
قتل وذلك لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله
تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان
حكمه عند الامة القتل وقال احمد ابن ابي سليمن صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله
عليه وسلم اسود قتل لم يكن عليه السلام باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال

انه مات قبل ان يلتحى او انه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفى قال حبيب

ابن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسترله زنديق

يقتل دون استتابة فصل الوجه الرابع ان ياتى من الكلام بمجمل ويلفظ من القول

بمشكل يمكن حمله على النبى صلى الله عليه وسلم او غيره او يتردد فى المراد به من سلامته من

المكروه او شره فهنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء

المقلدين ليهلك من هلك عن بينه ويحيى من حى عن بينه فمنهم من غلب حرمة النبى صلى

الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ الحد

بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا فى رجل اغضبه غريمه فقال صل على النبى

محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبى

صلى الله عليه وسلم او شتم الملئكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت

من الغضب لانه لم يكن مضمرا الشتم وقال ابو اسحق البرقى واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه

انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب فى شتم النبى صلى الله عليه

وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل على شتم النبى صلى الله عليه

وسلم او شتم الملئكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة

تدل على ان مراده الناس غير هؤلاء لاجل قول الاخر له صل على النبى فحمل قوله وسبه لمن يصلى

عليه الان لاجل امر الاخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه

وذهب الحارث بن مسكين القاضى وغيره فى مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن

القابسى فى قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود

والتضييق عليه حتى تستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده هل اراد

اصحاب

اصحاب الفنادق الان فمعلوم انه ليس فيهم نبى مرسل فيكون امره اخف قال ولكن ظاهر

لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين وقد كان فيمن تقدم من

الانبياء والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد

اليه التاويلات لابد من امعان النظر فيه هذا معنى كلامه وحكى عن ابى محمد ابن ابى زيد

رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بنى اسرائل ولعن الله بنى ادم وذكر انه لم يرد

الانبياء وانما اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك

افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبيع حاضر

لباد ولعن من جاء به انه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الادب الوجيع

وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله ولا سب رسوله وانما لعن من حرمه

من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه فى المسئلة المتقدمة ومثل هذا ما يجرى فى كلام

سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير وابن مائة كلب وشبهه من هجر

القول ولا شك انه يدخل فى مثل هذا العدد من ابائه واجداده جماعة من الانبياء ولعل

بعض هذا العدد منقطع الى ادم عليه السلام فينبغى الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله

منه وشدة الادب فيه ولو علم انه قصد سب من فى ابائه من الانبياء لقتل وقد يضيق

القول فى نحو هذا لو قال لرجل هاشمى لعن الله بنى هاشم وقال اردت الظالمين منهم او قال

لرجل من ذرية النبى صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا فى ابائه او من نسله او ولده على علم منه

انه من ذرية النبى صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة فى المسئلتين تقتضى تخصيص بعض

ابائه واخراج النبى صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد رايت لابى موسى ابن مناس

فيمن قال لرجل لعنك الله الى ادم انه ان ثبت ذلك عليه قتل قال القاضى رحمه الله وقد كان

اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال تتهمني فقال الاخر الانبياء
يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحق ابن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان
القاضي ابو محمد ابن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن
اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله ابن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي
ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة
بعض من شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله ابن عيسى ايام
قضائه أُتِيَ برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر
الرجل ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله
وهل يصحب مَنْ يُسْتَرَابُ بدينه فلما لم يجد عليه ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط
واطلقه فصل الوجه الخامس الا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر
بعض اوصافه او يستشهد ببعض احواله عليه السلام الجائزة عليه في الدنيا على
طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او لغيره او على التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة
لحقته ليس على طريق التأسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل
التمثيل وعدم التوقير لنبيه عليه السلام او قصد الهزل او التنذير بقوله كقول القائل
ان قيل في السوء فقد قيل في النبي وان كذبت فقد كذب الانبياء او ان اذنبت فقد اذنبوا
او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم انبياء الله ورسله او قد صبرت كما صبر اولوا
العزم او كصبر ايوب او قد صبر نبي الله من عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي انا في
امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين
في الكلام كقول المعري كنت موسى وافته بنت شعيب غير ان ليس فيكما من فقير على ان

اخر

اخر البيت شديد وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي عليه السلام وتفضيل حال
غيره عليه وكذلك قوله لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد من ابيه بديل هو مثله
في الفضل الا انه لم ياته برسالة جبريل فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد
لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي والعجز محتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة
نقصت الممدوح والاخر استغناؤه عنها وهذه اشد ونحو منه قول الاخر واذا ما
رُفِعَتْ راياته صفقت بين جناحي جبرين وقول الاخر من اهل العصر فر من الخلد واستجار بنا
فصبر الله قلب رضوان وكقول حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف
بالمعتمد ووزيره ابي بكر بن زيدون كان ابا بكر ابو بكر الرضى وحسان حسان وانت محمد
الى امثال هذا وانما كثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها ولتساهل
كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة
علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند
الله عظيم لاسيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ الاندلسي وابن
سليمن المَعَرِّيُّ بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر
وقد اجبنا عنه وغرضنا الان الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته فان هذه كلها
وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الملئكة والانبياء نقصا ولست اعني عجزي بيتي المعري
ولا قصد قائلها ازراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا
عزز حُظْوَةَ الكرامة حتى شبه مَنْ شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء منها او
ضرب مثل لتطييب مجلسه او اغلاءٍ في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف
قدره والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا ان يدرء

عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شُنعةِ مقاله ومقتضى قبح ما نطق به
ومالوف عادته لمثله اوندوره وقرينة كلامه اوندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون
ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابى نُواسٍ قوله فان يك باقى سحر فرعون
فيكم فان عصا موسى بكف خصيب وقال له يا ابن اللخناءِ انت المستهزئ بعصا موسى
وامر باخراجه عن عسكره من ليلته وذكر القتبى ان مما اُخذ عليه ايضا وكفر فيه اوقارب
قوله فى محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبى صلى الله عليه وسلم تنازع الاحمدان الشبه
فاشتبها خلقا وخلقا كما قُدَّ الشراكان وقد انكروا ايضا عليه قوله كيف لا يدنيك
من امل من رسول الله من نفره لان حق الرسول وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف
اليه ولا يضاف فالحكم فى امثال هذا ما بسطناه فى طريق الفتيا على هذا المنهج جاءت
فتيا امام مذهبنا مالك بن انس رحمه الله واصحابه ففى النوادر من رواية ابن ابى مريم عنه
فى رجل عيّر رجلا بالفقر فقال تعيرنى بالفقر وقد رعى النبى صلى الله عليه وسلم فقال
مالك قد عرض بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير موضعه ارى ان يُؤدَّبَ قال
ولا ينبغى لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا اخ[طات] الانبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز
لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتبه قد كان ابو النبى كافرا فقال جعلت هذا
مثلا فعزله وقال لا تكتب لى ابدا وقد كره سحنون ان يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم
عند التعجب الا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله وسُئِلَ
القابسى عن رجل قبيح كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان فقال اى شئ
اراد بهذا ونكير احد فتانى القبر وهما ملكان فما الذى اراد اَرَوْعٌ دخل عليه حين راه من
وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا فهو شديد لانه جرى مجرى

موضعه

التحقير

التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما السب واقع
على المخاطب وفى الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال واما ذاكر مالك خازن النار
فقد جفا الذى ذكره عند ما انكر من عبوس الاخر الا ان يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته
فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا فى فعله ولزومه فى ظلمه صفة مالك الملك المطيع
لربه فى فعله فيقول كانه لله يغضب غضب مالك فيكون اخف وما كان ينبغى له التعرض
لمثل هذا ولو كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مَلَكٍ كان اشد ويعاقب المعاقبة
الشديدة وليس فى هذا ذم للمَلَكِ ولو قصد ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا فى شاب
معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فانك امى فقال الشاب اليس كان
النبى اميا فشُنِّعَ عليه مقاله وكفره الناس واشفق الشاب مما قال واظهر الندم عليه
فقال ابو الحسن اما اطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ فى استشهاده بصفة النبى صلى
الله عليه وسلم وكون النبى اميا اية له وكون هذا اميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته
احتجاجه بصفة النبى صلى الله عليه وسلم لكنه اذا استغفر وتاب واعترف ولجا الى الله
فيترك لان قوله لا ينتهى الى حد القتل وما طريقه الادب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب
الكف عنه ونزلت ايضا مسئلة استفتى فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضى ابا
محمد ابن منصور رحمه الله فى رجل تنقصه اخر بشئ فقال له انما تريد نقصى بقولك وانا بشر
وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبى صلى الله عليه وسلم فافتاه باطالة سجنه وايجاع ادبه
اذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الاندلس افتى بقتله فصل الوجه السادس ان يقول
القائل ذلك حاكيا عن غيره واثرا له عن سواه فهذا يُنظَرُ فى صورة حكايته وقرينة مقالته
ويختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم

فان كان اخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار والاعلام بقوله والتنفير
منه والتجريح له فهذا مما ينبغى امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه فى كتاب او فى
مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب
بحسب حالات الحاكى لذلك والمحكى عنه فان كان القائل لذلك ممن تصدى لان يؤخذ عنه
العلم او رواية الحديث او يقطع بحكمه او بشهادته او فتياه فى الحقوق وجب على سامعه
الاشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه
ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما
بحق سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يعظ العامة او يؤدب الصبيان فان من هذه
سريرته لا يؤمن على القاء ذلك فى قلوبهم فيتاكد فى هؤلاء الايجاب لحق النبى صلى الله عليه
وسلم ولحق شريعته وان لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبى صلى الله عليه وسلم
واجب وحماية عرضه متعين ونصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه
اذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به الامر سقط عن الباقى الفرض
وبقى الاستحباب فى تكثير الشهادة وعضد التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان حال
المتهم فى الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو محمد ابن ابى زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا
فى حق الله تعالى ايسعه الا يؤدى شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك
ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك
واما الاباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلا فى الباب فليس التفكه
بعرض النبى صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا اثرا لغير غرض
شرعى بمباح واما للاغراض المتقدمة فمتردد بين الايجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى

مقالات المفترين عليه وعلى رسله فى كتابه على وجه الانكار لقولهم والتحذير من كفرهم
والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا فى محكم كتابه وكذلك وقع من امثاله فى
احاديث النبى صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف
من ائمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين فى كتبهم ومجالسهم ليبينوها
للناس وينقضوا شبهها عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا على الحارث
ابن اسد فقد صنع احمد مثله فى رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه السائغة
الحكاية عنها فاما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والازراء بمنصبه على وجه
الحكايات والاسمار والطُرَف واحاديث الناس ومقالاتهم فى الغث والسمين ومضاحك
المجان ونوادر السخفاء والخوض فى قيل وقال وما لا يعنى فكل هذا ممنوع وبعضه اشد
فى المنع والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكى له على غير قصد او معرفة بمقدار ما
حكاه او لم تكن عادته او لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه و
استصوابه زُجِرَ عن ذلك ونهى عن العودة اليه وان قُوِّمَ ببعض الادب فهو مستوجب
له وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الادب اشد وقد حكى ان رجلا سال مالكا
عمن يقول القرآن مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيرى فقال
مالك انما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل انه
لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكى فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت تلك عادة
له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف له او التحفظ لمثله وطلبه
ورواية اشعار هجوه عليه السلام وسبه فحكم هذا حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه
نسبته الى غيره فيبادر بقتله ويعجل الى الهاوية امه وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ

شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من ألف في الاجماع
اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وكتابه وقراءته وتركه
متى وجد دون محو ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا من احاديث
المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته الا اشياء ذكروها يسيرة وغير
مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله من قائلها واخذه المفتري عليه بذنبه و
هذا ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار
العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم احد
بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم فصل الوجه
السابع أن يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم او يختلف في جوازه عليه وما يطرأ
من الامور البشرية به وتمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدته
من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر
عليه من معاناة عيشه كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه
العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص
ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان
يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده
ويجنب ذلك من عساه لا يفقه او تخشى به فتنته فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة
يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن
فقد قال عليه السلام مخبرا عن نفسه باستيجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله قال ما من نبي
الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة

واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع
العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة وتدريج لله تعالى لهم الى كرامته وتدريب
برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم
وكذلك قد ذكر الله يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر
الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدئه والتعجب من منح الله قبله وعظيم منته
عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره الله تعالى بعد
هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم
وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار الله تعالى
له وتاييده بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم وامداده بالملئكة المسومين ولو كان
ابن ملك او ذا اشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى
علوه ولهذا قال هرقل حين سال ابا سفيان عنه هل في ابائه من ملك ثم قال ولو كان في ابائه
ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذ اليتم من صفته واحدى علاماته في الكتب المتقدمة
واخبار الامم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب ارميا وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب
وبحيرا لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة
فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى من القران العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف
والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول
ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرا ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى
العبر ومعجزة البشر وليس فيه ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وانما هي
آلة اليها وواسطة موصلة لها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغنى

عن الواسطة والسبب والامية في غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة
فسبحان من باين امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطّته سواه وحياته فيما فيه هلاك
من عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو
فيمن سواه منتهى هلاكه وختم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر ماروى من اخباره وسيره وتقلله
من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه من اموره وخدمة بيته
زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها
كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن اورد شيئا منها مورده وقصد بها مقصده
كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعُلم منه بذلك سوء قصده لحق بالفصول
التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره واخبار سائر الانبياء عليهم السلام في الاحاديث
مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق بهم بحال وتحتاج الى تاويل وتردد احتمال فلا يجب
ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث
بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس الى التحدث
بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على
ترك الحديث بها وساعدوه على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف
بل عنهم على الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم
اوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه و
استعارته وبليغه وايجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته
الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق اشارتها الى غرض
الايجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تاويلها شذر مذر فمنهم من امن به ومنهم من كفر

فاما

فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب الا يذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا حق انبيائه
ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها الا ان يذكر
على وجه التعريف بانها ضعيفة المقاد واهية الاسناد وقد انكر الاشياخ على ابي بكر بن
فورك تكلفه في مشكله الكلام على احاديث ضعيفة موضوعة لا اصل لها او منقولة عن اهل
الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على
ضعفها اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من اصلها وطرحها
اكشف للبس واشفى للنفس فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي وما لا يجوز والذاكر
من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند
ذكره عليه السلام وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه
ولا يهمله وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه
الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر
عليه والنصرة له لو امكنته واذا اخذ في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله واقواله عليه
السلام تحرى احسن اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة
ما يقبح كلفظ الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف في
القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة
واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز الا يعلم الا ما علم وهل يمكن الا يكون عنده علم من بعض
الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته واذا تكلم في الافعال قال هل
يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة الصغاير فهو اولى وادب من قوله هل
يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه السلام

وما يجب له من تعزير واعظام وقد رايت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم استصوب
عبارته فيه ووجدت بعض الجايرين قوله لاجل ترك تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه
بما يابا ه ويكفّر قائله اذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا في ادابهم وحسن معاشرتهم
وخطابهم فاستعماله في حقّه عليه السلام اوجب والتزامه اكد فجودة العبارة تقبح الشيء او
تحسّنه وتحريرها وتهذيبها يعظّم الامر او يهوّنه ولهذا قال عليه السلام انّ من البيان لسحرا فاما
ما اورده على جهة النفي عنه والتنزيه فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز
عليه الكذب جملة ولا اتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور
توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجرّدا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف تظهر
عليهم حالات شديدة عند مجرّد ذكره كما قدّمناه في القسم الثّاني وقد كان بعضهم يلتزم
مثل ذلك عند تلاوة اي من القران حكى الله فيها مقال عداه ومن كفر باياته وافترى عليه
الكذب فكان يخفض بها صوته اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا من التشبه بمن كفر به

الباب الثاني في حكم سابه وشانئه ومنتقصه وموذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته

قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه قد قدّمنا ما هو سبّ واذى في حقّه عليه السلام
وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله وتخيير الامام في قتله او صلبه على ما ذكرناه
وقرّرنا الحجج عليه وبعد فاعلم انّ مشهور مذهب مالك واصحابه وقول السلف وجمهور العلماء
قتله حدّا لا كفرا ان اظهر التّوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته
ولا فيئته كما قدّمناه قبل وحكمه حكم الزّنديق ومسرّ الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته على
هذا بعد القدرة عليه والشّهادة على قوله او جاء تائبا من قِبَل نفسه لانه حدّ وجب لا تُسقطه
التّوبة كسائر الحدود وقال الشّيخ ابو الحسن القابسيّ رحمه الله اذا اقرّ بالسّبّ وتاب منه واظهر

التّوبة قتل بالسّبّ اذ هو حدّه وقال ابو محمّد ابن ابي زيد في مثله واما ما بينه وبين الله تعالى
فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من الموحّدين ثمّ تاب عن
ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزّنديق اذا جاء تائبا فحكى القاضي ابو
الحسن ابن القصّار في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال اقتله باقراره لانّه كان يقدر على
ستر نفسه فلمّا اعترف خفنا انه خشي الظّهور عليه فبادر الى ذلك ومنهم من قال اقبل
توبته لانّي استدلّ على صحّتها بمجيئه فكانّنا وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته البيّنة قال القاضي
ابو الفضل وهذا قول اصبغ ومسئلة سابّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم اقوى لا يتصوّر فيها الخلاف
على الاصل المتقدّم لانّه حقّ متعلّق للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولامّته بسببه لا تُسقطه
التوبة كسائر حقوق الادميّين والزّنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث و
اسحق واحمد لا تقبل توبته وعند الشّافعيّ تقبل واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف وحكى
ابن المنذر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه يستتاب قال محمّد بن سحنون ولم يزل القتل عن
المسلم بالتّوبة من سبّه عليه السلام لانّه لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيئا حدّه عندنا
القتل لا عفو فيه لاحد كالزّنديق لانّه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي ابو محمّد ابن نصر محتجّا
لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سبّ الله تعالى على مشهور القول باستتابته انّ
النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بشر والبشر جنس تلحقهم المعرّة الّا من اكرمه الله بنبوّته والبارئ تعالى
منزّه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس تلحق المعرّة بجنسه وليس سبّه عليه السلام
كالارتداد المقبول فيه التّوبة لانّ الارتداد معنى ينفرد به المرتدّ لا حقّ فيه لغيره من الادميّين
فقبلت توبته ومن سبّ النبيّ تعلّق فيه حقّ لادميّ فكان كالمرتدّ يقتل حين ارتداده او يقذف
فانّ توبته لا تسقط عنه حدّ القتل والقذف وايضا فانّ توبة المرتدّ اذا قبلت لا تسقط ذنوبه

التوبة

وغيرهاء
وغيرهماء

القابسي صح

من زنى وسرقة وغيره ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن لمعنى يرجع الى تعظيم
حرمته وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة قال القاضى ابو الفضل يريد والله اعلم لان
سبه لم يكن بكلمة تقتضى الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف اولان بتوبته واظهار
انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقى حكم السب عليه وقال ابو عمران
القابسى من سب النبى صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب
من حقوق الادميين التى لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا هؤلاء مبنى على القول بقتله حدا لا كفرا
وهو يحتاج الى تفصيل واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن
ذكرناه وقال به من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها وان تاب نكل وان ابى
قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا فى هذا الوجه الوجه الاول اشهر واظهر لما قدمناه ونحن
نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا وانما يقول ذلك مع
فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه به واظهاره الاقلاع والتوبة عنه فيقتله حدا لثبات كلمة
الكفر عليه فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من حقه واجرينا حكمه فى
ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او تاب فان قيل فكيف تثبتون عليه الكفر
ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا
له حكم الكافر فى القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد به
عليه او زعمه ان ذلك كان منه وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات
بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم تثبت له خصايصه كقتل تارك الصلاة واما من
علم انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك فى كفره بذلك وكذلك ان كان سبه فى نفسه
كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا مما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل توبته

ونقتله

ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وامره بعد الى الله المطلع على صحة اقلاعه العالم
بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله
وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات
خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم فى الاحتجاج عليها واجر اختلافهم فى الموارثة
وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله فصل اذا قلنا بالاستتابة حيث
تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف فى توبة المرتد اذ لا فرق وقد اختلف السلف فى وجوبها
وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع
من الصحابة على تصويب قول عمر فى الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمان وعلى وابن
مسعود وبه قال عطاء ابن ابى رباح والنخعى والثورى ومالك واصحابه والاوزاعى والشافعى
واحمد واسحق واصحاب الراى وذهب طاوس وعبيد بن عمير والحسن فى احدى الروايتين
عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز ابن ابى سلمة وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ
وحكاه الطحاوى عن ابى يوسف وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن لا
ندرأ القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه وحكى ايضا عن عطاء ان كان ممن ولد
فى الاسلام لم يستتب ويستتاب الاسلامى وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة فى ذلك
سواء وروى عن على رضى الله عنه لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة وروى عن ابن
عباس لا تقتل النساء فى الردة وبه قال ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى فى ذلك
سواء واما مدتها فمذهب الجمهور وروى عن عمر انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف
فيه عن عمر وهو احد قولى الشافعى وقول احمد واسحق واستحسنه مالك وقال لا يأتى
الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد ابن ابى زيد يريد فى الاستيناء

ثلاثا وقال مالك ايضا الذى اخذ به فى المرتد قول عمر يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن ابن القصار فى تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب الراى وروى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه استتاب امراة فلم تتب فقتلها وقاله الشافعى مرة فقال ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزنى وقال الزهرى يدعى الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى قتل وروى عن على رضى الله عنه يستتاب شهرين وقال النخعى يستتاب ابدا وبه اخذ الثورى ما رجيت توبته وحكى ابن القصار عن ابى حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات فى ثلاثة ايام او ثلاث جمع كل يوم او جمعة مرة وفى كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت فى الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفى كتاب ابى الحسن الطابسى يوعظ فى تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال اصبغ واى المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه سواء ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبى صلى الله عليه وسلم نبهان الذى ارتد اربع مرات او خمسا قال ابن وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول الشافعى واحمد وقاله ابن القاسم وقال اسحق يقتل فى الرابعة وقال اصحاب الراى ان لم يتب فى الرابعة قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب على المرتد فى المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعى والكوفى فصل هذا حكم من ثبت عليه

القابسى الطائى

ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد واللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرء عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة فى الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوى امره اذاقه من شديد النكال من التضييق فى السجن والشد فى القيود الى الغاية التى هى منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال وعائق اقتضاه امره وحالات الشدة فى نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعى انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك فى العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وافتى ابو عبد الله ابن عتاب فيمن سب النبى صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسى فى مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق عائق اشكل فى القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن ولا يستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال فى مثله ممن اشكل امره يشد فى القيود شدا ويضيق عليه فى السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال فى مسئلة اخرى مثلها ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح وفى الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحتهما ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا

ويسلط

ولكن يستطال

القيود

ينفذ

يدفع الظنّ صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الارشاد فصل هذا

حكم المسلم فامّا الذمّي اذا صرّح بسبّه او عرّض واستخفّ بقدره او وصفه بغير الوجه الذى

كفر به فلا خلاف عندنا في قتله ان لم يسلم لانّا لم نعطه الذمّة او العهد على هذا وهو قول عامّة

العلماء الّا ابا حنيفة والثوريّ واتباعهما من اهل الكوفة فانّهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من

الشرك اعظم ولكن يؤدّب ويعزّر واستدلّ بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وَاِنْ نَكَثُوا

اَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ الاية ويُسْتَدَلُّ ايضا بقتل النبيّ صلى الله عليه

وسلم لابن الاشرف واشباهه ولانّا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمّة على هذا ولا يجوز لنا

ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمّة فقد نقضوا ذمّتهم وصاروا

اهل حرب كفّارا يُقتَلُونَ لكفرهم وايضا فانّ ذمّتهم لا تُسْقِطُ حدود الاسلام عنهم من

القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا عندهم وكذلك

سبّهم للنبيّ صلى الله عليه وسلم يقتلون به وَوَرَدَتْ لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف

اذا ذكره الذمّيّ بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد وحكى

ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابه المدنيّين واختلفوا اذا سبّه ثمّ اسلم فقيل يُسْقِطُ اسلامه

قتله لانّ الاسلام يجبّ ما قبله بخلاف المسلم اذا سبّه ثمّ تاب لانّا نعلم باطنه الكافر في

بغضه له وتنقّصه بقلبه لكنّا منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهر الّا مخالفة للامر ونقصا

للعهد فاذا رجع عن دينه الاوّل الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِنْ يَنْتَهُوا

يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ والمسلم بخلافه اذا كان ظنّنا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه

الآن فلم يقبل بعد رجوعه ولا استنامنا الى باطنه اذ قد بدت سرايره وما ثبت عليه من الاحكام

باقية عليه لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمّيّ السابّ قتله لانّه حقّ للنبيّ صلى الله

عليه وسلّم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النّقيصة والمعرّة به فلم يكن رجوعه

الى الاسلام بالّذى يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل او

قذف واذا كنّا لا نقبل توبة المسلم فَاَنْ لا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك في كتاب ابن حبيب

والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبيّنا من اهل الذمّة

او احدا من الانبياء عليهم السّلام قتل الّا ان يسلم وقاله ابن القاسم في العتبيّة وعند محمّد

وابن سحنون وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة وفي

كتاب محمّد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سبّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم او غيره

من النّبيّين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب ورِوِيَ لنا عن مالك الّا ان يسلم الكافر وقد روى

ابن وهب عن ابن عمر انّ راهبا تناول النبيّ صلى الله عليه وسلّم فقال ابن عمر فهلّا قتلتموه

وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمّيّ قال انّ محمّدا لم يرسل الينا انّما ارسل اليكم وانّما نبيّنا

موسى او عيسى ونحو هذا لا شيء عليهم لانّ الله اقرّهم على مثله واما ان سبّه فقال ليس

بنبيّ او لم يرسل او لم ينزل عليه قران وانّما هو شيء تقوّله او نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم

واذا قال النّصرانيّ ديننا خير من دينكم انّما دين الحمير ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذّن يقول

اشهد انّ محمّدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الادب الموجع والسّجن الطّويل

قال وامّا ان شتم النّبيّ شتما يُعْرَفُ فانّه يقتل الّا ان يسلم قاله مالك غير مرّة ولم يقل

يستتاب قال ابن القاسم ومحمل قوله عندي ان اسلم طايعا وقال ابن سحنون في سؤالات

سليمن بن سالم في اليهوديّ يقول للمؤذّن اذا تشهّد كذبت تُعَاقَبُ العقوبة الموجعة مع

السّجن الطّويل وفي النّوادر من رواية سحنون عنه من شتم الانبياء من اليهود والنّصارى

بغير الوجه الّذى كفروا به ضربت عنقه الّا ان يسلم قال محمّد بن سحنون فان قيل لم قتلته في

فلم تقبل بعد رجوعه ولا استنامة

سب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومن دينه سبّه وتكذيبه قيل لانّا لم نعطهم العهد على
ذٰلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منّا قتلناه وان كان من دينه استحلاله
فكذلك اظهاره لسبّ نبيّنا قال سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم
على سبّه لم يجز لنا ذٰلك في قول قائل كذلك ينتقض عهد من سبّ منهم ويحلّ لنا دمه وكما
لم يحصّن الاسلام من سبّه من القتل كذلك لا تحصّنه الذمّة قال ابو الفضل ما ذكره ابن
سحنون عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفّف عقوبتهم فيه ممّا به كفروا
فتامّله ويدلّ على انه خلاف ما روى عن المدنيين في ذٰلك ما حكى ابو المصعب الزّهري
قال اوتيت بنصراني قال والّذي اصطفى عيسى على محمّد فاختُلِف عليّ فيه فضربته حتّى قتلته
او عاش يوما وليلة وامرت من جرّ برجله وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب وسئل ابو
المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمّدا فقال يقتل وقال ابن القاسم سالنا مالكا عن نصراني
بمصر شُهِدَ عليه انه قال مسكين محمّد يخبركم انّه في الجنّة فهو الان في الجنّة ما لم ينفع
نفسه اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه استراح منه النّاس قال مالك ارى ان
تُضرَبَ عنقه قال ولقد كدت الّا اتكلّم فيها ثمّ رايت انه لا يسعني الصّمت قال ابن كنانة
في المبسوط من شتم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم من اليهود والنّصارى فارى للامام ان يحرّقه
بالنّار وان شاء قتله ثمّ حرّق جثّته وان شاء احرقه بالنّار حيّا اذا تهافتوا في سبّه ولقد كتب
الى مالك من مصر وذكر مسئلة ابن القاسم المتقدّمة قال فامرني مالك فكتبت بان يقتل
او تضرب عنقه فكتبت ثمّ قلت يا ابا عبد الله واكتُبُ ثمّ يحرّق بالنّار فقال انه لحقيق بذٰلك
وما اولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره ولا عابه ونفذت الصّحيفة بذٰلك فقُتِلَ
وحرّق وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية

استهلّت بنفي الرّبوبيّة ونبوّة عيسى لله وتكذيب محمّد في النبوّة وبقبول اسلامها ودرء
القتل عنها به قال غير واحد من المتاخّرين منهم القابسيّ وابن الكاتب وقال ابو القاسم
ابن الجلّاب في كتابه من سبّ الله ورسوله من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب وحكى
القاضي ابو محمّد في الذمّيّ يسبّ روايتين في درء القتل عنه باسلامه وقال ابن سحنون
وحدّ القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمّيّ اسلامه وانّما يسقط
عنه باسلامه حدود الله فامّا حدّ القذف فحقّ للعباد كان ذٰلك من نبيّ او غيره فاوجب
على الذمّيّ اذا قذف النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ثمّ اسلم حدّ القذف ولكن انظر ماذا يجب
عليه هل حدّ القذف في حقّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو القتل لزيادة حرمة النبيّ
صلّى الله عليه وسلّم على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويحدّ ثمانين فتامّله فصل
في ميراث من قتل بسبّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وغسله والصّلاة عليه اختلف
العلماء في ميراث من قتل بسبّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فذهب سحنون الى انّه لجماعة
المسلمين من قِبَلِ ان شتم النّبيّ كفر يشبه كفر الزّندقة وقال اصبغ ميراثه لورثته من
المسلمين ان كان مستترا بذٰلك وان كان مظهرا له مستهلّا به فميراثه للمسلمين ويقتل
على كلّ حال ولا يستتاب قال ابو الحسن القابسيّ ان قتل وهو منكر للشّهادة فالحكم في ميراثه
على ما ظهر من اقراره يعني لورثته والقتل حدّ ثبت عليه ليس من الميراث في شيء وكذلك
لو اقرّ بالسّبّ واظهر التّوبة لقتل اذ هو حدّه وحكمه في ميراثه وسائر احكامه حكم
الاسلام ولو اقرّ بالسّبّ وتمادى عليه وابى التّوبة منه فقتل على ذٰلك كان كافرا وميراثه
للمسلمين ولا يُغسَّلُ ولا يصلّى عليه ولا يكفّن وتستر عورته ويوارى كما يُفعَلُ بالكفّار وقول
الشّيخ ابي الحسن في المجاهر المتمادي بيّن لا يمكن الخلاف فيه لانّه كافر مرتدّ غير تائب

ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك فى كتاب ابن سحنون فى الزنديق يتمادى على قوله ومثله
لابن القاسم فى العتبية ولجماعة من اصحاب مالك فى كتاب ابن حبيب فيمن اعلن كفره مثله
قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين الذى ارتد اليه
ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقاله اصبغ قتل على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد ابن ابى زيد
وانما يختلف فى ميراث الزنديق الذى يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادى فلا خلاف
انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل عليه بينة او لم تقبل
انه يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم فى كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى
الله عليه وسلم او اعلن دينا مما يفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك
ان ميراث المرتد للمسلمين ولا يرثه ورثته ربيعة والشافعى وابو ثور وابن ابى ليلى واختلف
فيه عن احمد وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه وابن مسعود وابن المسيب والحسن
والشعبى وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعى والليث واسحق وابو حنيفة يرثه ورثته
من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما يكسبه فى الارتداد فللمسلمين وتفصيل
ابى الحسن فى باقى جوابه حسن بين وهو على راى اصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما
على قولى مالك فى ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة
فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابه
لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه فى العتبية وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة
المسلمين لان ماله تبع لدمه وقال به ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة وعبد
الملك ومحمد وسحنون وذهب ابن القاسم فى العتبية الى انه ان اعترف بما شهد عليه به

وتاب فقتل فلا يورث وان لم يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك كل من استسر كفرا
فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام وسئل ابو القاسم ابن الكاتب عن النصرانى يسب النبى
صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب انه للمسلمين ليس على
جهة الميراث لانه لا توارث بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى
قوله واختصاره الباب الثالث فى حكم من سب الله تعالى وملئكته وانبيائه وكتبه
وآل النبى صلى الله عليه وسلم وازواجه وصحبه لا خلاف ان ساب الله تعالى من المسلمين
كافر حلال الدم واختلف فى استتابته فقال ابن القاسم فى المبسوط وفى كتاب ابن سحنون
ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك فى كتاب اسحق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل
ولم يستتب الا ان يكون افتراء على الله بارتداده الى دين دان به واظهره فيستتاب وان
لم يظهره لم يستتب وقال فى المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومى ومحمد
ابن مسلمة وابن ابى حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودى والنصرانى
فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذى
حكاه القاضى ابن نصر عن المذهب وافتى ابو محمد ابن ابى زيد فيما حكى عنه فى رجل لعن رجلا
ولعن الله فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل لسانى فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل
عذره واما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور واختلف فقهاء قرطبة فى مسئلة هرون بن
حبيب اخى عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه
بشهادات منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت فى مرضى هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر
لم استوجب هذا كله فافتى ابرهيم بن حسين بن خالد بقتله وان مضمن قوله تجوير لله وتظلم
منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابرهيم بن حسن بن عاصم

وسعيد بن سليمن القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي راى عليه التثقيل في الحبس
والشدة في الادب لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي فوجه من قال في ساب الله بالاستتابة
انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله واشبه قصد الكفر بغير سب الله واظهار
الانتقال الى دين اخر من الاديان المخالفة للاسلام ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه
ذلك بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له
اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل من دين الى اخر
واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد اعلم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف
الاول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب اكثر العلماء
وهو مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله فصل واما
من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن
على طريق التاويل والاجتهاد الخطاء المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت
بجارحة او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده
واختلف قول مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم
يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك واصحابه
ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر
اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد
الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك في الموطاء وما
رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية يستتابون فان تابوا والا
قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم ممن

خالف

خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف لتاويل كتاب الله يستتابون اظهروا ذلك
او اسروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم في كتاب محمد
في اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله له في
المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرايهم
السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب
فان تابوا والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج
والقدرية والمرجئة وقد روي ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر واختلفت
الروايات عن مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي مُسهر ومروان بن محمد الطاهري الكفر
عليهم وقد شوور في زواج القدرية فقال لا تزوجه قال الله تعالى وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ
مِنْ مُشْرِكٍ وروى عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال من وصف شيئا من ذات الله
تعالى واشار الى شيء من جسده يدا او سمعا او بصرا قطع ذلك منه لانه شبه الله بنفسه
وقال فيمن قال القران مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا
ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي ابو
عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله التستري من ائمة العراقيين جوابه مختلف بقتل
المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في اعادة الصلاة خلفهم وحكى ابن
المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري واكثر اقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث
وابن عيينة وابن لهيعة روي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القران وقاله ابن المبارك والاودي
ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في اخرين وهو من قول
اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة

البرنكاني م
البرنكاني خ

واصحاب البدع المتاولين وهو قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في
هذه الاصول وممن روى عنه معنى القول الاخر بترك تكفيرهم علي بن ابي طالب وابن عمر
والحسن البصري وهو رأى جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة
والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين
وجري احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية وساير
اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في المحارب ان
رأى الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان
كان قد يدخل ايضا في امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين
وقد يدخل في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة فصل في تحقيق القول في اكفار
المتاولين قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب البدع والاهواء المتاولين ممن قال
قولا يؤديه مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله اليه وعلى اختلافهم
اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من
السلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم من سواد المؤمنين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين
وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونوارثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال
سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول جميع اصحاب مالك المغيرة وابن كنانة
واشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب اخرون في ذلك ووقفوا
عن القول بالتكفير او ضده واختلاف قولي مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلاة
خلفهم منه والى نحو من هذا ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال انها من
المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدي اليه واضطرب قوله في

المسئلة على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى قال في بعض كلامه انهم على رأي
من كفرهم بالتاويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبايحهم ولا الصلاة على ميتهم ويختلف
في موارثهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين
ولا نورثهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمال وكذلك اضطرب فيه
قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو
الجهل بوجود الباري تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله جسم او المسيح او بعض من يلقاه
في الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالي رحمه الله في اجوبته
لابي محمد عبد الحق وكان ساله عن المسئلة فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال
كافر في الملة او اخراج مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي لا يجب
الاحتراز من التكفير في اهل التاويل فان استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطأ
في ترك الف كافر اهون من الخطاء في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال عليه السلام
فاذا قالوها يعني الشهادة عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله
فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع من
شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث الواردة في الباب معرضة للتاويل فيما جاء منها
في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام وتسمية الرافضة بالشرك واطلاق
اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير
وقد يجيب الاخر عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق
التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله في الرياء وعقوق الوالدين و
الزوج وغير معصية واذا كان محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع وقوله في

الخوارج هم من شرّ البريّة وهذه صفة الكفّار وقال شرّ قبيل تحت اديم السّماء طوبى لمن
قتلهم او قتلوه وقال فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لاسيّما مع
تشبيههم بعاد فيحتج به من راى تكفيرهم فيقول انه الاخر انّما ذلك من قتلهم لخروجهم
على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام فقتلهم ههنا
حدّ لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحلّه لا للمقتول وليس كلّ من حُكِم بقتله يحكم بكفره
ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال لعلّه يصلّي فان احتجّوا
بقوله عليه السّلام يقرؤن القرأن لا يجاوز حناجرهم فاخبر انّ الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك
قوله يمرقون من الدّين مروق السّهم من الرّمية ثمّ لا يعودون اليه حتّى يعود السّهم على فوقه
وبقوله سبق الفرث والدّم يدلّ على انّه لم يتعلّق من الاسلام بشيء اجابه الاخرون انّ
معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به
جوارحهم وعارضوهم بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التّشكّك في حاله وان احتجّوا
بقول ابي سعيد الخدري في هذا الحديث سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول
يخرج في هذه الامّة ولم يقل من هذه وتحرير ابي سعيد الرّواية واتقانه اللّفظ اجابهم
الاخرون بانّ العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الامّة بخلاف لفظة من التي هي
للتّبعيض وكونهم من الامّة مع انّه قد روي عن ابي ذرّ وعلي وابي امامة وغيرهم في هذا
الحديث يخرج من امّتي وسيكون من امّتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على اخراجهم
من الامّة بفي ولا على ادخالهم فيها بمن لكنّ ابا سعيد رحمه الله اجاد ما شاء في التّنبيه الّذي
نبّه عليه وهذا ممّا يدلّ على سعة فقه الصّحابة وتحقيقهم المعاني واستنباطها من الالفاظ
وتحريرهم لها وتوقّيهم في الرّواية هذه المذاهب المعروفة لاهل السّنّة ولغيرهم من الفرق

فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها قول جهم ومحمّد بن شبيب انّ الكفر بالله
الجهل به لا يكفّر احد بغير ذلك وقال ابو الهذيل انّ كلّ متاوّل كان تاويله تشبيها لله
بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا بخبره فهو كافر وكلّ من اثبت شيئا قديما لا يقال له
الله فهو كافر وقال بعض المتكلّمين ان كان ممّن عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من
اوصاف الله فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب ففاسق الّا ان يكون ممّن لم يعرف الاصل
فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري الى تصويب اقوال المجتهدين
في اصول الدّين فيما كان عُرضةً للتّاويل وفارق في ذلك فرق الامّة اذ اجمعوا سواه على
انّ الحقّ في اصول الدّين في واحد والمخطئ فيه اثم عاص فاسق وانّما الخلاف في تكفيره وقد
حكى القاضي ابو بكر الباقلانيّ مثل قول عبيد الله عن داود الاصبهانيّ قال وحكى قوم عنهما
انّهما قالا ذلك في كلّ مَنْ عَلِمَ الله من حاله استفراغ الوسع في طلب الحقّ من اهل
ملّتنا او من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في انّ كثيرا من العامّة و
النّساء والبُلْهِ ومقلّدة النّصارى واليهود وغيرهم لا حجّة لله عليهم اذ لم تكن لهم
طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التّفرقة
وقائل هذا كلّه كافر بالاجماع على كفر من لم يكفّر احدا من النّصارى واليهود وكلّ من
فارق دين الاسلام او وقف في تكفيرهم او شكّ قال القاضي ابو بكر لانّ التّوقيف والاجماع
على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذّب النّصّ والتّوقيف او شكّ فيه والتّكذيب
والشّكّ فيه لا يقع الّا من كافر فصل في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقّف او
يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم انّ تحقيق هذا الفصل كشف اللّبس فيه مورده الشّرع ولا
مجال للعقل فيه والفصل البيّن في هذا انّ كلّ مقالة صرّحت بنفي الرّبوبيّة او الوحدانيّة

لخبره صح

او عبادة احد غير الله او مع الله فهى كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق اصحاب الاثنين
من الديصانية والمانوية واشباههم من الصابين والنصارى والمجوس والذين اشركوا
بعبادة الاوثان او الملئكة او الشياطين او الشمس او النجوم او النار او واحد غير الله من
مشركى العرب واهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك
القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من
اعترف بالاهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حى او غير قديم وانه محدث
او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة او والدا او انه متولد من شىء او كاين عنه او ان معه
فى الازل شيئا قديما غيره او ان ثم صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر
باجماع المسلمين كقول الالهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبايعيين وكذلك من ادعى مجالسة
الله والعروج اليه ومكالمته او حلوله فى احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية و
النصارى والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم او بقائه او شك فى ذلك
على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الاباد فى الاشخاص
وتعذيبها او تنعمها فيها بحسب زكايها وخبثها وكذلك من اعترف بالالهية والوحدانية
ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا خصوصا او احد من الانبياء الذين نص الله
عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من
النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين ان عليا كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة
والقرامطة الاسمعيليه والعنبرية من الروافضة وان كان بعض هؤلاء قد اشركوا فى كفر
اخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا عليه السلام
ولكن جوز على الانبياء الكذب فيما اتوا به ادعى فى ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر

باجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان
هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان ويكون من امور
الاخرة والحشر والقيمة والجنة والنار ليس منها شىء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها
وانما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم اذ يمكنهم التصريح لقصور افهامهم فمضمن
مقالاتهم ابطال الشرع وتعطيل الاوامر والنواهى وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به
وكذلك من اضاف الى نبينا تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك فى صدقه او سبه او
قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء او ازرى عليهم او اذاهم او قتل نبيا او
حاربه فهو كافر باجماع وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء فى ان كل جنس من
الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير والدواب والدود وغير ذلك ويحتج بقوله تعالى
وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ اذ ذلك يؤدى الى ان يوصف انبياء هذه الاجناس بصفاتهم
المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه
وتكذيب قائله وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم وبنبوة نبينا عليه
السلام ولكن قال كان اسودا او مات قبل ان يلتحى وليس الذى كان بمكة والحجاز او ليس
بقرشى لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفى له وتكذيب به وكذلك من ادعى نبوة احد
مع نبينا عليه السلام او بعده كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته الى العرب
وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة على فى الرسالة للنبى
صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل امام عند هؤلاء يقوم مقامه فى النبوة والحجة
وكالبزيعية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع وبيان واشباه هؤلاء او من ادعى النبوة
لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ بصفات القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة

وللثانية
احدى
والعبيدية من الشيعة

وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى السماء ويدخل الجنة
وياكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه اخبر عليه السلام انه خاتم النبيين ولا نبي بعده واخبر عن الله انه خاتم النبيين وانه
ارسل كافة للناس واجمعت الامة على حمل هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد به
دون تاويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوايف كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك
وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به
مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين
من الملل او وقف فيهم او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد
ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير
كل قائل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة
بتكفير جميع الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا اذ لم يتقدم
ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها اذ قد
انقطع نقلها ونقل القران اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار مالك
في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه اخر بسبهم النبي صلى الله عليه
وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى علي رضي الله عنه وهو يعلم انه يكفر بعده
على قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله واله وكذلك نكفر بكل فعل اجمع
المسلمون انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك
الفعل كالسجود للصنم او للشمس والقمر والصليب والنار والسعي الى الكنايس والبيع مع
اهلها بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من كافر

او نص حديث مجمع على نقله
مقطوع به مجمع على حمله

وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على
تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر والزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة
من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من
قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول ووقع الاجماع المتصل عليه كمن
انكر وجوب الخمس الصلوات وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله علينا في
كتابه الصلاة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه اذ لم يرد
فيه في القران نص جلي والخبر به عن الرسول صلى الله عليه وسلم خبر واحد وكذلك
اجمع على تكفير من قال من الخوارج ان الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم
ان الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة منهم
وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى
اسقاطها واباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرايع عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة او
البيت او المسجد الحرام او صفة الحج وقال الحج واجب في القران واستقبال القبلة كذلك
ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام
لا ادري هل هي تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه
التفاسير غلطوا او وهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيرهم ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن
خالط المسلمين واشتدت صحبته لهم الا ان يكون حديث عهد بالاسلام فيقال له
سبيلك ان تسئل عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة
عن كافة الى معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك
البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هو الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول صلى الله

ووهموا

واشتدت

وان

عليه وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات عبادة الحج
والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله وابان حدودها فيقع
لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة
المسلمين كافر باتفاق لا يعذر بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب
اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك
واجمعوا انه قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتفسير مراد الله به ادخل الاسترابة
في جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقران وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر
وكذلك من انكر القران او حرفا منه او غير شيئا او زاد فيه كفعل الباطنية والاسمعيلية
او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي
ومعمر الضمري انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم
فلا محالة في كفرهما بذلك القول وكذلك تكفيرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات
النبي صلى الله عليه وسلم حجة له او في خلق السموات والارض دليل على الله لمخالفتهم
الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القران
به وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه القران بعد علمه انه من القران الذي في ايدي الناس
ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه
لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين
لانه مكذب للقران مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر
الجنة او النار او البعث والحساب والقيمة فهو كافر باجماع النص عليه واجماع الامة على
صحة نقله متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر

مخالفته

والنشر

والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان باطنة كقول
النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم ان معنى القيمة الموت او فناء
محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع
بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة افضل من الانبياء فاما من انكر ما عرف بالتواتر
من الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة من
الدين كانكار غزوة تبوك او مؤتة او وجود ابي بكر وعمر او قتل عثمان وخلافة علي مما
علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك و
انكار وقوع العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة
الجمل ومحاربة علي من خالفه فاما ان ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين
اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه
النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير
كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قوله تعالى
وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدٰى الاية وقوله عليه السلام من خالف
الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف
الاجماع وذهب اخرون الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص
بنقله العلماء وذهب اخرون الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكاين عن نظر كتكفير
النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به خارق
الاجماع قال القاضي ابو بكر القول عندي ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده والايمان بالله
هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا راي الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصا بقول

او فعل نصّ الله ورسوله او اجمع المسلمون انه لا يوجد الّا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر
ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون الّا باحد ثلاثة امور
احدها الجهل بالله تعالى والثّانى ان ياتى فعلا او يقول قولا يُخبِرُ اللهُ ورسوله او يُجمِعُ
المسلمون انّ ذلك لا يكون الّا من كافر كالسجود للصّنم والمشى الى الكنائس بالتزام الزنّار مع
اصحابها فى اعيادهم او يكون ذلك القول او الفعل لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان
الضّربان وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم انّ فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فامّا من
نفى صفة من صفات الله تعالى الذّاتيّة او جحدها مستبصرا فى ذلك كقوله ليس بعالم ولا
قادر ولا مريد ولا متكلّم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نصّ ائمّتنا
على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون
من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفّر المتاوّلين كما قدّمناه فامّا من جهل صفة من هذه
الصّفات فاختلف العلماء ههنا فكفّره بعضهم وحكى ذلك عن ابى جعفر الطّبرى
وغيره وقال ابو الحسن الاشعرىّ مرّة وذهبت طائفة الى انّ هذا لا يُخرجه عن اسم الايمان
واليه رجع الاشعرىّ قال لانّه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا
وانّما نكفّر من اعتقد انّ مقاله حقّ واحتجّ هؤلاء بحديث السّوداء وانّ النّبىّ صلّى الله عليه
وسلّم انّما طلب منها التّوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله علىّ وفى رواية فيه لعلّى
اَضِلُّ الله ثمّ قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر النّاس عن الصّفات وكوشفوا عنها لما
وُجد من يعلمها الّا الاقلّ وقد اجاب الآخر عن هذا الحديث بوجوه منها انّ قدر بمعنى قدّر
ولا يكون شكّه فى القدرة على احيائه بل فى نفس البعث الّذى لا يُعلم الّا بشرع ولعلّه لم يكن
ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشّكّ به حينئذ كفرا فامّا ما لم يرد به شرع فهو

من

من مجوّزات العقول ويكون قدر بمعنى ضيّق ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها وغضبا
لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه
من الجزع والخشية الّتى اذهلت لُبّهُ فلم يؤاخذ به وقيل كان هذا فى زمن الفترة وحيث
ينفع مجرّد التّوحيد وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الّذى صورته الشّكّ ومعناه التّحقّق
وهو يسمّى تجاهل العارف وله امثلة فى كلامهم كقوله لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ اَوْ يَخْشَى وقوله وَاِنَّا اَوْ
اِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى اَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ فامّا من اثبت الوصف ونفى الصّفة فقال اقول عالم ولكن
لا علم له ومتكلّم لا كلام له وهكذا سائر الصّفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل لما
يؤدّيه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفّره لانّه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف
بعالم الّا من له علم فكانّهم صرّحوا عنده بما ادّى اليه قولهم وهكذا عند هذا سائر فرق
اهل التّاويل من المشبّهة والقدريّة وغيرهم ومن لم ير اخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم موجب
مذهبهم لم ير اكفارهم قال لانّهم اذا وقّفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفى من
القول بالمآل الّذى الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم انّه كُفْرٌ بل نقول انّ قولنا لا يؤول اليه على ما
اصّلناه فعلى هذين الماخذين اختلف النّاس فى اكفار اهل التّاويل واذا فهمته اتّضح لك
الموجب لاختلاف النّاس فى ذلك والصّواب ترك اكفارهم والاعراض عن الختم عليهم
بالخسران واجراء حكم الاسلام عليهم فى قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم و
الصّلاة عليهم ودفنهم فى مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنّهم يغلظ عليهم بوجيع
الادب وشديد الزجر والهجر حتّى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصّدر الاوّل
فيهم فقد كان نشأ على زمن الصّحابة وبعدهم فى التّابعين من قال بهذه الاقوال من القدر ورأى
الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنّهم هجروهم وادّبوهم

بالضرب والنفي والقتل على قدر احوالهم لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب كبائر عند
المحققين واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن راى غير ذلك والله الموفق للصواب
قال القاضي ابو بكر واما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الافعال وبقاء
الاعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع في اكفار المتاولين فيها اوضح اذ ليس في الجهل بشيء
منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيئا منها وقد قدمنا في الفصل
قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما اغنى عن اعادته بحول الله فصل هذا حكم
المسلم الساب لله تعالى واما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر في ذمي تناول من حرمة الله
تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب وقال
مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من
شتم الله من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا اقتل ولم يستتب قال ابن القاسم
الا ان يسلم قال في المبسوطة طوعا قال اصبغ لان الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا
من دعوى الصاحبة والشريك والولد واما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه
فهو نقض للعهد قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير اهل الاديان الله تعالى بغير الوجه
الذي ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم وقال المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم
لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب والا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل
قول مالك وقال ابو محمد ابن ابي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم
وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الاندلسيين في
النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به لله والنبي واجماعهم على ذلك
وهو نحو القول الاخر فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق

في ذلك بين سب الله وسب نبيه لانا عاهدناهم على الا يظهروا لنا شيئا من كفرهم والا يسمعونا
شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو نقض لعهدهم واختلف العلماء في الذمي اذا
تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر
وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا تؤخذ عليه جزية قال
ابن حبيب وما اعلم من قاله غيره فصل هذا حكم من صرح بسبه واضافة ما لا يليق
بجلاله والهيته فاما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الالهية او الرسالة او
النافي ان يكون الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره
او غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه ولكنه
تقبل توبته على المشهور وتنفعه انابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال
ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره او جهله
الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما اتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته
وصار كالزنديق الذي لا نامن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي
واما المجنون والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر
فيه وما فعله من ذلك في حال ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك
لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الافعال ويوالى ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب
البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق علي بن ابي طالب رضي الله عنه من ادعى له الالهية
وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبئ وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء
والملوك باشباههم واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم
كافر واجمع فقهاء بغداذ ايام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي

على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الالهية والقول بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر
بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن ابي العراقيد وكان على نحو مذهب الحلاج بعد
هذا ايام الراضي وقاضي قضاة بغداذ يومئذ ابو الحسين ابن ابي عمر المالكي وقال ابن عبد
الحكم في المبسوط من تنبأ قتل وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله خالقه او ربه او قال
ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد والعتبية فيمن تنبأ يستتاب
اسر ذلك او اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقاله اشهب في يهودي تنبأ وادعى انه
رسول الينا ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب والا قتل وقال ابو محمد ابن ابي زيد فيمن
لعن بارئه وادعى ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا
على القول الاخر من انه لا يقبل توبته وقال ابو الحسن القابسي في سكران قال انا الله انا الله
ان تاب ادب فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين
فصل واما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه بما
يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل في بعض الاشياء ببعض ما عظم
الله من ملكوته او نزع من الكلام لمخلوق ما لا يليق الا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف
ولا عامد للالحاد فان تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة
ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ان كان ما اورده يوجب
الاستخفاف والتنقص لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل
المعروف بابن اخي عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال بدأ الخراز يرش جلوده وكان
بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلى بن وهب وابان بن عيسى قد توقفوا
عن سفك دمه واشاروا الى انه عبث من القول يكفي فيه الادب وافتى بمثله القاضي حينئذ

صوابه ابن ابي العزاقر

لمخلوق ء

يرش جلوده ء

الثمانية ء

موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي ايشتم رب عبدناه ثم لا ننتصر له انا اذا لعبيد
سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس الى الامير بها عبد الرحمن بن الحكم الاموي وكانت
عجب عمة هذا المطلوب من خطاياه واعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن من عبد
بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل
القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت
عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا وازراء فيعاقب عليها
ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح سببها و
مقارنها وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك
اللهم لبيك قال ان كان جاهلا او قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي ابو
الفضل وشرح قوله انه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها
على اعتقاد انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف كثير من سخفاء الشعراء
ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك بما ننزه كتابنا و
لساننا واقلامنا عن ذكره ولولا انا قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل
ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول واما ما ورد في هذا من اهل الجهالة واغاليط
اللسان كقول بعض الاعراب رب العباد ما لنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا انزل
علينا الغيث لا ابا لكا في اشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف تاديب الشريعة
والعلم في هذا الباب فقل ما يصدر الا من جاهل يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن
العودة الى مثله قال ابو سليمن الخطابي وهذا تهور من القول والله جل جلاله منزه عن هذه
الامور وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه في كل شيء

قص مسائل ح

حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به كذا وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قلّ ما يذكر اسم
الله تعالى الّا فيما يتّصل بطاعته وكان يقول للانسان جُزيت خيرا وقلّما يقول جزاك الله
خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان يُمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي كان
يعيب على اهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى
ويقول هؤلاء يتمندلون بالله جلّ وعزّ وينزّل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب سابّ
النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على الوجوه الّتي فصّلناها والموفّق الله فصل وحكم من سبّ
سائر انبياء الله تعالى وملئكته واستخفّ بهم اوكذّبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم
حكم نبيّنا عليه السلام على مساق ما قدّمناه قال الله تعالى إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ الآية وقال تعالى قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا
أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الآية الى قوله لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وقال كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَ
رُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ قال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمّد وقاله ابن القاسم
وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون في من شتم الانبياء او احدا منهم او
تنقّصه قتل ولم يستتب ومن سبّهم من اهل الذمّة قتل الّا ان يسلم وروى سحنون عن
ابن القاسم من سبّ الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الّذى به كفر فاضرب عنقه
الّا ان يسلم وقد تقدّم الخلاف في هذا الاصل والقاضى بقرطبة سعيد بن سليمن في
بعض اجوبته من سبّ الله تعالى او ملئكته قتل وقال سحنون من شتم ملكا من الملئكة
فعليه القتل وفي النّوادر عن مالك فيمن قال انّ جبرئيل اخطأ بالوحي وانّما كان النبيّ
على بن ابى طالب استتيب فان تاب والّا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابيّة من
الروافض سُمّوا بذلك لقولهم وكان النبيّ اشبه بعلى من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة

والله الموفق

واصحابه على اصلهم من كذّب باحد من الانبياء او تنقّص احدا منهم او برئ منه فهو مرتدّ
وقال ابو الحسن القابسيّ في الّذى قال لآخر كانّه وجه مالك الغضبان لو عُرف انّه قصد ذمّ
الملك قتل قال القاضى ابو الفضل وهذا كلّه فيمن تكلّم فيهم بما قلناه على جملة الملئكة
والنبيّين او على معيّن ممّن حقّقنا كونه من الملئكة والنبيّين ممّن نصّ الله عليه في كتابه او
حقّقنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتّفق عليه بالاجماع القاطع كجبرئيل وميكائيل ومالك
وخزنة الجنّة وجهنّم والزّبانية وحملة العرش المذكورين في القرآن من الملئكة ومن سُمّي
فيه من الانبياء وكعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملئكة المتّفق
على قبول الخبر بهما فامّا من لم يثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملئكة
او الانبياء كهروت وماروت من الملئكة والخضر ولقمان وذى القرنين ومريم وآسية
وخالد بن سنان المذكور انّه نبيّ اهل الرسّ وزرادشت الّذى تدّعى المجوس والمورّخون نبوّته
فليس الحكم في سابّهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدّمناه اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن
يُزجر من تنقّصهم واذاهم ويؤدّب بقدر حال المقول فيهم لا سيّما من عُرفت صدّيقيّته
وفضله منهم وان لم تثبت نبوّته وامّا انكار نبوّتهم او كون الآخر من الملئكة فان كان المتكلّم
في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك وان كان من عوامّ النّاس زجر
عن الخوض في مثل هذا فان عاد أُدِّب اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السّلف الكلام
في مثل هذا ممّا ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامّة فصل واعلم انّ من استخفّ بالقرآن
او المصحف او بشيء منه او سبّهما او جحده او حرفا منه او آية او كذّب به او بشيء منه
او كذّب بشيء ممّا صُرّح به فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك
او شكّ في شيء من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ

وزرادشت

واصحابه

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد
هشام بن احمد رحمه الله نا ابو علي نا ابن عبد البر نا ابن عبد المؤمن نا ابن داسة نا ابو داود ونا
احمد بن حنبل نا يزيد بن هرون نا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال المراء في القران كفر تأول بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس عن
النبي صلى الله عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه
وكذلك ان جحد التورية والانجيل وكتب الله المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او استخف
بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون ان القران المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف
بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين الى اخر قل اعوذ برب الناس
انه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان
من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف اخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل
عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القران عامدا لكل هذا
انه كافر ولهذا راى مالك قتل من سب عائشة رضي الله عنها بالفرية لانه خالف القران
ومن خالف القران قتل اي لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم
موسى تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا
من كتاب الله تضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه قال وكذلك
ان شهد شاهد عدل على من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما وشهد اخر عليه انه قال ان
الله ما اتخذ ابرهيم خليلا لانهما اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو
عثمان ابن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون ان الجحد لحرف من التنزيل كفر وكان ابو
العالية اذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول اما انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك ابرهيم

فقال

فقال اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد الله بن مسعود من كفر باية
من القران فقد كفر به كله ومن كفر به قتل وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القران
فقد كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله وقد سئل القابسي
عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتورية فقال الاخر لعن الله التورية فشهد عليه بذلك
شاهد ثم شهد اخر انه ساله عن القضية فقال انما لعنت تورية اليهود قال ابو الحسن
الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل التاويل اذ لعله لا يرى
اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على لعن
التورية مجردا لضاق التاويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ احد
ائمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقرائته واقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف
وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير
ابي علي ابن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر الابهري
وغيره وافتى ابو محمد ابن ابي زيد بالادب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال
اردت سوء الادب ولم ارد القران قال ابو محمد واما من لعن المصحف فانه يقتل فصل
وسب ال بيته وازواجه واصحابه عليه السلام وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا
القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله نا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل العدل نا ابو يعلى نا
ابو علي السنجي نا ابن محبوب نا الترمذي نا محمد بن يحيى نا يعقوب بن ابرهيم نا عبيدة بن
ابي رايطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الله الله في اصحابي الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم
فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله

ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فمن
سبهم فعليه لعنة الله والملئكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال
عليه السلام لا تسبوا اصحابي فانه يجئ قوم في اخر الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم
ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه عليه السلام
من سب اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم يوذيه واذى
النبي حرام فقال لا توذوني في اصحابي ومن اذاهم فقد اذاني وقال لا توذوني في عايشة
وقال في فاطمة بضعة مني يوذوني ما اذاها وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك
في ذلك الاجتهاد والادب الموجع قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه
وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان او عليا او معاوية او عمرو بن العاص فان قال كانوا على ضلال
وكفر قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب
من غلا من الشيعة الى بغض عثمان والبراءة منه ادب ادبا شديدا ومن زاد الى بغض ابي بكر
وعمر فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في
سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى ابو محمد ابن ابي زيد عن سحنون من قال في
ابي بكر وعمر وعثمان وعلي انهم كانوا على ضلالة وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة
بمثل هذا نكل النكال الشديد وروى عن مالك من سب ابا بكر جلد ومن سب عايشة
قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القران وقال ابن شعبان عنه لان الله يقول
يَعِظُكُمُ اللّٰهُ اَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ اَبَدًا اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن

فيمن قال

الصقلي ان القاضي ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القران ما نسبه اليه
المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ في اي كثير وذكر
تعالى ما نسبه المنافقون الى عايشة فقال وَلَوْلَا اِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا اَنْ
نَتَكَلَّمَ بِهٰذَا سُبْحَانَكَ سبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في تبرئته من السوء
وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عايشة ومعنى هذا والله اعلم ان الله تعالى
لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه وقرن سب نبيه واذاه
باذاه تعالى وكان حكم موذيه تعالى القتل كان موذي نبيه كذلك كما قدمناه وشتم
رجل عايشة بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن ابي
ليلى انا فجلده ثمانين وحلق راسه واسلمه في الحجامين وروى عن ابن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم في
ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم وروى ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب اتي باعرابي يهجو الانصار فقال لولا انه
له صحبة لكفيتكموه قال مالك ومن انتقص احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء في ثلاثة اصناف فقال لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الاية
ثم قال وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْاِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ الاية وهؤلاء الانصار ثم قال وَالَّذِينَ جَاءُوا
مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِاِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْاِيمَانِ الاية فمن تنقصهم
فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم انه ابن زانية وامه
مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا لامه ولا اجعله كقاذف الجماعة في كلمة
لفضل هذا على غيره ولقوله عليه السلام من سب اصحابي فاجلدوه قال ومن قذف ام

الله ء

فيء

احدهم وهى كافرة حُدّ حدّ الفرية لانّه سبّ له فان كان احد من ولد هذا الصحابى حيّا قام
بما يجب له والّا فمن قام به من المسلمين كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير
الصّحابة لحرمة هؤلاء بنبيّهم صلّى الله عليه وسلّم ولو سمعه الامام واشهد عليه كان
ولىّ القيام به قال ومن سبّ غير عايشة من ازواج النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم ففيها قولان
احدهما يقتل لانّه سبّ النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم بسبّ خليلته والاخر انّها كسائر الصّحابة
يُجلَد حدّ المفترى قال وبالاوّل اقول وروى ابو مصعب عن مالك من انتسب الى آل
بيت النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى يظهر توبته
لانّه استخفاف بحقّ الرّسول وافتى ابو المطرّف الشّعبىّ فقيه مالَقَة فى رجل انكر تحليف
امراة باللّيل وقال لو كانت بنت ابى بكر الصّدّيق ما حُلِفَت الّا بالنّهار وصوّب قوله بعض
المتّسمين بالفقه فقال ابو المطرف ذِكرُ هذا لابنَتِ ابى بكر فى مثل هذا يوجب عليه الضّرب
الشّديد والسّجن الطّويل والفقيه الّذى صوّب قوله هو احقّ باسم الفسق من اسم الفقيه
فَيُتَقَدَّم اليه فى ذلك ويؤخّر ولا يقبل فتواه ولا شهادته وهى جرحة ثابتة فيه ويبغض
فى الله وقال ابو عمران فى رجل قال لو شهد علىّ ابو بكر الصّدّيق انّه ان كان فى مثل ما
لا يجوز فيه الشّاهد الواحد فلا شىء عليه وان كان اراد غير هذا فيضرب ضربا يبلغ به حدّ
الموت وذكر وهاروايه قال القاضى ابو الفضل هنا انتهى القول بنا فيما حرّرناه وانجز الغرض
الّذى انتحيناه واستوفى الشّرط الّذى شرطناه ممّا ارجوا انّ فى كلّ قسم منه للمريد مَقنَعُ
وفى كلّ باب مَنهجُ الى بُغيتِه ومنزع وقد سَفَرتُ فيه عن نكت تُستَغرَبُ وتستبدع
وكرعت فى مشارب من التّحقيق لم يورد لها قبل فى اكثر التّصانيف مشرع واودعتُه
غير ما فصل وَدِدتُ لو وَجَدتُ مَن بسط قبلى الكلام فيه او مقتدى يفيدنيه عن كتابه

ويزجر

اوفيه لاكتفى بما اَروِيه عمّا اُروِيه والى الله تعالى جزيل الضّراعة فى المنّة بقبول ما منّه
لوجهه والعفو عمّا تخلّله من تزيّن وتصنّع لغيره وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه
وعفوه لما اودعناه من شرف مصطفاه وامين وحيه واَسهَرنا به جُفُونَنا لتتبّع
فضائله واَعمَلنا فيه خواطرنا من ابراز خصائصه ووسائله ويحمى اعراضنا عن ناره
الموقدة لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممّن لا يُزاد اذا زيد المبدّل عن حوضه ويجعله
لنا ولمن تهمّم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا باسبابه وذخيرة نجدها يوم تجد كلّ
نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه ويخصّنا بخصّيصى زمرة
نبيّنا وجماعته ويحشرنا فى الرّعيل الاوّل واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمده
تعالى على ما هدى اليه من جمعه والهم وفتح البصيرة لدرك حقايق ما اودعناه
وفهم ونستعيذه جلّ اسمه من دعاء لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو
الجواد الّذى لا يُخيّبُ مَن امّله ولا ينتصر من خذله ولا يَرُدُّ دعوة
القاصد ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا ونعم
الوكيل وصلواته على سيّدنا محمّد خاتم النّبيّين وعلى آله
وصحبه اجمعين وسلّم تسليما كثيرا